بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة اليرموك
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
قسم اللغة العربية

ابن جِنّي... ناقداً

رسالة ماجستير

إعداد الطالبة

كوثر محمود علي عبيد

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود درابسة

حقل التخصص- النقد الأدبي

الفصل الثاني

٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ

ابن جِنِّي... ناقداً

إعـــــداد الطالبة

كوثر محمود علي عبيد

بكالوريوس لغة عربية- جامعة مؤتة ٢٠٠١م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص الأدب والنقد في جامعة اليرموك.

وقد وافق عليها

أ. د. محمود درابسة .... مشرفاً ورئيساً

أ. د. يوسف أبو العدوس .... عضواً

أ. د. موسى ربابعة .... عضواً

د. عدنان عبيدات .... عضواً

٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ

الإهـــــداء

إلى الروح الغائبة الحاضرة التي احتضنها التراب

إلى روح أبي الحبيب رحمه الله .

إلى من كانت نوراً أضاء ظلمة طريقي . . .

ومدرسة تعلمت فيها معنى الجد والاجتهاد

إلى أمي الحبيبة أطال الله في عمرها .

إلى الشمعة التي لم يزدها ضنك الحياة إلا عزماً وقوة وصبراً وحباً

إلى شقيقتي ماجدة .

إليهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ج
فهرس المحتويات	د- و
الملخص باللغة العربية	ز- ح
المقدمة	ط- ل
الفصل الأول: ابن جنّي: حياته - ثقافته - آثاره	١- ٢٦
أ- حياته:	٢- ٤
١- اسمه ونسبه	٢- ٣
٢- مولده.	٣- ٤
٣- نشأته.	٤
ب- ثقافته:	٥- ١٩
١. شيوخه.	٥-٧
٢. ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي.	٧- ٩
٣. صحبته للمتنبي.	٩- ١٠
٤. ابن جني وديوان المتنبي.	١١
٥. رأي العلماء فيه.	١١- ١٣
٦. تلاميذه.	١٣- ١٤
٧. معاصروه..	١٥- ١٦
٨. شعره.	١٧- ١٩
٩. وفاته.	١٩
ج- آثاره.	٢٠- ٢٦
الفصل الثاني: آثاره النقدية	٢٧- ٤٦
١- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (الفسر).	٢٨- ٣٥
أ- الغاية من تأليفه.	٢٩- ٣٠
ب- منهجه.	٣١- ٣٤
ج- أهميته.	٣٤- ٣٥

رقم الصفحة	الموضوع
٣٥- ٤٠	**٢- الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي.**
٣٥- ٣٦	أ- الغاية من تأليفه.
٣٦- ٣٨	ب-منهجه.
٣٨- ٤٠	ج- أهميته.
٤١- ٤٦	**٣- الخصائص**
٤١- ٤٤	أ- منهجه.
٤٤- ٤٦	ب-أهميته.
٤٧- ١٤٦	**الفصل الثالث: المباحث النقدية والبلاغية**
٤٨- ١٢٤	**أ- الباب الأول: مباحث نقدية**
٤٨- ٥٦	١- الخصومة.
٥٦- ٦٠	٢- القدماء والمحدثون
٦١- ٦٥	٣- الصنعة
٦٥- ٧٢	٤- علاقة الشعر بالدين والأخلاق
٧٢- ٨٠	٥- اللفظ والمعنى
٨٠- ٨١	٦- موقف الشاعر سعد الأزدي الملقب "بالوحيد البغدادي" النقدي.
٨١- ٨٧	٧- الموازنة الأدبية
٨٧- ١٠٢	٨- السرقات الشعرية
١٠٢- ١٠٦	٩- الفصيح والأفصح
١٠٦- ١٠٨	١٠- وحدة النسج
١٠٩- ١٢٤	١١- التعقيد والغموض
١٢٥-	**ب- الباب الثاني: مباحث بلاغية**
١٢٦- ١٣٢	١. المجاز
١٣٢- ١٣٦	٢. الاستعارة
١٣٦- ١٤٢	٣. التشبيه
١٤٣- ١٤٦	٤. الكناية

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الرابع: النقد التطبيقي	-١٤٧
١. نقد الألفاظ	١٤٨- ١٥٧
٢. الدفاع عن الشاعر	١٥٧- ١٥٩
٣. الضرورة الشعرية	١٦٠- ١٦٩
٤. الهجاء المبطن	١٦٩- ١٨٢
٥. الجرأة النفسية	١٨٢- ١٨٩
الخاتمة	١٩٠-١٩٣
المصادر والمراجع	١٩٤-٢٠٥
الملخص باللغة الإنجليزية	٢٠٦-٢٠٨

ابن جنّي... ناقداً

إعداد: كوثر محمود علي عبيد

إشراف: أ. د محمود درابسة

الملخـــــص

تهـدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جانب مهم من مفاهيم ابن جني النقدي والنظري، وأهمـية الدور الذي قام به في هذا المجال، والوقوف على أهم المسائل والموضوعات والآراء التي عالجها.

تبـين من البحث اضطلاع ابن جني في كثير من المباحث البلاغية والنقدية التي شغلت النقد العربي، وقد بدا ابن جني في بحثه لهذه المباحث ذات شخصية نقدية متميزة.

تـشكل الـبحث من أربعة فصول: جاء الفصل الأول ليبحث في حياة ابن جني، ونشأته ومنـزلته العلمـية، وثقافته، وقد أظهر البحث، ثقافته المتنوعة في جميع الميادين، وخاصة في الأدب ونقد الشعر، كما بين أثر صلته بأستاذه أبي علي الفارسي، وصحبته لأبي الطيب المتنبي ومـا نـتج عن أثر هذه الصداقة من عمليين كبيرين، شرح فيهما أبو الفتح شعر المتنبي وفسر غـريبه، أحدهما شرحه الكبير لديوان المتنبي الموسوم "بالفسر" والآخر شرحه الصغير للديوان والموسوم "بالفتح الوهبي على مشكلات المتنبي" والذي قصره على الأبيات المستغلقة من أبيات الديوان.

أمـا في الفصل الثاني، فتناول البحث آثار ابن جني النقدية من خلال ثلاثة كتب وهي: كـتاب الخـصائص، وكتاب شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (الفسر) وكتاب الفتح الوهبي على مـشكلات المتنبي، وأوضح البحث هدف ابن جني من هذين الشرحين، وهو أن يشرح فيه شعر

المتنبـــي، ويوضـــح مـــا غمض من معانيه ووجوه إعرابه، والهدف الآخر هو دفاعه عن شعر المتنبي، فكان ابن جني خير من قام بهذه المهمة على نحو لم يتح لسواه.

وبيّن البحث منهج ابن جني وذكر طريقة فيه، وبين أهمية شرحه، فكان أول شرح لغوي لشعر المتنبي، بالإضافة إلى ميزة التلقي عنه.

كمـــا أوضـــح الـبحث في هذا الفصل أيضاً منهج ابن جني في معالجة المسائل النقدية والبلاغـية، فـــي كتابه الخصائص. وما تميز به منهجه من الاستقصاء والشمول والغوص في التفاصـــيل، حـــيث كـــان يستقصي كل الآراء من أقوال العلماء والنحويين واللغويين، ويناقش آراءهم، ويقلب وجهات النظر المختلفة، وهو لا يكتفي بعرض تلك الآراء، بل يعلق عليها مؤيداً أو مستحـــسناً أو رافضاً إياها مبدياً الأسباب في جميع الأحوال، ناشداً في كل ذلك إلى الوصول إلى الحقيقة العلمية، والنزول على مقتضياتها أنى تكون.

وأظهر البحث أهمية كتاب الخصائص الذي يعد أساساً لمختلف العلوم، ومصدراً رئيسياً لكـــل مـــن جاء بعده من علماء النقد والبلاغة، فكانت آراؤه المصدر الأساسي التي استقى منه البلاغيون والنقاد مادة كتبهم فيما بعد.

درس الفـــصل الثالث، أبرز المباحث البلاغية النقدية عند ابن جني، وتشكل البحث من بابين، خصص الباب الأول: للحديث عن مباحثه النقدية، فقد عني ابن جني بأكثر الموضوعات الـــنقدية التـــي شغلت معاصريه، وأدلى فيها بدلوه، وكان له في بحث بعض الموضوعات فضل السبق والريّادة إذ لم يسبقه إليها أحد.

وخُـــصِصَ الـــباب الثانـــي للحديث عن مباحث ابن جني البلاغية، وقد شمل: المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية، وقد أظهر البحث أن المجاز عنده مرادف للتوسع، وعدّ أكثر اللغة

توســعاً ومجازاً، وأقام الاستعارة والتشبيه على التوسع، وعد التوسع مؤشراً على قوة الشاعرية والأدبية.

وعــالج الفــصل الأخيــر النقد التطبيقي ودرس نقد الألفاظ، حيث وقف ابن جني على الألفــاظ المفردة في دلالتها وأبنيتها وأصولها. وقد أظهر البحث دور ابن جني الريادي في هذا المجال.

كمــا تناول الفصل موقفه من الدفاع عن الشاعر ورأى أن الشاعر القديم غير معصوم عن الخطأ اللغوي حتى لو خالف القياس، وكذلك بيّن موقفه من الضرورة الشعرية فقد نظر إليها من باب الاتساع في الكلام، مما يدل على موقفه العادل والمُنصِف من قضية القدماء والمحدثين.

وأوضــح الــبحث موقــف ابن جني من ظاهرتي الجرأة النفسية لدى المتنبي، والهجاء المــبطن في كافوريات المتنبي، فكان أول ناقد قديم نبه إلى هاتين الظاهرتين، وكانت مهمته في ذلــك من مهمات الناقد البارع الذي استطاع أن ينفذ من خلال فهمه لنفسية الشاعر، إلى الكشف عــن كثيــر مــن الظواهر الفنية والأدبية في لغته، التي تعد أساساً لنقد جوانب مهمة في شعر الشاعر.

المقدمة

يُعــد ابن جني، علماً كبيراً من أعلام الدرس اللغوي في القرن الرابع الهجري، إذ شهد هــذا الدرس على يديه تحولاً كبيراً، وانتهى بفضله إلى نتائج باهرة على صعيد الصوت والبنية والدلالة واللهجات.

لـــم يقــف ابــن جني عند فن خاص من الفنون العربية وإنما أدلى بدلوه في المعارف الإنــسانية المخــتلفة، فنجده تناول فلسفة اللغة العربية وأسرارها والدراسات اللهجية والصوتية، والنحوية والصرفية، إلى جانب دراسة الأدب والبلاغة والنقد. فقد استطاع بمؤلفاته الكثيرة، أن يقف في مصاف كبار صانعي التراث العربي.

فقد حاول هذا البحث أن يقدم صورة متكاملة عن موقف ابن جني في مجال النقد الأدبي، ذلــك الموضــوع الذي لم ينل حظه من العناية الكافية، كما أنه لم يكن موضعاً للدراسة الشاملة الوافــية، فإذا كان الدارسون قد أحاطوا بجهود هذا اللغوي وكتبوا عنه الفصول الضافية، وألفوا فيه الكتب المفصلة، فإنه لا يزال غير معروف في مجال النقد الأدبي، وما زالت أبحاثه في هذا الميدان بعيدة من تناول الدارسين، لم يكتب عنها ما يبرز قيمتها ويجلي آراء ابن جني فيها.

وابن جني الناقد مثل ابن جني اللغوي، من حيث سعة ما تناول من موضوعات وتشعب مــا عالج من قضايا، فلا يكاد يخلو كتاب من كتبه اللغوية من آراء تتصل بالنقد والناقد، وتعالج الظاهرة الأدبية من هذا الوجه أو ذاك.

إن الــبحث يسعى إلى إقامة تصور شامل نظري وتطبيقي متكامل لموقف ابن جني في مجــال النقد الأدبي، والكشف عن أهمية الدور الذي قام به في هذا المجال، والوقوف على أهم المسائل والموضوعات التي عالجها.

ثمـــة دراسات تصدت لبحث جوانب من الموضوع، وقد أفدت منها كثيراً، وأسهمت في إثراء الموضوع وتعميقه وكان أهمها:

- دراســـة الدكــتور محمد مندور في كتابه "النقد المنهجي عند العرب". والذي أشار إلى بعـــض مواقف ابن جني النقدية، مثل موقفه من الدين والأخلاق، وموقفه من كافوريات المتنبي، ودراسة الدكتور إحسان عباس في كتابه "تاريخ النقد الأدبي عند العرب" حيث تحدث عن موقف ابن جني من المتنبي، وأكد وجود مباحث نقدية عند ابن جني من مثل: اهتداؤه إلى الجرأة النفسية لدى المتنبي، والهجاء المبطن، كما أشار إلى مهمة ابن جني فـــي شـــرح ديوان المتنبي. ودراسة الدكتور عبدالقادر حسين في كتابه "أثر النحاة في البحث البلاغي" والفصل الذي كتبه، لم يسجل من جهد ابن جني إلا النزر اليسير، فكان أكثر ما فيه من آراء ما له صلة بالجملة العربية، وأسلوب نظمها، وطرائق تأليفها، وهو اقـــرب إلـــى الأسلوبية منه إلى مباحث النقد الأدبي بوجه عام. ودراسة الدكتور عدنان عبـــيدات فـــي كتابه "الاتجاهات النقدية عند شراح ديوان المتنبي القدماء"، أشار فيه إلى بعض آراء ابن جني النقدية.

ولا شك أن ثمة دراسات أخرى أفدت منها، وذللت أمامي الصعاب، ومهدت الطريق.

ولمـــا كانت الدراسات السابقة لم تتوقف بعمق أو تنفرد بدراسة النقد عند ابن جني، فقد جـــاء اختياري لهذا الموضوع لينهض بهذه المهمة. ولذا رأيت أن أقصر دراستي على آراء ابن جني النقدية، من خلال ثلاثة كتب وهي: كتاب الخصائص، وكتاب شرح ديوان المتنبي "الفسر" بجزأيه، وكتاب "الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي"، فقد استقصيت ما وقع فيها من آراء نقدية ومسائل ومباحث تتصل بالأدب بعامة، وبشعر المتنبي خاصة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في أربعة فصول وخاتمة.

يعرض الفصل الأول: حياة ابن جني ونشأته، وترجمة لأساتذته وتلاميذه، وقد أظهر هذا الفصل ثقافته ومعارفه الواسعة في اللغة والنحو والأدب والنقد، كما أوضح أثر صلته بأستاذه أبو علي الفارسي، الذي كان صاحب الفضل الأول في نبوغه، وكذلك بيّن صلته بالشاعر أبي الطيب المتنبي، وما نتج عن أثر هذه الصداقة بينهما من عملين كبيرين شرح فيهما شعر المتنبي وفسر غريبه، ثم بعد ذلك ذكر مصنفاته.

أمـــا فـــي الفصل الثاني فتناول البحث آثار ابن جني النقدية من خلال ثلاثة كتب وهي: كـــتاب الخـــصائص وكـــتاب الفسر بجزأيه وكتاب الفتح الوهبي، وتناولت فيه أهمية كل كتاب والغاية من تأليفه ومنهج ابن جني الذي يتبعه في معالجة مسائله النقدية.

وكـــان الفصل الثالث مخصصاً للحديث عن أبرز القضايا النقدية والبلاغية، وقسمت هذا الفـــصل إلـــى بابـــين، الـــباب الأول: خصصته للحديث عن مباحثه النقدية وقد شمل أحدَ عشر موضوعاً. والباب الثاني: خصصته للحديث عن مباحثه البلاغية، وقد شمل أربعة مواضيع، وقد أوليت هذا الفصل اهتماماً بتبيان رأي ابن جني في هذه المباحث، وما أضافه من جديد في النقد الأدبي.

وعـــالجَ الفصل الأخير النقد التطبيقي وشمل، نقد الألفاظ، وقد أوضحت في هذا الفصل كيفـــية تعامل ابن جني مع الألفاظ المفردة ونقدها، وفي مجال الحديث عن الدفاع عن الشاعر، بينت موقف ابن جني من أخطاء الشعراء القدماء. كذلك أوضحت موقف ابن جني من الضرورة الشعرية في الشعر بعامة، وفي شعر المتنبي بخاصة.

كمـــا وقـــف هذا الفصل عند قضيتين نقديتين مهمتين، وهما ظاهرة الجرأة النفسية لدى المتنبي. وظاهرة الهجاء المبطن في كافوريات المتنبي، وقد أوليت هاتين القضيتين اهتماماً بتبيان رأي ابن جني وما أضافه من جديد.

وأنهيت البحث بخاتمة تتضمن أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة، وتبيان موقع ابن جني من تاريخ النقد العربي.

وختاماً، يشرفني في هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي الفاضل الدكتور محمود درابسة الذي لم يأل جهداً في توجيهي وإرشادي، فأفدت من ملاحظاته القيمة التي كان لها دورها الفعال في تكوين هذه الدراسة وإنجازها على صورتها هذه.

كما يسرني أن أشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة وهم الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس، والأستاذ الدكتور موسى ربابعة، والدكتور عدنان عبيدات على تجشمهم عناء قراءة هذه الرسالة، وعلى ما سأتلقاه منهم من ملاحظات وآراء قيمة، وتوجيهات سديدة، أفيد منها، مما سيكون له الأثر البالغ في تقويم هذه الرسالة.

وإني لأرجو الله أن تجد هذه الرسالة قبولاً، وأن تمنحني الثقة التي تقودني إلى الأمام لمواصلة طريق البحث، وما الكمال إلا لله وحده، وهو ولي التوفيق.

الباحثة

الفصل الأول

ابن جِنّي

حياته – ثقافته - آثاره

أ-حياته:

١- اسمه ونسبه

٢- مولده.

٣- نشأته.

ب- ثقافته:

٢- شيوخه.

٣- ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي.

٤- صحبته للمتنبي.

٥- ابن جني وديوان المتنبي.

٦- رأي العلماء فيه.

٧- تلاميذه.

٨- معاصروه.

٩- شعره.

١٠- وفاته.

ج- آثاره.

أ- حياته:

١- اسمه ونسبه:

هــو أبــو الفتح عثمان بن جِنّي (ت٣٩٢هـ) المَوْصلي النحوي[١]، كان أبوه جِنّي عبداً مملــوكاً رومــياً، لسليمان بن فهد بن أحمد الأزديّ المَوْصِليّ[٢]، ومن ثمّ ينتسب ابن جني أزدياً بالولاء.

وابــن جِنّــي رومـــي كمـــا يدل عليه اسم أبيه (جِنّي)، وهو معرّب "جنايس" اليونانيّة (gennaius) ومعــناها في العربية: كريم نبيل جيد التفكير وعبقري، ومخلص[٣]. وقد نقل عن ابن جني أنه قال عن معنى اسم ابيه: إنه فاضل بالرومّية[٤].

وجِنّي بكسر الجيم وتشديد النون وكسرها وسكون الياء، وليست ياؤه بياء النّسب، وإنما هي من أصل اللفظ[٥].

---

(١) انظر. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف: إنباه الرواة، على أنباء النحاة، تح محمد أبو الفضل إبــراهيم، القاهــرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م، ٣٣٥/٢. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين: وفيات الأعــيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م، ٢٤٦/٣. السيوطي، جلال الدّين عبدالرحمن: بُغية الوعاة في طبقات اللُغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، عيسى بابي الحلبي، مصر ١٩٦٥م، ١٣٢/٢.

(٢) انظــر. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب: تاريخ بغداد، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م، ٣١١/١١. ياقــوت الحمـــوي، شــهاب الــدين أبو عبدالله: معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأخيرة، ١٩٨٠م، ٨١/١٢. ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠/٣.

(٣) النجار، محمد علي: مقدمة الخصائص، ٨/١.

(٤) السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد: الأنساب، تح الشيخ عبدالرحمن بن يحيى العلمي اليماني. نشره محمد أمين دمج، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م، ٣٢٨/٣.

(٥) المــصدر نفــسه، ٣٢٨/٣. وانظــر. ابــن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٤٨/٣هـ. السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٢٢.

ولا نعرف من نسب ابن جني، شيئاً وراء هذا، ولم يذكر لنا في مصنفاته -مع كثرتها- شيئاً يجلي لنا هذا النسب.

وفي شعر أبي الفتح ما يؤكد أن أصله رومي، ويذكر فيه أن الله عوضه من نسبه علماً إليه ينسب، وبه يشرف، وأنه يرجع بأرومته إلى قياصرة الروم، الذين دعا النبي لهم، قال:

فَإنْ أصْبِحْ بِلاَ نَسَبِ ... فَعِلْمِيْ فِي الْوَرَى نَسَبِي
عَلَى أنِّي أَؤُولُ إلَى ... قُرُومٍ سَادَةٍ نُجُبِ
قَيَاصِرَةٌ إذا نَطَقُوْا ... أرَمَّ الدَّهْرُ فِي الخُطَبِ
أوْلاَكَ دَعَا النَّبِيُّ لَهُمْ ... كَفَى شَرَفاً دُعَاءُ نَبِي[1]

٢-مولده:

اتفق المؤرخون القدماء على أن ابن جني ولد بالموصل، وفيها نشأ وإليها ينتسب. واختلفت الروايات في تاريخ ميلاده، فابن خلكان في الوفيات وياقوت الحموي في المعجم يذكران أن مولده كان قبل (٣٣٠هـ)[2] ويذكر أبو الفداء في مختصره أن مولده كان في سنة (٣٠٢هـ).

ومما يرجح رواية ابن خلكان وياقوت، قصةُ مرور الشيخ أبي علي الفارسي بابن جني سنة (٣٣٧هـ) وهو متصدر للتدريس في مسجد الموصل، ثم قوله له: تَزَبّبتَ وأنت حِصْرِم حين اعترض عليه في مسألة قلب الواو ألفاً فوجده مقصراً.

ومما يؤيد أيضاً رواية ابن خلكان وياقوت، فلأنها تقتضي أن يكون أبو الفتح إذ ذاك في الخامسة عشرة أو في السابعة عشرة من عمره، وهي من أنسب سن العمر لموافقة ما جرى من

---

(١) انظر. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٨٣/١٢. القفطي: إنباه الرواة، ٣٣٥/٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٤٦/٣.

(٢) انظر. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٤٦/٣. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٨٢/١٢.

حوار حول مسألة بين أبي علي الفارسي وابن جني، فكان غير بعيد أن يقصّر ابن جني في هذه السن في مسألة قلب الواو ألفاً.

وعلـــى ذلك نستبعد رواية ابي الفداء، فلأنها تقتضي أن يكون أبو الفتح إذا ذاك في سن الخامسة والثلاثين، وما كان أبو الفتح ليقصّر وهو في هذه السن في مسألة قلب الواو ألفاً.

ونحن في ذلك نرجح معظم ما قاله الرواة بأن مولده كان سنة (٣٢٢هــ أو ٣٢٠هــ).

٣-نشأته:

نـــشأ أبـــو الفتح ابن جني في الموصل، وفيها تعلم، ومنها رحل في سبيل العلم إلى عدة أمـــصار، وأقام بها، وأخذ من اللغة، والنحو، والصرف، والأدب، والقراءات، وقد أشار إلى هذا في إجازته للشيخ أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن نصر في رواية مصنفاته[١].

ولـــم تحدد لنا المصادر كم هي المدة التي أقامها ابن جني في الموصل؟ وعلى مَنْ من الـــشيوخ تلقـــى العلـــم فيها؟ ومتى رحل منها؟ وإن كان من الممكن أن نقول إن ابن جني بقي بالموصل حتى سنة إحدى وأربعين، وهي السنة التي دخل فيها "أبو علي الفارسي" الموصل.

وقـــد ذكـــر محمـــد علـــي النجار، محقق الخصائص، أنه لم يقف على أحد من شيوخه بالموصل غير أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش الثاني[٢].

وقد ذكر صاحب البغية أن أحمد بن محمد الموصلي كان إماماً في النحو، فقيهاً، فاضلاً، عارفاً بمذهب الشافعي، قرأ عليه ابن جني، وأقام ببغداد، وكانت له حلقة بجامع المنصور[٣].

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١١١/١٢.

(٢) النجار، محمد علي: مقدمة: الخصائص، ١٠/١.

(٣) السيوطي: بغية الوعاة، ٣٨٩/١.

ب- ثقافته:

١- شيوخه:

أخذ ابن جني، اللغة والأدب والنحو والصرف والقراءات، عن كثير من الشيوخ والرواة، الذين أكثر من النقل عنهم، والإشارة إليهم في كتبه، والإشادة بما كان لهم عليه من فضل وكان في كل ما كتب أميناً في النقل عن شيوخه حريصاً على نسبة آرائهم إليهم أو إلى شيوخهم، ذاكراً طريق أخذهم في كثير من الأحيان في سند متصل أو غير متصل أحياناً.

وكــان ابن جني قد ذكر أنه أخذ من شيوخ كثيرين في إجازته لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن نصر، وأنه سمع شيوخاً وقرأ عليهم بالعراق والموصل والشام وغيرها[١].

ومن هؤلاء الشيوخ:

١- "أحمد بن محمد أبو العباس الموصلي النحوي"، الذي تقدم ذكره.

٢- "إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن مهران أبو اسحق القِرمسيني"[٢]. وهو أحد القراء[٣].

٣- "أبــو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن المقرئ النحوي المعروف بابن مقسم". وهــو من أعرف الناس بالقراءات، وأحفظهم لنحو الكوفيين، أخذ عن ثعلب، وخالف أئمة القــراء في بعض الحروف توفي سنة (٣٥٤هـ)[٤]. روى عنه ابن جني وأورد ذلك في كتبه[٥].

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١١١/١٢.

(٢) ورد هذا السند في ابن جني: الخصائص، ٧٥/١.

(٣) ابــن الجــزري، شمس الدين أبي الخير محمد: غاية النهاية في طبقات القُراء، نشره برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٣٢م، ٧/١.

(٤) ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص٢١٥. القفطي: إنباه الرواة، ١٠١/٣.

(٥) ابن جني، أبو الفتح عثمان: ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٢م، ٣٨/١.

٤- "علـــي بـــن الحسين بن محمد المعروف بأبي الفرج الأصبهاني، صاحب كتاب "الأغاني" متوفي سنة (٣٥٦هـ). لقبه ابن جني وروى عنه[١].

٥- "أبُو بكْر المراغِيُّ النحويُّ، وكان عالِماً أديباً أَقَامَ بالموصِلِ زَمَناً طويلاً[٢]. ذكره ابن جني في الخصائص[٣].

٦- وإلى جانب هؤلاء الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن جني أخذ عن كثير من الأعراب الذين لم تفسد لغتهم، وكان لا يأخذ عن بدوي إلاّ بعد أن يمتحنه ويتثبت من أمره، ومن الذين أخذ عـــنهم مـــن الأعـــراب الذين صفت لغتهم: أبو عبدالله الشجري الذين أكثر من ذكره في الخصائص[٤] وهو من الأعراب الفصحاء، لقيه إبن جني في الموصل وأخذ عنه.

ومع كثرة من أخذ عنهم ابن جني، من الشيوخ والأعراب، يظل "أبو علي الفارسي" الذي تلْمَذ له ابن جني قريباً من أربعين سنة، صاحب الفضل الأكثر في تخريجه، وإذكاءِ نبوغه، وهو أشـــهر شـــيوخ ابن جني وأكثرُهم تأثيراً فيه، كما كان المُلهِمَ الأول في كثير مما ألف من كتب، ورسائل وتفسيرات دقيقة في أسرار اللغة ومشكلاتها في الأصول، والفروع، وغيرها.

أبو علي الفارسي:

وهو: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي النحوي (ت ٣٧٧هـ)، كان من أكابـــر أئمة النحويين، أخذ النحو عن ابي بكر بن السراج، وأبي إسحاق الزجاج، وعلت منزلته

---

(١) وهـــو كاتـــب وإخباري ونحوي ولغوي وشاعر، وكان عالماً بأيام الناس والإنساب والسيرة، وكان شاعراً محسناً. انظر. ترجمته في ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ، ٩٤/١٣. القفطي: إنباه الرواة، ٢٥١/٣.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٢٦٣/١٨.

(٣) ابن جني: الخصائص، ٢٩٩/٣.

(٤) المصدر نفسه، ٧٦/١، ٨٦، ٢٤٢، ٢٥٠، ٣٣٨. ٢٦/٢، ٢٨٠/٣.

في النحو، حتى فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرد[١] وقال فيه أبو طالب العبدي[٢] وهو من النحويين المعاصرين له: "ما كان بين سيبويه وأبي علي أفضل منه"[٣] وقال ياقوت في المعجم بأنه كان "أوحد زمانه في علم العربية"[٤].

وكان عضد الدولة البويهي[٥] يقول: "أنا غلام أبي علي الفارسي في النحو"[٦] وأخذ عنه جماعة من حذاق النحويين، كأبي الفتح بن جني، وعلي بن عيسى الربعي، وأبي طالب العبدي، وأبي الحسين الزعفراني"[٧].

ومـن مـصنفاته: كتاب "الإيضاح والتكملة في النحو، وكتاب "الحجة في علل القراءات السبع، وكتاب "الحجة في علل القراءات السبع، وكتاب "المقصور والممدود"... وغيرها[٨].

٢- ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي:

يذكـر ابـن جنـي أن "أبا علي الفارسي" دخل الموصل سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، (٣٤١هـ) وأنه في هذه السنة حدثهم، واستمعوا إليه، وأخذوا عنه، إذ يقول: "ولما دخل شيخنا أبو علي -رحمه الله- الموصل سنة إحدى وأربعين قال لنا..."[٩].

---

(١) ابن الأنباري: نزهة الألباء،، ص ٢٣٢.

(٢) هو ابو طالب أحمد بن بكر العبدي، انظر. المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٢.

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٢٣٢/٧.

(٥) هـو أبـو شجاع فنا خسرو الملقب بعضد الدولة ابن ركن الدول ابن بويه الديلمي المتوفي سنة ٣٧٢هـ وكـان فاضـلاً محـباً للفـضلاء، وقـصده فحول الشعراء في عصره، ومدحوه، ومنهم المتنبي. انظر. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١/ ٤١٦

(٦) ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص٢٣٢.

(٧) هـو محمد بن أحمد أبو الحسين الدلال المعروف بالزعفراني، المتوفي سنة ٣٩٣هـ، انظر. تاريخ بغداد ٢٦٥/١.

(٨) انظر. ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص٢٣٣.

(٩) ابـن جنـي، أبـو الفتح عثمان: المحتسب في تبيان وجوه شواذ القراءات والإيضاح، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، الكتاب التاسع، القاهرة، ١٩٦٦م، ١٨٦/١.

ويقــول كذلك: "وحدثنا "أبو علي" سنة إحدى وأربعين"[1]. وفي هذه السنة –فيما أرى– اتصل ابن جني بأستاذه أبو علي الفارسي ولزمه فأطال ملازمته، وتوثقت بينهما الروابط.

وتكاد تجمع الروايات على قصة اتصال "ابن جني" بأستاذه أنقلها كما رواها "ياقوت" في معجمــه "وحدثت أنه صحب أبا علي الفارسي أربعين سنة، وكان السبب في صحبته له أن "أبا علــي" اجتاز بالموصل، فمر بالجامع، وأبو الفتح في حلقة يقرئ النحو، وهو شاب، فسأله "أبو علي" عن مسألة في التصريف، فقصَّر فيها، فقال له أبو علي: "زببت وأنت حصرم، فسأل عنه فقيل له: هذا "أبو علي الفارسي، فلزمه من يومئذ"[2].

وصــحب التلمــيذ أســتاذه ولازمه في السفرِ والحضر، وكانا في هذه المدة الطويلة لا يفتــرقان، فتنقل معه في أسفاره، وأقام معه في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب، وكذلك في بلاط عضد الدولة البويهي في فارس[3].

وقــد أحــسن "أبو علي الفارسي" فيها تخريج "ابن جني" ونهج له البحث، وفتق له سبل الاستقصاء، والتوسع في التفكير[4].

وكــان أبــو الفــتح شديد الثقة والإعجاب بأستاذه محباً له كثير النقل عنه، فما قال فيه: "وقلــت مرة لأبي بكر أحمد بن عليّ الرازيّ[5] –رحمه الله– وقد أفَضْنا في ذكر أبي عليّ ونُبْل

---

(1) ابن جني: الخصائص، ٥٧/١.

(2) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٢/١٠-١١.

(3) القفطي: إنباه الرواة، ٣٣٦/٢. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، البُلغة في تاريخ أئمة اللغة، تح محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢م، ص١٣٧.

(4) النجار، محمد علي: مقدمة الخصائص، ص١٤.

(5) أبو بكر الرازي "هو المشهور من أصحابنا بالجصاص" والجصاص هو شيخ الحنيفية ببغداد، له التصانيف الكثيرة، منها شرح مختصر الكرخّي، وكتاب في أصول الفقه. وكتاب أحكام القرآن ثلاثة مجلدات" وكانت وفاته سنة ٣٧٠هـــ. انظر. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٧١/٣. ابن تغري بردي، جلال الدين أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن دار الكتب، وزارة الثقافة، مصر، بلا، ١٣٨/٤. ابن جني: الخصائص، ص٢٠٨/١.

قَدْرِه، ونباوة محلِّه: أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا، فأصغى أبو بكر إليه، ولم يتبّشع هذا القول عليه"[1].

ويقول أيضاً: "ولله هو، وعليه رحمته، فما كان أقوى قياسه، وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه، فكأنه إنما كان مخلوقاً له"[2].

وظل ابن جني في صحبة أستاذه وتحت ظله، يبادله وفاء بوفاء، وتقديراً بتقدير، حتى توفي أبو علي الفارسي سنة (٣٧٧هـ) وخلفه ابن جني من بين سائر تلاميذه في تدريس النحو بمسجد "بغداد"[3].

٣- صحبته للمتنبي

لقي ابن جني المتنبي لأول مرة -فيما يبدو- بحلب في بلاط سيف الدولة الحمداني، فاصطحبا ولزم أحدهما الآخر، يقول الثعالبي في يتيمة الدهر "بأنهما اصطحبا دهراً طويلاً"[4].

وقامت بين الرجلين صداقة متينة ومودة خالصة، وإعجاباً لا حد له، وكانا يتبادلان الإعجاب، ويتقارضان الثناء، ومما يؤكد ذلك، ما ورد في كتبه من ذكره للمتنبي، مرات عديدة،

---

(١) ابن جني: الخصائص، ١/٢٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ١/٢٧٦- ٢٧٧.

(٣) ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص٢٤٥. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد، ١٣٥٨م، ٧/٢٢١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٣/٢٠٥.

(٤) الثعالبي، أبو منصور عبدالملك: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد قمحية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ١/ ١٢٤.

مثنـــياً عليه في "حدة خاطره وتوقد ذكائه وشاعريته وصدقه"[١]. وكثيراً ما كان يطلق عليه لفظة "شاعرنا"[٢] أو يقول "وحدثني المتنبي شاعرنا وما عرفته إلا صادقا"[٣].

وكذلك المتنبي كان يمدح ابن جني، ويثني على فضله وسعة علمه، فقد كان يقول: "ابن جنـــي أعرف بشعري مني"[٤] وقوله أيضاً: "هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس"[٥] وكذلك كان المتنبي إذا سئل عن معنى قاله، أو توجيه إعراب حصل فيه إغراب، أحال السائل على ابن جني، وكثيراً ما نوه المتنبي عن هذه الثقة في قوله مجيباً من سأله عن معنى بيت من أبياته "لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره"[٦].

ونـــسمع الإجابة عينها في مقام آخر حينما سئل المتنبي عن التخريج النحوي لبيت من أبياته فيقول "لو كان أبو الفتح هنا لأجابك"[٧].

وكانـــت ثمـــرة هذه الصداقة المباركة عملين كبيرين، شرح فيها أبو الفتح شعر المتنبي وفـــسر غـــريبه وكشف غامضه، أحدهما شرحه الكبير لديوان المتنبي المسمى "بالفسر" والآخر شـــرحه الـــصغير للديوان المذكور والمسمى أيضاً "بالفتح الوهبي على مشكلات المتنبي" والذي قصره ابن جني على المشكل من أبيات الديوان، أو ما كان مستغلقاً، ملتوي الصياغة، لا يهتدى إلى معناه إلا من تمرس بالشعر واستحصد علمه باللغة.

---

(١) السامرائي، فاضل صالح: ابن جني النحوي، دار النذير، بغداد، ١٩٦٩م، ص٤٧.

(٢) ابن جني: الخصائص، ١/٢٤، ٢٠٢، ٣٠٣، ٤٠٣، ٢/١٢٥، ١٧١، ١٧٤، ٣/٣١٨، ٣٣٨، ٢٤١.

(٣) المصدر نفسه، ١/٢٣٩

(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٣/١٤١.

(٥) السيوطي: بغية الوعاة، ١/١٣٢، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٢/٨٩.

(٦) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٢/١٠٢.

(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١/٣٩٥.

٤- ابن جني وديوان المتنبي.

ممــا اخــتلف فيه القدماء مسألة قراءة ابن جني ديوان المتنبي عليه، فقد جاء في معجم الأدبـــاء: "وحدثــنا أبو الحسن الطرائفي، قال: كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبـــي كثيراً، يناظره في شيء من النحو، من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره أَنَفَةً وإكباراً لنفسه"[١] لكن معظم كتب التراجم ذهبت إلى أن ابن جني قرأ ديوانه عليه[٢].

ويبدو أن الصواب، أنه قرأ عليه ديوانه، وابن جني نفسه يؤكد ذلك في شرحه الموسوم بـــ "الفسر"، إذ يقول: "واذكر ما كان شجر بيني وبينه من المباحثة وقت قراءتي ديوانه عليه"[٣].

ومـمــا جــاء في الفسر أيضاً قوله: "هكذا حصلته على المتنبي وقت القراءة عليه وهو صـــواب صحيح"[٤] ونراه في موضع آخر يقول: "ومما استدللت به على حصافة لفظه، وصحة صنعته ودقة فكره، أنني سألته يوماً عن قوله..."[٥].

نستدل من ذلك أن نقاشاً دقيقاً جرى بين ابن جني والمتنبي وهذا أكبر دليل على أنه كان يقرأ عليه ديوانه، فالرواية التي أوردها ياقوت في المعجم، غير صحيحة على الإطلاق، فالدلائل تشير على أن ديوان المتنبي قد قرئ على المتنبي من لدن راويته وصديقه ابن جني.

٥- رأي العلماء فيه:

حظي ابن جني بالثناء والمدح والذِّكْر الطيب لجلالة المكانة التي وصل إليها، ولما خلَّفه من تراث لغوي يشهد لمؤلفه بالنبوغ الكبير والعلم الغزير، والعقل المستوعب الذي ميزه من بين علماء العربية.

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٨٩/١٢، السيوطي: بغية الوعاة، ص٣٢٢.

(٢) ابـــن خلكـــان: وفيات الأعيان، ٤١٢/٢، الخوانساري، محمد باقر الموسوي: روضات الجنات في أحوال العلمـــاء والـــسادات، نـشرته مكتبة إسماعيليان، طهران، ناصر خسرو، تحقيق: خيابان ارم، ١٣٩٠هـــ، ١٧/٥، الحـــافظ الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق فؤاد سيد، ط٢ مصورة، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م، انظر. (حوادث سنة ٣٩٢هـــ) ٥٥/٣.

(٣) ابن جني: الفسر، ١٢/١ وكذلك ص٣٥٨ حيث جاء فيها "وحدثني المتنبي وقت القراءة".

(٤) المصدر نفسه، ٨٠/١.

(٥) المصدر نفسه، ٢٤/١.

يقول فيه العُكبَري صاحب "التبيان في شرح ديوان المتنبي": "وجمعت كتابي هذا –شرح ديوان المتنبي– من أقاويل شراحه الأعلام، معتمداً على قول إمام القول المقدم فيه، الموضح لمعانيه، المقدم في علم البيان، أبي الفتح عثمان"[1].

ويقول صاحب وفيات الأعيان "أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المشهور كان إماماً في علم العربية"[2].

ويقول فيه صاحب معجم الأدباء: "عثمان بن جني أبو الفتح النحوي من أحذق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو، والتصريف، وصنف في ذلك كُتباً أبرَّ بها على المتقدمين، وأعجز المتأخرين"[3].

ويقول فيه الثعالبي: "وهو القطب في لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة في الأدب"[4].

ويقول فيه الباخرزي: "وليست لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات، ماله، ولا سيما في علم الإعراب فقد وقع فيها على ثمرة الغراب، ومن وقف على مصنفاته وقف على بعض صفاته"[5].

ويقول فيه السيوطي: "من أحذق أهل الأدب، وأعلمهم بعلم النحو والتصريف"[6].

ولم يكن الثناء مقصوراً على القدامى بل نجد أكثر منه عند المحدثين وخاصة عند علماء اللغة والصرف. فهو عند بروكلمان "مؤسس مبدأ الاشتقاق الأكبر"[7].

---

(1) أبو البقاء العُكبَري، عبدالله بن أبي عبدالله، التبيان في شرح ديوان المتنبي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الطبعة الأخيرة، مطبعة بابي الحلبي، ١٩٧١م، ٨/١.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤١٠/٢.

(3) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٢، ٨١.

(4) الثعالبي: يتيمة الدهر، ١٢٤/١.

(5) الباخرزي، علي بن الحسن: دمية القصر وعُصرة أهل القصر، تح. محمد التونجي، ص٢٩٧.

(6) السيوطي: بغية الوعاة، ١٧٠/٢.

(7) بروكلمان كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٣م، ٢٤٥/٢.

وفــي دائــرة المعــارف الإســلامية جــاء فــيه: "ويعتبر ابن جني أكثر الثقات علماً بالتصريف"[1].

ويقــول فــيه: محمد أسعد طلس: "أما بعد فنحن إزاء آراء فيلسوف كبير عرف أسرار اللغة ودقائقها حتى ضرب الناس بذلك الأمثال"[2].

٦- تلاميذه:

تــصدر "ابــن جني" مجالس العلم، بعد أن رحل في طلب العلم إلى كثير من الأمصار، وقابــل أستاذه فلازمه قرابة أربعين عاماً، وقد تتلمذ في حلقات "ابن جني" العلمية عدد كبير من العلماء الذين اغترفوا من بحر فضله، من أشهرهم.

١- أبو الفتوح، **ثابت بن محمد الجرجاني الأندلسي**: وكان إماماً في العربية، روى ببغداد عن "ابن جني" (قُتل سنة ٤٣١هـ) [3].

٢- أبــو عــبدالله، **الحــسين بــن أحمد بن نصر**: وهو الذي أجاز له "ابن جني رواية كتبه ومصنفاته. [4].

٣- **"عالٍ وعلي وعلاء"** أولاد ابن جني.

وكلهــم أدبــاء فضلاء خرَّجهم والدهُم، وحسّن خطوطهم، فهم معدودون في الصحيحين الضبط، وحسني الخط"[5].

٤- أبــو أحمد، **عبدالسلام بن الحسين البصري**: كان عالماً باللغة، والآداب، والقرآن، وكان يتولى دار الكتب ببغداد، ذكره ابن جني في إجازته (توفي ٤٠٥هـ) [6].

---

(١) الفندي، محمد ثابت: دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول-اكتوبر، ١٩٢٣م. ١٢٢/١.

(٢) طلــس، أســعد محمــد. أبو الفتح بن جني وأثره في اللغة العربية، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد الثلاثون، العدد الرابع، ص٦٢١.

(٣) السيوطي: بغية الوعاة، ص٢/٢١٠، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٤٥/٧.

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٠٩/١٢.

(٥) المصدر نفسه، ٩١/١٢.

(٦) المصدر نفسه، ١٠٩/١٢. ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص٢٤٧.

٥- "**علــي بن زيد القاشاني النحوي**" أحد أصحاب أبي الفتح بن جني، امتاز بالخط الجميل، الكثير الضبط المعقد سلك فيه طريقه شيخه أبي الفتح"(١).

٦- **أبو الحسن، علي بن عبدالله بن عبدالغفار السمسمي أو السمسماني:** كان لغوياً ثقة، أخذ عن أبي الفتح(٢) قال الخطيب البغدادي: كتبت عنه وكان صدوقاً(٣) توفي سنة ٤١٥هـ(٤).

٧- **أبــو القاسم، عمر بن ثابت الثمانيني النحوي الضرير:** كان إماماً فاضلاً وأديباً، أخذ عن أبي الفتح "عثمان بن جني" شرح الثمانيني كتاب "اللمع" لشيخه ابن جني، كما شرح كتاب "التصريف الملوكي" توفي سنة (٤٤٢هـ) (٥).

٨- **أبو غالب، محمد بن أحمد بن سهل النحوي الواسطي المعروف بابن بشران:**

ذُكِــرت تلمذته في رواية نقلها القفطي عن ابنِ بشران فقال فيها: "ورد أبو الفتح بن جني عــثمان إلــى واسـط ونزل في دار الشريف أبي علي الجواني نقيب العلويين، وكنا نترددُ إليه ونسائله ويملي علينا مسائل سمّاها الواسطية"(٦) توفي سنة (٤٦٢هـ).

٩- **أبو الحسن، محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالشريف الرضي:**

درس اللغــة على أبي الفتح "عثمان بن جني" وقد ذكر الشريف الرضي تلمذته على ابن جني(٧) وعند وفاة ابن جني رثاه بمرثية رائعة، وهي في ديوانه(٨). توفي سنة (٤٠٦هـ).

١٠- **أبو الحسن، محمد بن عبدالله بن شاهويه:** وقد حدَّث عن أبي الفتح بن جني، وعليه قرأ من كتب الأدب والنحو(٩).

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٢١٨/١٣، السيوطي: بغية الوعاة، ١٦٧/٢.

(٢) ابن الأنباري: نزهة الألباء، ٣٣٤.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٠/١٢.

(٤) ابن الأنباري: نزهة الألباء، ٢٤٨، القفطي: إنباه الرواة، ٢٨٨/٢.

(٥) ابــن الأنــباري: نزهة الألباء، ٢٥٦. السيوطي: بغية الوعاة، ٢١٧/٢. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٥٧/١٦.

(٦) القفطي: إنباه الرواة، ٤٤/٢، ٣٤٠.

(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤١٦/٤.

(٨) ديوان شريف الرضي، دار صادر، بيروت، بلا، ٦٣/٢.

(٩) السيوطي: بغية الوعاة، ، ١/ ١٢٩.

٧- **معاصروه:**

إذا صـــح أن ابن جني من مواليد سنة (٣٢٢هـــ) فإنه قد ولد في خلافة القاهر أو أوائل خلافة الراضي، ويكون قد عاصّر كلاً من المتقي فالمستكفي فالمطيع فالطائع فالقادر.

وكـــان عصره في ناحيته السياسية، عصراً قلقاً، ضعفت فيه الخلافة العباسيّة، فالخلفاء مغلوبـــون علـــى أمسرهم، والأمر لغيرهم، وتقسّم الولاة أقاليمها، واستّبدوا بالسُّلطان، فقد غلب البويهيون على بغداد عاصمة الدولة العباسية[1].

أمـــا في ناحيته العلمية، فقد كان هذا العصر من أرقى عصور العرب، أزهر فيه العلم والأدب والفن، ونبغ في كل علم وفن نوابغ عظماء أنتجوا أبدع الآثار، ففي الشعر نبغ أبو الطيب المتنبي (٣٥٤هـــ)، وأبو فراس الحمداني (ت٣٥٧هـــ) والشريف الرضي (ت٤٠٦هـــ)

وفـــي اللغـــة والأدب نـــبغ أبـــو الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـــ) وأبو الفضل العميدي (٣٦٠هـــ) وأبو بكر الخوارزمي (ت٣٨٣هـــ) وأبو إسحاق الصابي (٣٨٤هـــ)،

وفـــي الـــتاريخ والـــسير نبغ جلّة من العلماء من مثل أبي علي القالي صاحب الأمالي (٣٥٦هـــ) وابـــن النديم صاحب الفهرست (٣٨٥هـــ) وابن فارس صاحب المجمل (٣٩٠هـــ) والجوهري صاحب الصحاح (٣٩٨هـــ)..

وغيـــرهم مـــن العلماء الأفذاذ الذين عاصروا ابن جني، الذي استطاع أن يرتقي بذكائه وجهده إلى مستوى هؤلاء الرّجال في الجانب الذي تخصص فيه، وهو في اللغة والأدب"[2].

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٣٥٧/٦.

(٢) أمين، أحمد: ظهر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٤٥م، ٩٠/١- ٢٧٦.

فقد عاش ابن جني يعلمه وتقرب إلى البويهيين وتوثقت صلته بهم في شيراز وفي بغداد، وتقرّب إليهم، فكان أثيراً عندهم، كما كان أستاذه أبو علي الفارسي، ولعله هو الذي وصل سبب بهؤلاء.

ومما يؤكد ذلك قول القفطي: "وخدم أبو الفتح عثمان بن جني بيت آل بويه في عهد عضد الدّولة، وولده صمصام الدولة، وولده شرف الدولة، وولده بهاء الدّولة، الذي مات في عهده، وكان يلازمهم ويبياتهم"[١].

ولا شك في أن مكانه من هذه الخدمة إنما كان مكان المؤدب، لشباب هذا البيت، إذ كانوا يأنسون إليه وينال من برهم وألطافهم، فضلاً عن أن دورهم كانت منتديات يؤمها العلماء والأدباء من جميع الممالك والأمصار، تتلاقى أفكارهم ومعارفهم، وأن لذلك الأثر الكبير في نضج ابن جني وتبريزه وذيوع صيته[٢].

كما اتصل ابن جني بسيف الدولة بن حمدان في حلب منذ سنة ٣٤١هـ، وفي بلاطه لقي أبا الطيب المتنبي الذي كان حينئذٍ مجمعاً لكبار الأدباء والشعراء، وكان لهذا أثر في تفتح آفاق ابن جني الأدبية والنقدية.

ومن النحويين الذين عاشوا في بغداد في هذه الحقبة "علي بن عيسى الربعي"[٣]، و"أبو القاسم الدقيقي"[٤]وأبو طالب العبدي[٥] ولم يحصل لهما من الشهرة والسمعة ما حصل لابن جني.

---

(١) القفطي: إنباه الرواة، ٢/٣٤٠.

(٢) عبدالله، أمين: ابن جني أبو الفتح عثمان، مجلة المقتطف، مجلد١١١، ١٩٤٧م، الجزء الثالث، ص١٥٥.

(٣) هو: علي بن عيسى بن الفرج الربعي النحوي، من أكابر النحويين، أخذ عن أبي علي الفارسي مدة طويلة، كان حاد الطبع، غريب الأطوار، فابتعد الناس عنه، قال ابن الأنباري "ويحكى من سيرته وتصرفاته، ما طيه أحسن من نشره" توفي (٤٢٠هـ) ومن أجل هذا قدم الناس ابن جني على الربعي. انظر. ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص٢٤٩.

(٤) هو: أبو القاسم الدّقيقي البغدادي، نحويّ متصدّر، تخرج به خلق كثيرون لحسن خلقه وبركة تعليمه توفي سنة (٤١٥هـ). انظر. السيوطي: بغية الوعاة، ٢/٢٦٤.

(٥) هو أبو طالب، أحمد بن بكر العبدي من افاضل أهل العربية، أخذ عن ابي علي الفارسي، وكان العبدي أدركه كساد سوق الأدب، ولم يحصل له من السمعة ما حصل لابن جني، توفي (٤٢٠هـ) انظر. القفطي: إنباه الرواة، ٢/٣٨٦.

٨- **شعره:**

كـــان ابن جني مع غزارة علمه ومهارته فيه، شاعراً جيّد الشعر، وذكرت كتب التراجم أنــه كـــان يقول الشعر ويجيد نظمه[١] ومن شعره قصيدتان بائيتان طويلتان، يذكر في إحداهما قــومه[٢] والثانــية في رثاء المتنبي[٣] وله مقطوعات في عدة موضوعات، وشعر ابن جني لا يجعــل منه شاعراً، لأن اشتغاله بالدراسات اللغوية والأدبية غلب عليه مما جعل شعره يتصف بالبرودة.

قال الثعالبي في شعره: "وكان الشعر أقل خلاله، لعظم قدْره وارتفاع حاله"[٤].

وقـــال الباخـــرزي في الدمية: "وما كنت أعلم أنه ينظم القريض، ويُسيغُ ذلك الجَرِيض، حتـــى قرأت له مرثية في المتنبي..." [٥]. "على أنه قد يقع له من الشعر ما يأخذ بالقلوب، ويأسر الألباب"[٦]. ومن شعره أبيات ينبئ فيها عن نسبه ومكانته الرفيعة التي نالها في حياته:

شَـــــكَرْتُ اللهَ نِعْمَـــــتَهُ ... وَمَـــــا أَوْلاَهُ مِـــــنْ أَرَبِ
زَكَـــتْ عِـــنْدِي صَـــنَائِعُهُ ... فَوَفَّقَنِـــي وَأَحْـــسَنَ بِـــي
تَخَوَّلَنِـــــي وَخَوَّلَنِـــــي ... وَنَوَّلَنِـــي وَنَـــوَّهَ بِـــي[٧]

---

(١) الخطـيب الـبغدادي: تـاريخ بغداد ٣١١/١١. ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص٢٤٨. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤١٠/٢. ابن الجوزي: المنتظم، ٢٢٠/٧ وغيرها.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٩٦/١٢-١٠١.

(٣) القفطي: إنباه الرواة، ٣٣٨/٢.

(٤) الثعالبي: يتيمة الدهر، ١٠٨/١.

(٥) الباخرزي: دمية القصر، ١٤٨١/٣.

(٦) النجار، محمد علي: مقدمة الخصائص، ص٤٩.

(٧) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٩٨/١٢- ٩٩.

ويقول في الحديث عن كتبه:

تَــــنَاقَلُهَا الــــرُّوَاةُ لَهَـــــا عَلَـــى الأَجْفَـــانِ مِـــنْ حَـــدَبِ
فَيَـــــرْتَعُ فـــــي أَزَاهِـــــرِهَا مُلُـــــوكُ العُجْـــــمِ وَالْعَـــــرَبِ
فَمِـــــنْ مُغـــــنٍ إِلـــــىَ مُـــــدْنٍ إِلـــــى مُـــــثْنٍ إِلَـــــى طَـــــرَبِ[1]

ومن شعره مرثية في المتنبي التي نوَّه بها الباخرزي في (دمية القصر) وفيها يقول ابن جني:

غَـاضَ الْقَـرِيْضُ وَأَذْوَتْ نُضْرَةُ الأَدَبِ وَصَـوَّحَتْ بَعْـدَ رِيٍّ دَوْحَـةُ الكُـتُبِ
مَـا زِلْتَ تَصْحَبُ في الْجُلَّى إِذَا انْشَعَبَتْ قَلْـباً جَمِـيْعاً وَعَـزْماً غَيْـرَ مُنْشَعِبِ
وَقَـدْ حَلَـبْتَ لَعَمْـرِي الدَّهْـرَ أَشْطُرَهُ تَمْطُـو بِهِمَّـةِ لاَ وَانٍ وَلاَ نَـصَبِ

إلى أن قال

بَاتَـتْ وِسَـادِيَ أَطْـرَابٌ تُؤَرِّقُنِـي لَمَّـا غَـدَوْتَ لَقَـى فِـي قَبْضَةِ النُّوَبِ
عُمِّـرْتَ خِـدْنَ المَسَاعِي غَيْرَ مُضْطَهَدٍ كَالنَّـصْلِ لَـمْ يَـدَّنِسْ يَوْماً وَلَمْ يُصِبِ
فَاذْهَـبْ عَلَـيْكَ سَـلاَمُ المَجْدِ مَا قَلِقَتْ خُـوصُ الـرَّكَائِبِ بِالأَكْوَارِ وَالشُّعُبِ[2]

وله في الغزل:

غَـــزَالٌ غَيْـــرُ وَحْـــشِيٍّ حَكَـــى الْوَحْـــشِيُّ مُقْلَـــتَهُ
رَآهُ الْـــوَرْدُ يَجْنِـــي الْـــوَرْ دَ فَاسْتَكْـــسَاهُ حُلَّـــتَهُ
وَشَـــمَّ بِأَنْفِـــهِ الـــرَّيْحَا نَ فَاسْـــتَهْدَاهُ زَهْـــرَتَهُ
وَذَاقَـــتْ رِيْحَـــهُ الـــصَّهْبَا ءُ فَاخْتَلَـــسَتْهُ نَكْهَـــتَهُ[3]

---

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٢/١٠٠.

(2) المصدر نفسه، ١٢/٨٦-٨٨.

(3) الباخـرزي، دمـية القصر: ٣/١٤٨١- ١٤٨٥. ياقوت الحموي: معجم الأدباء،: ١٢/ ٩٠. القفطي: إنباه الرواة، ٢/٣٣٨- ٣٣٩.

وهو شعر يسيل رقة ويجري عذوبة كما ترى، وله في الغزل أيضاً:

تَجَنَّبْ أو تَـذَرَّعْ أوْ تأبَّـى ... فَـلاَ واللهِ لاَ أزْدَادُ حُـبَّا

أخَـذْتَ بِبَعْضِ حُسْنِكَ كُلَّ قَلْبِي ... فَـإنْ رُمْتَ الْمَزِيْدَ فَهَاتِ قَلْبَا[1]

وله في الحنين إلى الشباب وبكاء عهده الناضر:

رَأيْتُ مَحَاسِنَ ضِحْكِ الرَّبِيْـ ... ـعِ أطَـالَ عَلَيْهَا بُكَاءُ السَّحَابْ

وَقَـدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فِي لِمَّتِي ... فَلِمْ لاَ أُبَكِّي رَبِيْعَ الشَّبَابْ

أأشْرَبُ فِي الكَأسِ كَلاَّ وَحَاشَا ... لأبْصِرَهُ فِي صَفَاءِ الشَّرَابْ[2]

وكان أبو الفتح مُمتَّعاً بإحدى عَينيه، وما أظرفه حين يقول لأحد أصدقائه:

صُدُوْدُكَ عَنِّي -وَلاَ ذَنْبَ لِي- ... دَلِيْلٌ عَلَى نِيَّةٍ فَاسِدَةْ

فَقَدْ -وَحَيَاتِكَ- مِمَّا بَكَيْتُ ... خَشِيْتُ عَلَى عَيْنِيَ الْوَاحِدَةْ

وَلَوْلاَ مَخَافَةُ ألاَّ أرَاكَ ... لَمَا كَانَ فِي تَرْكِهَا فَائِدَةْ[3]

٩- وفاته:

كادت المصادر التي ترجمت لابن جني أن تجمع بأن وفاته كانت ليلة الجمعة لثمان وعشرين أو تسع وعشرين من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة هجرية.

هذا ما اتفق عليه أغلب المترجمين له[4] وقد خرج عن هذا الإجماع ابن الأثير في

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٢/٩٠.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٢/٩٢.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٢/٩٠. وابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣/٢٤٦. وابن كثير، عماد الدين أبو الفداء: البداية والنهاية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٣٢م، ١١/ ٣٣١.

(٤) ابن النديم، محمد بن إسحاق: الفهرست، تح مصطفى الشويمي، الدار التونسية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص١٢٨. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١١/٣١١ وابن الأنباري: نزهة الألباء، ٣٣٤. القفطي: إنباه الرواة، ٢/٣٣٦. ومعجم الأدباء، ١٢،٨٣ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣/٢٤٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/٣٣١. الحافظ الذهبي: العبر، ٣/٥٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٤/٢٠٥ السيوطي: بغية الوعاة، ٢ /١٣٢. طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى: مفتاح السعادة ومصباح السيّادة في موضوعات العلوم، تح كامل كامل بكري، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م، ١/٣٥١ وغيرها.

الكامل[1] إذ ذكر أن وفاته كانت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة والرأي مع الجماعة، وكانت وفاته ببغداد، ودفن إلى جوار قبر شيخه أبي علي الفارسي.

ج- آثاره:

لقد أثرى ابن جني، المكتبة العربية بعدد كبير من المؤلفات في علوم العربية، وهي مؤلفات ذات قيمة علمية بالغة الأهمية، والتي تبلغ أكثر من ستين كتاباً، حسب ما أحصيته في معظم كتب التراجم التي ذكرت كتب ابن جني، وسأذكر كتبه حسب ما وردت في كتب التراجم، مرتبة ترتيباً هجائياً.

١- **الأراجيز**: ذُكِرَ في معجم الأدباء ١٢/١١٣.

٢- **إعراب الحماسة**: ذُكِر في إنباه الرواة ٢/٣٣٧ وهدية العارفين ١/٦٥٢.

٣- **الألفاظ المهموزة**: ذكره في إجازته (معجم الأدباء ١٢/ ١١٠). وفي الفهرست ١٢٨ باسم الألفاظ من المهموز. نشره وجيه الكيلاني ضمن ثلاث رسائل لابن جنِّي في القاهرة سنة ١٩٢٣م باسم ما يحتاج إليه الكاتب في مهموز ومقصور، وأعاد تحقيقه د. صلاح الدين المنجد، بدار الكتاب العربي، بيروت- لبنان ١٩٤٥م.

٤- **البُشْرى والظَّفَر**: ذُكِر في معجم الأدباء ١٢/١١٢. وفي هدية العارفين ١/٦٥٢.

٥- **التبصرة في العروض**: ذُكِر في وفيات الأعيان ٣/٢٤٧ وهدية العارفين ١/٦٥٢ ونشره الدكتور حسن شاذلي فرهود باسم "العروض" في بيروت ١٩٧٢م.

---

[1] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م، ٧/٢١٩.

٦- **التذكــرة الاصـــبهانية**: ذُكِر في إنباه الرواة ٢/٣٣٧ ووفيات الأعيان ٣/٢٤٧ وشذرات الذهب ٣/١٤٠ وهدية العارفين ١/ ٦٥٢.

٧- **التــصريف المملوكي**: نشره محمد سعيد بدمشق سنة ١٣٩٠هـ ولعلّ ابن النديم قد عناه بقوله: إنّ لابن جنّي كتاباً اسمه: جمل أصول التصريف (الفهرست: ١٢٨).

وقد شرحه ابن يعيش، وقد حقّق هذا الشرح الدكتور فخر الدين قباوة بحلب ١٩٧٣م.

٨- **تعاقـب العــربية**: ذكره في إجازته (معجم الأدباء ١٢/ ١١٠) وذكره في الخصائص ١/ ٢٦٤، ٢٢٦، ٣/٥٨، ٢٢٥. وذُكِــر في الفهرست: ١٢٨ وتاريخ بغداد ١١/٣١١ وإنباه الـــرواة ٢/٣٣٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٧ وكشف الظنون ١/ ٤١٦، ٢/ ١٤٠٥ وهدية العارفين ١/٦٥٢.

٩- **تفسير أرجوزة أبي نواس**: ذُكِر في معجم الأدباء ١٢/١١١ وقد نشره الشيخ محمد بهجة الأثري في مجمع اللغة بدمشق سنة ١٩٦٦، وأعيد نشره سنة ١٩٧٩م.

١٠- **تفسير ديوان المتنبي الكبير المسمّى بالفَسْر**: ذكره في إجازته (معجم الأدباء ١٢/١١٠) نشره الدكتور صفاء خلوصي منه جزأين ببغداد، الجزء الأول سنة ١٩٧٠م والجزء الثاني سنة ١٩٧٨م).

١١- **تفـسير العلـــويات**: ذُكِــر في (معجم الأدباء ١٢/١١٢) أما ابن النديم فقد سمّاه: تفسير المراثي الثلاثة والقصيدة الرائية للرضي (الفهرست: ١٢٨).

١٢- **تفسير المذكر المؤنث ليعقوب**: ذُكِرَ في الإجازة، معجم الأدباء ١٢/١١٠.

١٣- **التلقــين في النحو**: ذُكِر في الفهرست: ١٢٨ تاريخ بغداد ١١/٣١١، إنباه الرواة ٢/٣٣٦ ووفيات الأعيان ٣/٢٤٧ وهدية العارفين ١/٦٥٢.

١٤- **الـــتمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله السكّري**: ذكره في إجازته معجم الأدباء ١٢/ ١٠٩ وفي الخصائص ١/١٢٤، وقد نشره الدكتور أحمد ناجي القيسي ورفاقه ببغداد سنة ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م.

١٥- **التنبيه**: ذُكِرَ في الإجازة، معجم الأدباء ١٢/١١٠، ذُكِر باسم التنبيه في: وفيات الأعيان ٣ /٢٤٧، وبغية الوعاة ٢/١٣٢، وكشف الظنون ١/٤٩٣، ٦٩١.

١٦- **الخاطـريات**: ذُكِـرَ فـي الإجازة، معجم الأدباء ١٢/١١١: ذُكِر في إنباه الرواة ٣/٣٣٧ ووفيات الأعيان ٣/٢٤٧ وهدية العارفين ١/٦٥٢.

١٧- **الخـــصائص**: ذُكِرَ في الإجازة، معجم الأدباء ١٢/١٠٩، ونُشِر بتحقيق محمد علي النجار سنة ١٩٥٢م.

١٨- **الخطـــيب**: ذُكِر في (معجم الأدباء ١٢/١١٣)، وهدية العارفين ١/٦٥٢ وقد ذكر الدكتور حسين شرف محقق كتاب اللمع: أنّ ابن الخبّاز في شرح لمع ابن جِنّي قد اقتبس من كتاب الخطيب. (انظر/ مقدمة اللمع: ٣٤).

١٩- **ذو القدّ**: ذُكِر في (معجم الأدباء ١٢/١١٣) وبغية الوعاة ٢/ ١٣٢. وقال القفطي في (إنباه الرواة ٢/ ٣٣٧): وهو ما استملاه من أبي علي.

٢٠- **الرَّجز**: ذكره ابن جِنّي في (الخصائص ٢/٤٠، ٣/٢٣١).

٢١- **سرّ السرور**: ذكره ياقوت في (معجم الأدباء ١٢/٩١) واقتبس منه أبيات شعرٍ لابن جِنّي.

٢٢- **سرّ صناعة الأعراب**: ذكره في إجازته (معجم الأدباء ١٢/١٠٩). ونُشِر الجزء الأول منه بتحقـيق مصطفى السقا ورفاقه في القاهرة، سنة ١٩٥٤م، وأعيد تحقيق الكتاب كاملاً في جزأين بدراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، بدار القلم، دمشق، سنة ١٩٨٥م.

٢٣- **شرح إيضاح أبي علي**: ذكره بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي ٢/١٩١، ٢/٢٤٨).

٢٤- **شرح التبصرة في أصول الفقه للشيخ إبراهيم الشيرازي**: ذُكِرَ في كشف الظنون ٣٣٩/١.

٢٥- **شرح فصيح ثعلب**: ذُكِر في (معجم الأدباء ١٢/ ١١٣) وبغية الوعاة ٢/ ١٣٢ ومفتاح السعادة ١/ ١٣٥ وكشف الظنون ٢/ ١٢٧٢ وهدية العارفين ٦٥٢/١).

٢٦- **شرح المقصور والممدود ليعقوب**: ذكره في إجازته (معجم الأدباء ١٢/ ١١٠) وفي الخصائص ٢/ ٤٨.

٢٧- **عقود اللمع**: لم تُشِر إليه المصادر، ونَشَرَهُ الدكتور حسن شاذلي فرهود في مجلة آداب جامعة الرياض المجلَّد الخامس سنة ١٩٧٧م.

٢٨- **عقود الهمز**: نشره وجيه الكيلاني ضمن ثلاث رسائل في القاهرة سنة ١٩٢٣م.

٢٩- **علل التثنية**: أشار إليه كارل بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) ٢٤٨/٢، وقد طبع الكتاب بتحقيق د. صبيح التميمي ومراجعة د. رمضان عبدالتواب، بيروت ١٩٨٧م.

٣٠- **الفائق**: ذُكِر في (معجم الأدباء ١٢/ ١١٣ وهدية العارفين ٦٥٢/١).

٣١- **الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي**: أشار إليه ابن جني في إجازته (معجم الأدباء ١٢/ ١١٠) و سنة ١٩٧٣م.

٣٢- **الفَرَقْ**: ذُكِر في (معجم الأدباء ١١٣/١٢).

٣٣- **الفَصْلُ بين الكلام الخاص والعام**: ذُكِر في معجم الأدباء، ١٢/ ١١٣ بهذا الاسم وفي الفهرست: ١٢٨ بهذا الاسم مرة، وبالفرق بين الكلام الخاص والعام مرة أخرى. وباسم الفرق جاء في هدية العارفين ٦٥٢/١.

٣٤- **اللمع في العربية**: ذكره في إجازته (معجم الأدباء ١١٠/١٢) وكذا في الفهرست ١٢٨ وإنباه الرواة ٢/ ٣٣٦ ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٧ والنجوم الزاهرة ٢٠٥/٤. نشره الدكتور

فائـــز فارس الحمد في الكويت سنة ١٩٧٢م كما نَشَرَه أيضاً الدكتور حسين محمد شرف في القاهرة سنة ١٩٧٩م.

٣٥- **ما خرج عنّي من تأييد التذكرة**: ذكره في إجازته (معجم الأدباء ١٢/١١٠) وكذا في إنباه الرواة ٢/٣٣٧ ووفيات الأعيان ٣/٢٤٧ وهدية العارفين ١/٦٥٢.

٣٦- **المـــبهج فـــي شرح أسماء شعراء ديوان الحماسة**: ذكر في إنباه الرواة ٢/ ٣٣٧ وفي وفـــيات الأعـــيان ٣/ ٢٤٧ باسم المُبهِج وهو تحريف، وقد نُشِر بدمشق سنة ١٩٢٨م، ثم ببيروت سنة ١٩٨٣م.

٣٧- **المحاســـن فـــي العربية**: ذكره في إجازته (معجم الأدباء ١٢/ ١١٠). وفي المحتسب ١/ ٢٥٠. وذُكِر أيضاً في (بغية الوعاة ٢/١٣٢ وكشف الظنون ٢/ ١٦٠٨ وهدية العارفين ١/ ٦٥٢).

٣٨- **المحتسب في تبين شواذ القراءات**: ذُكِرَ في معجم الأدباء ١٢/١١١، ونشره الأستاذ علي النجدي ناصف والدكتور عبدالفتاح شلبي في القاهرة سنة ١٩٦٩م.

٣٩- **مختصر التصريف**: ذكره في إجازته (معجم الأدباء ١٢/ ١١٠). وكذا في هدية العارفين ٦٥٢/١.

٤٠- **مختـــصر العـــروض والقوافـــي**: ذكـــره في إجازته (معجم الأدباء ١٢/١١٠) وكذا في (الفهرســـت ١٢٨ وإنـــباه الـــرواة ٢/٣٣٧ ووفيات الأعيان ٣/٢٤٧ وكشف الظنون ٢/ ١٤٣٨ وهديـــة العارفين ١/٦٥٢). أما ما نشره الدكتور حسن شاذلي فرهود في القاهرة سنة ١٩٧٥م فهو (مُخْتَصر القوافي) تحدث فيه ابن جني عن القافية وأنواعها، وحروفها، وحركاتها، وعيوبها.

٤١- مَدّ **الأصوات ومقادير المدّات**: ذُكِر في (معجم الأدباء ١٢/١٣٣).

٤٢- **المذكر والمؤنث:** ذُكِر في تاريخ بغداد ٣١١/١١ ونزهة الألباء ٣٣٢ ومعجم الأدباء ١٢/ ١١٣ وشذرات الذهب ٣/١٤٠ والنجوم الزاهرة ٤/ ٤٠٥.

نـــشره أول مـــرة –المستشرق الألماني ريشر في مجلة العالم الشرقي في السويد (تاريخ الأدب العربـــي ٢/ ٢٤٩) ثم نُشِرَ في مجلة المقتبس بدمشق سنة ١٩١٤ المجلد الثاني (٥١١-٥١٥) حققه الدكتور طارق نجم نشره بجدة سنة ١٤٠٤هـ– ١٩٨٥م.

٤٣- **المسائل الواسطية:** ذُكِر في إنباه الرواة ٢/ ٣٤٠ والكتاب مجموعة أمالٍ ألقاها في مدينة واسط.

٤٤- **مسألتان من كتاب الإيمان للشيباني:** ذكر بروكلمان (تاريخ الأدب العربية ٢/ ٢٤٩) .

٤٥- **المعاني المجردة:** ذُكِر في (معجم الأدباء ١٢/ ١١٣) أما في هدية العارفين ١/ ٦٥٢ فقد جاء باسم المعاني المحررة.

٤٦- **المُعْـرِب فـــي شـــرح القوافي:** ذكرَهُ في الخصائص ١/ ٨٤، ٢/٩٩، ٢٦١. وذُكِر في الفهرست: ١٢٨.

وجاء باسم: الكافي في شرح القوافي في (معجم الأدباء ١٢/١١٣ وتاريخ بغداد ١١/ ٣١١ وشـــذرات الـــذهب ٣/ ١٤٠ والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٠٥ ولعل الاسمين لكتاب واحد بدليل قـــوله: وقـــد تقصّيْتُ هذا في كتابي المعرب وهو تفسير القوافي عن أبي الحسن (انظر: التمام في تفسير أشعار هذيل: ١٨٦).

٤٧- **المفيد في النحو:** ذُكِر في (هدية العارفين ٦٥٢/١، وإيضاح المكنون ٥٣١/٢).

٤٨- **المقتـــضب من كلام العرب:** ذكره في إجازته (معجم الأدباء ١٢/ ١١٠) وذُكِرَ أيضاً في (إنباه الرواة ٢/ ٣٣٧ ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٧ وهدية العارفين ١/ ٦٥٢).

نشره لأول مرة: بروبستر (Proebster) في ليبزج سنة ١٩٠٤م باسم المغتصب وهو تحريف، ثم نشره وجيه الكيلاني ضمن ثلاث رسائل لابن جني- في القاهرة سنة ١٩٢٣م).

٤٩- **مقدّمات أبواب التصريف**: ذُكِر في (معجم الأدباء ١٢/١١٣ وهدية العارفين ١/ ٦٥٢).

٥٠- **المقصور والممدود**: ذُكِرَ في (إنباه الرواة ٢/ ٣٣٦ ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٧. وشذرات الذهب ٣/ ١٤٠ وهدية العارفين ١/ ٦٥٢).

٥١- **المُنْصِف في شرح تصريف المازني**: ذكره في إجازته (معجم الأدباء ١٢/ ١٠٩) وذُكِرَ أيضاً في (إنباه الرواة ٢/ ٣٣٦ ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٧). نشره إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين في القاهرة سنة ١٩٥٤م.

٥٢- **المهذب في القراءات**: ذُكِر في (وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٧) وكشف الظنون ٢/ ١٩١٤، وهدية العارفين ١/٦٥٢).

٥٣- **النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي**: ذُكر في (معجم الأدباء ١٢/ ١١٣ وهدية العارفين ١/٦٥٢).

٥٤- **النوادر الممتعة**: ذكره في الخصائص ١/ ٣٣٢ وقال: "وقد شذَّ أصلهُ عني وذكر أيضاً في (معجم الأدباء ١٢/ ١١١ وهدية العارفين ١/ ٦٥٢).

٥٥- **الوقف والابتداء**: ذكر في: (الفهرست: ١٢٨ ومعجم الأدباء ١٢/ ١١٣ وهدية العارفين ١/ ٦٥٢).

الفصل الثاني

آثـــاره النقـــدية

١- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (الفسر).

٢- الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي.

٣- الخصائص

وتشتمل على المواضيع التالية:

أ- الغاية من تأليفه.

ب-منهجه.

ج- أهميته.

١- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (الفسر).

يعد شرح ديوان أبي الطيب المتنبي واحداً من أهم الأعمال التي قام بها تلميذه ابن جني، وذلك حسب ما أشارت إليه معظم التراجم والمصادر، فقد أثبتت كتب التراجم أن ابن جني شرح ديوان المتنبي، ففي يتيمة الدهر قال الثعالبي: "إن ابن جني صحب أبا الطيب دهراً طويلاً وشرح شعره ونبه على معانيه وإعرابه"[١].

وفي معجم الأدباء ذكر ياقوت الحموي أن ابن جني في إجازته للشيخ أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن نصر، راوية كتبه عنه، ذكر جميع مصنفاته ومنها كتابه في تفسير ديوان المتنبي قال: "وكتابي في تفسير ديوان المتنبي الكبير وهو ألف ورقة ونيف، وكتابي في تفسير معاني هذا الديوان وحجمه مائة ورقة وخمسون"[٢].

ومن المؤكد من هذا النص أن لابن جني شرحين على هذا الديوان فالشرح الأول (كتاب تفسير ديوان المتنبي الكبير) منفصل ومستقل عن الشرح الثاني (تفسير معاني ديوان المتنبي) - وسيأتي الحديث عن الشرح الثاني فيما بعد- والشرح الأول (الشرح الكبير) هو الذي أطلقت عليه كتب التراجم اسم (الفسر أو الصبر)[٣]، وبعضها الآخر أطلق عليه اسم (النشر)[٤] ولكنني أرى أن تسمية هذا الشرح باسم (الفسر) أقرب إلى الصحة من التسميات الأخرى، لأن الفسر واضحة الدلالة على الشرح وهو موضوع الكتاب.

---

(١) الثعالبي: يتيمة الدهر، ١/ ١٠٨.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١١/ ١٠٩. وينظر أيضاً ما جاء في: البديعي: الصبح المبني، ص١٦٠، "أن ابن جني أول من شرح ديوان المتنبي". وكذلك ما جاء في: حاجي خليفة: كشف الظنون، ١/ ٨١٠، "وأبي الفتح عثمان بن جني النحوي له عليه شرحان".

(٣) القفطي: إنباه الرواة، ٢/٣٣٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣/ ٢٤٧. البستاني، بطرس: دائرة المعارف، مجلد١، دار المعرفة، بيروت، ص٤٣٦.

(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٣/ ١٤٠.

وقد قام الدكتور صفاء خلوصي بتحقيق جزأين من الشرح الكبير، نشر المجلد الأول منه بعنوان: "ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي الفتح عثمان بن جني المسمى "بالفسر"[1].

كما نشر المجلد الثاني بعنوان "الفسر" أو شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لابن جني"[2].

أ- <u>الغاية من تأليفه:</u>

عندما يتأمل الدارس مقدمة كتاب الفسر لابن جني نجد أنه: أشار إلى هدفه من الشرح، وذكر طريقة فيه، فقال "سألت، أدام الله تسديدك، وأحسن من كل عارفه مزيدك، أن أضع لك شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي بفسر معانيه وإيراد الأشباه فيه وإيضاح عويص إعرابه وإقامة الشواهد على غريبه..."[3].

ذلك هو أول هدف من الفسر، وهو أن يشرح فيه شعر أبي الطيب، ويوضح ما غمض من وجوه إعرابه، ويورد الشواهد على ما تضمنه ذلك الشعر من الغريب، ثم يدل على أصول معانيه، أو الأبيات والأقوال التي ربما استقى المتنبي منها، وصدر عنها ونجد هذا الهدف واضحاً في فسره[4].

والهدف الآخر من شرحه هو دفاعه عن شعر المتنبي، وقد أظهر ما في شعره من مزايا، وأبان ما فيه من سهو أو سقط، ويتضح موقفه منه في قوله: "ولما كان بيني وبينه من وكيد المودة ومستحصد الشُبكة، وإنني لم أرَ شاعراً كان في معناه ولا مُجرياً إلى مداه، ولقد كان من الجد فيما يعانيه، ولزوم طريقه أهل العلم فيما يقوله ويحكيه على أسدّ وتيرة، وأحسن سريرة،

---

(1) الجزء الأول، مطبعة دار الجمهورية، بغداد ١٩٧٠، بغداد١٩٧٠، ص٤١٦. انظر. عواد، كوركيس وميخائيل: <u>رائد الدراسة عن المتنبي</u>، وزارة الثقافة العراقية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩،ص٤٢.

(2) الجزء الثاني، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٨، ص٣٥٢. انظر. كوركيس: رائد الدراسة عن المتنبي، ص٤٢.

(3) ابن جني، أبو الفتح عثمان: <u>شرح ديوان المتنبي (ابن جني: الفسر)</u>، تح د. صفاء خلوصي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٨م، ١/ ٢٠.

(4) ابن جني: الفسر، ١/ ١٥٥- ١٥٦.

وإن كان في بعض ألفاظه تعسف عن القصد في صناعة الإعراب من ارتكاب شاذٍ وحمل على نادرِه، فعن غير جهل كان منه ولا قصورٍ عن اختيار الوجه الأعرف له، ومن هنا تشبث قومٌ لا دربة لهم بالعربية بأشياءَ من ظاهر لفظه، إذ لم تكن لهم خبرة بدخيلة أمره"[١].

لقـد كـان ابن جني صادق الإعجاب بالمتنبي" وعدّه من العلماء والشعراء مؤكداً ذلك بقوله: "حقاً لقد شاهدته على خلق قل ما تكامل إلا لعالم موفق فأما اختراعه للمعاني وتغلغله فيها واستنفاؤه لها فما لا يدفعه إلى ضد، ولا يستحسن معاندته إلا ند، وما أحسبني رأيت أحداً يتناكر فضل هذا الرجل ردحاً من الزمان إلا وشاهدته بعد ذلك قد رجع عنه وعاد إلى تفضيله"[٢].

وهـو يشير بالعبارة الأخيرة إلى أستاذه أبي علي الفارسي الذي كان بعيداً عن الإعجاب بالمتنبي وشعره إلى أن حببه إليه تلميذه ابن جني، فشاركه إعجابه وتقديره له.

ولكـن ابن جني وإن كان يرى في شعر المتنبي تعسفاً في بعض ألفاظه، خرج بها عن القـصد، إلا أن المتأمل في شعره يجد عُمقاً في معانيه، مما يتطلب إعمال الفكر وطول البحث، وتكرار التأمل، لأنه شاعر يخترع المعاني، ويتغلغل فيها، ويستوفيها.

فابن جني كان خير من قام بهذه المهمة، لا لأنه كان بارعاً في النحو والصرف، وعالماً بأسـرار اللغـة فحسب، بل لأنه لازم المتنبي دهراً طويلاً، وقرأ عليه شعره، وسأله فيما اشكل عليه من أمر شعره.

والأهم من ذلك، إذا عرفنا أن هذه الصعوبة في شعره، والتي لم يذللها إلا شرح الديوان، أن المتنبي لم يتورط فيهما عن جهالة أو غفلة، بل كان عالماً، عارفاً بما يصنع[٣].

---

(١) ابن جني: الفسر، ١/ ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٢٠.

(٣) انظـر. عباس، إحسان: عباس، إحسان: تاريخ النقد الأدبي من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق، رام الله، ٢٠٠١، ص٢٧١.

ج- منهجه:

حدد ابن جني منهجه في مقدمة شرحه، فقد نظمه حسب حروف المعجم، وفي مقدمة كل قصيدة يذكر المناسبة[1] وغالباً لا يذكر السنة التي قيلت فيها، مقدماً ما قاله في سيف الدولة، ومشيراً إلى صحبته مع المتنبي، وأنه كان يكثر من الرجوع إليه في تفسير الأبيات الغامضة، كان يورد في شرحه الشواهد لإيضاح المعنى، ويشرح جميع ما يلتبس من شعره، ولا يدعُ مشكلاً من إعراب إلا فسّره، ولا شيئاً من دقيق معانيه إلى بينّه. ويختتم المقدمة مؤكداً أنه يتجنب الإطالة إلا إذا كان ذلك للفائدة[2].

والمتأمل في شرح ابن جني يلاحظ أنه قد حشاه بالشواهد النحوية واللغوية، وأطال في الشواهد على الألفاظ والتراكيب، وكان ذلك على حساب المعنى، فقد عاب عليه القدماء كثرة إيراده لمسائل النحو. قال فيه الواحدي: "فأما ابن جني فإنه من الكبار في صنعة الإعراب والتصريف، والمحسنين في كل واحد منها بالتصنيف، غير أنه إذا تكلم في المعاني تبلد حماره ولج به عثاره، ولقد استهدف في كتابه "الفسر" غرضاً للمطاعن ونهزة للغامز والطاعن إذ قد حشاه بالشواهد الكثيرة التي لا حاجة له إليها في ذلك الكتاب، والمسائل الدقيقة للمستغني عنها في صنعة الإعراب، ومن حق المصنف أن يكون كلامه مقصوراً على المقصود بكتابه، وما يتعلق به من أسبابه، غير عادل إلى ما لا يحتاج إليه، ولا يعرج عليه، ثم إذا انتهى به الكلام إلى بيان المعاني، عاد طويل كلامه قصيراً، وأتى بالمحال هرءاً وتقصيراً[3].

---

(١) انظر مزيداً من الأمثلة في ابن جني: الفسر، ١/ ١٢٠، ١٩٠، ٦٨، ١٠٩، ١١٩، ١٤١، ١٥٨، ١٨٢، ٢٥٠، ٢/٤٦، ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٣٢- ٣٣.

(٣) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد: شرح ديوان المتنبي، دققه في ضوء مخطوطة برلين، د. عمر فاروق الطباع، ج١، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٠، ص٤٠.

كمـــا عـــد صاحب كشف الظنون توسعة في القضايا النحوية واللغوية، من المآخذ التي أخذت على كتابه حيث قال: "فأنه اقتصر فيه على تفسير الألفاظ واشتغل بإيراد الشواهد الكثيرة ومسائل النحو الغريبة حتى اشتمل كتابه على معظم نوادر أبي زيد، وأبيات كتاب سيبويه، وأكثر مـسائله وزهاء عشرين ألفاً من الأبيات الغريبة، وحشاه بحكايات باردة لا يحتاج في تفسير هذا الديوان إلى شيء منها"[1].

وفضلاً عن انشغاله بالجانب اللغوي، لم يلتفت إلى بعض الأبيات ويشرحها، وكان يهمل تفسير البيت أو إيضاح معناه، ولكنها أبيات قليلة جداً ومن ذلك قول المتنبي:

وَمَـا تَـابَ حتَّـى غَـادَرَ الكَرُّ وَجهَهُ   جَـرِيحاً وخَلَّـى جَفْـنَهُ النَّقعُ أرمَدَا[2]

الذي علق عليه ابن جني قائلاً: "النقع" الغبار، قال تعالى: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾[3]. والنقع أيضاً الصياح وليس هذا موضعه"[4].

وكذلك قول المتنبي:

هَنِيـئاً لَـكَ العِـيدُ الـذِي أنْـتَ عِيدُهُ   وَعِـيدٌ لِمَـنْ سَـمَّى وَضَحَّى وَعَيدًا[5]

الـذي شـرحه ابن جني بقوله: "العيد مرفوع بفعله وأصله "ثبت هنيئاً لك العيد" فحذف الفعـل وقامت الحال مقامه فرفعت العيد كما كان الفعل يرفعه، وهذا هو الصحيح، والقياس أن يُقال عِوْد لأنه من عاد يعود ولكنهم أبدلوا الواو ياء"[6].

---

(1) حاجـي خلـيفة، مصطفى بن عبدالله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح، محمد شرف الدين، وكالة المعارف، ١٩٤١م، ١/ ٨١٠.

(2) ابن جني: الفسر، ٢/ ٢٥٩.

(3) سورة العاديات، الآية (٤).

(4) ابن جني: الفسر، ٢/ ٢٥٩.

(5) المصدر نفسه، ٢/٢٦٠.

(6) ابن جني: الفسر، ٢/ ٢٦٠، انظر مزيداً من الأمثلة، ٢/ ٢٦٨، ٢٦٩.

ولـيس فقـط التوسـع في الجوانب اللُغوية ما أُخذ عليه بل أُخذ أيضاً عليه بأنه يُخطئ التفـسير ولا يقـع على المعنى الذي قصد إليه أبو الطيب في مواضع عديدة من شرحه، فعلى الـرغم من أن ابن جني قال: "واشرح جميع ما يلتبس من شعره ولا ادع مشكلاً من إعرابه إلا فـسرته، ولا معـدنا من دقيق معانيه ألا آثرته ليكون هذا الكتاب قائماً بنفسه ومقدما في جنسه وليغنـي الناظـر فيه إذا كان له أدنى طبع أن يقرأه على من فوقه"[1]. فإنه أخطأ في فهم بعض الأبيات الخطأ الظاهر.

ومن ذلك قول المتنبي:

وَبـساتينُكَ الجِـيادُ ومـا تحمِـلُ   مِـن سَـمْهَـرِيَّةٍ سَـمرَاءِ[2]

الذي شرحه ابن جني قائلاً: "أي إنما بساتينك الخيل والقنا وهما نزهتك، والسَّمهرية القناة مستوية منسوبةً إلى السمهري، يقال هو زوج ردينة التي تنسب القنا إليها، فيقال "الردينيّات"، وجعـل القناة على الفرس كالحمل في الشجر"[3]. فعلق الشاعر الأزدي على ما تقدم قائلاً: "إنما جعل القنا كالشجر والخيل هي البساتين"[4].

ولكننا لا نستطيع أن نجزم بخطأ ابن جني لأن تفسيره رغم كل شيء ممكن.

وإذا كان في الفسر شواهد قليلة جداً قد زلت في التعامل معها قدم ابن جني في شرحه، فهذه مواطن، اتخذها خصومه للطعن في شرحه وهولوا من أمرها، فقد عبر د.إحسان عباس عن

---

(1) ابـن جني: الفسر، ٣٣/١. انظر. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م،مادة (سمهر) السمهر في اللغة: الشديد، وهو رجل من العرب.

(2) ابن جني: الفسر، ١/ ١١٢.

(3) المصدر نفسه، ١/ ١١٢،

(4) المـصدر نفسه، ١/ ١١٢، انظر مزيداً من الأمثلة، ٢/ ٤٠، ١/ ٢٠٨، ٢/ ٢٢، ٢/ ٢٦، ٣١، ٣٤، ٤٧، ٣١٨.

ذلـك بقـوله: "وإن أكثـر الذين تناولوه، من بعد، وقفوا عند النقاط الضعيفة فيه أو في الكتاب الصغير الذي اشتمل على أبيات المعاني"[1].

ولمـا كانت الأبيات التي أخطأ فيها ابن جني قليلة، لكن يبقى عمل ابن جني بالرغم من الهجـوم الـشديد عليه يكتسب مميزات كثيرة عن غيره من شروح، فهو أول شرح لغوي لشعر المتنبي، بالإضافة إلى ميزة التلقي عن المتنبي.

وابن جني لغوي ونحوي، وكانت أداته في التعامل مع شعر المتنبي اللغة، وهمّه صحة اللغة ووضوح المعنى، لكنه على الرغم من ذلك ابتعد عن إبراز الجوانب الجمالية والفنية وسبر أغـوارها في شعر المتنبي، ونادراً ما يجانبه الصوابِ في الفهم، ولكن كثيراً ما وُفق في شرحه في كثير من الظواهر الشعرية التي توصل إليها، فكان هادياً لمن جاء بعده.

ج- أهمية الكتاب:

يُعد كتاب "الفسر" من أهم الشروح التي تناولت شرح ديوان المتنبي، ولما كان هذا العمل أول الـشروح، أكثـر الـشرّاح والنقاد في الرجوع إليه لما له من مميزات تميز بها عن سائر الـشروح، فقـد استطاع ابن جني في شرحه جلاء غوامض المعاني، وتوجيه النواحي اللغوية والـنحوية التي أخذت على المتنبي، والتي عدّها الخصوم عيباً من عيوب هذا الشرح، وقد كان لهـذه الظاهـرة أثر عميق جداً في تعامل الشراح القدماء مع هذا الديوان، فكثرت الردود عليه، ومهمـا يكن من أمر فإن ابن جني عالم العربية وصديق المتنبي "قد ترك في شرح هذا الديوان

(1) عباس، إحسان: تاريخ النقد الأدبي، ص٢٧٨.

فـضل كـلام فيه، فإن هذا الشعر قابل لأن يتحمل من الدلالات الشيء الكثير، فكلما أمعنوا في تدارس أبياته وأداموا فيها النظر تفتقت لهم على متجدد المعاني وطريف التأويلات[١].

٢- الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي

يُعد هذا الكتاب، هو الشرح الصغير على ديوان المتنبي، وقد ذكره ابن جني في إجازته لتلميذه الحسين بن أحمد بن نصر (وكتابي في تفسير معاني هذا الديوان وحجمه مائة ورقة وخمسون ورقة"[٢].

وقد شرع الدكتور محسن غياض بتحقيق هذا الشرح الصغير والموسوم "بالفتح الوهبي على مشكلات المتنبي"[٣] بعد أن صحت نسبة هذا الكتاب وعنوانه إلى ابن جني"[٤].

أ- الغاية من تأليفه:

يبدو أن ابن جني ألف هذا الكتاب لبعض خواص بهاء الدولة البويهي، وقد ذكر الأصفهاني ذلك بقوله: "وكان بعض إنشاء خدمته وأغذياء نعمته التمس من عثمان بن جني استخلاص أبيات المعاني من ديوان شعر المتنبي وتجريدها"[٥].

---

(١) الـواد، حسين: المتنبي والتجربة الجمالية، نشر مشترك، دار سحنون للنشر، تونس، والمؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط١٩٩١، ص٥٠.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١١/ ١٠٩.

(٣) حقق هذا الكتاب (محسن غياض) ونشرته مطبعة الجمهورية بغداد، ١٩٧٣م.

(٤) ابن جني، أبو الفتح عثمان، ابن جني: الفتح الوهبي، على مشكلات المتنبي، تح د. محسن غيّاض، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص٦-٩.

(٥) الأصفهاني، أبو القاسم: الواضح في مشكلات شعر المتنبي، تح، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٨م، ص٦.

ولكـــن ابـــن جني في مقدمته لكتابه لم يذكر صراحةً اسم الشخص الذي طلب منه ذلك، يقـــول: "انتهيت أيد الله سيدنا إلى المطاع أمره، والمتمثل محدودة ورسمه، في استخلاص أبيات المعانـــي وما يتصل بها مما هو جارٍ في احتمال السؤال عنه مجراها من جملة ديوان أحمد بن الحـــسين المتنبي وتجريدها ووضع اليد عليها وتحديدها ليقرب تناولها ومشارفتها مع إيثار ذلك عـــند سروح الفكر له وتلفته نحوه ولئلا تدعو الحال مع التماس هذه الأبيات إلى استقراء جميع هذا الديوان الحاصل في الخزانة دامت معمورة بعزه"(١).

وقـــد أشار ابن جني إلى أنه ألف هذا الشرح الصغير بعد أن ألف الشرح الكبير المسمى "بالفـــسر" بقوله: "وذكرت هذا وغيره في الكتاب الكبيرِ في تفسير هذا الديوان"(٢). وقوله: "وادع ذكر الشواهد هنا لاستكثاري منها في الكتاب الكبير في تفسير ديوانه"(٣).

وهدف ابن جني من هذا الشرح على ديوان المتنبي، هو توضيح وتفسير بعض الأبيات الغامـــضة، التي من شأن الأذهان أن تختلف في فهمها، وقد بلغ من غموض بعض هذه المعاني أن سميت الأبيات التي تضمنتها أبياتاً مشكلة أو أبيات المعاني، وقد تصدى ابن جني لها فشرحها في شرحه الصغير.

ب- منهجه:

حـــدد ابن جني منهجه في خطبة الكتاب، فقد نظم شرح القصائد حسب حروف المعجم، وقد اختار من قوافي بعض الحروف وشرحها وأهمل بعضها الآخر، ولم يذكر شيئاً من أبياتها(٤)

---

(١) ابن جني: الفتح الوهبي، ص٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٣، ١٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ص١٥.

"وكان من عادة الشارح أن يذكر الشطر الأول من مطالع القصائد وقد عد مطالع إحدى وثلاثين قصيدة ومقطوعة من أبيات المعاني وشرحها، وهناك خمس وثمانون قصيدةً ومقطوعة لم تذكر مطالعها كاملة بل ذكر الصدر الأول من المطلع، لأنه لم يعدها من أبيات المعاني، وإنما ذكرها ليعرفنا بالقصيدة، وهناك قصيدة واحدة فقط عد المطلع منها من أبيات المعاني ولكنه لم يشرحه[1] وأما بالنسبة لذكره مناسبة القصيدة فلم يكترث كثيراً في ذلك وغالباً ما كان يهمل ذكرها"[2].

وقد اتبع ابن جني طريقة مخالفة للتي تقيد بها في الفسر، فحرص على الإيجاز وعدم التوسع في القضايا النحوية واللغوية، كما أشار إلى إنه قصد إلى المعنى معولاً على ما أجازه المتنبي إياه وقت الاجتماع ومراجعته لكثير من القضايا معه[3]، وأيضاً على ما تتقاضاه مذاهب العرب بصناعة الشعر والشعراء قديمهم ومولدهم على أنحاء طرق هزلهم وجدهم[4].

ولكن ابن جني لم يلتزم بالمنهج الذي رسمه لنفسه بل نجده أحياناً يطيل الشرح في مواضع كثيرة[5] وكان يورد للبيت الواحد أكثر من معنى[6] أو يأتي بأبيات واضحة المعنى ثم لا يفسر منها غير كلمة واحدة يتوهم فيها الغموض مع أن البيت الذي وردت فيه يكون مفهوماً واضحاً[7] أو قد يأتي على بيت ثم لا يفسره بل يميل على بيت آخر يقاربه في المعنى[8] وأحياناً

---

(1) ابن جني: الفتح الوهبي، ص٣٦.

(2) عبيدات، عدنان: الاتجاهات النقدية عند شراح ديوان المتنبي القدماء، عمان، وزارة الثقافة، ٢٠٠٢م، ص٩٢.

(3) انظر للمزيد من الأمثلة في ابن جني: الفتح الوهبي، ٣٦، ٩٠، ٩٥، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١٥٦، ١٦٧.

(4) المصدر نفسه، ص٢٦.

(5) المصدر نفسه، ص٢٨، ٢٩، ٦٩، ٧٨، ٧٩، ٩١.

(6) المصدر نفسه، ص٧٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٤.

(7) المصدر نفسه، ص٣٧، ٤٠، ٤١، ٩٠، ١٧٠، ١٨٠، ١٨٤.

(8) المصدر نفسه، ص٣٦، ١٢٨، ١١٢، ١٥٤.

يتــرك البيت المراد تفسيره ويشتغل بتفسير الشواهد وإيضاح ما أشكل من إعرابها[1] ولكن على الرغم من خروجه عن منهجه إلا أن الاتجاه الغالب عليه هو الإيجاز[2].

ج- أهميته:

يُعــد هــذا الــشرح من أهم الشروح التي تناولت أبيات المعاني، وقد استطاع أن يجلي غوامض هذه المعاني، وتفسير الاستعمالات اللغوية، والمعاني البعيدة والنائية، والتي استطاع ابن جني تقريبها إلى أذهان الناس، بعد أن كان يختلفون في فهمها، لأنها تضمنت قضايا جلبت إليها اهتمامهم وجعلتهم يطيلون الوقوف عليها، فكان ابن جني "أول من فتح هذه الأبيات الغلقة، وأبان غموضها، ويسرّ فهمها للناس، فكان له فضل السبق والريادة"[3]. وهذه الأبيات المشكلة أو أبيات المعانــي هي التي أولاها القدماء معظم عنايتهم، فقد وجدوا في هذه الأبيات مجالاً للقول رحباً، مما جعلهم يمنحون هذه الأبيات عناية فائقة، وإنهم كلما زادوها تأملاً اكتشفوا فيها دقائق ولطائف لم يتبينوها من قبل.

ولــم يسلم ابن جني من مخالفة الآخرين له، لذلك تناولها كثير من الشراح والنقاد بالنقد والتجريح، وقد لقي هذا الشرح رواجاً واسعاً عند القدماء.

الردود على شرح ابن جني على ديوان المتنبي.

أثــار ابــن جني في شروحه حركة نقدية عنيفة، كانت سبباً في إثارة كثيرٍ من الردود، فكان هناك من الشراح والنقاد من استدرك عليه، أو انتقده وتحامل عليه، أو دافع عنه. ومن أهم هذه الردود نذكرها فيما يلي:

---

(1) ابن جني: الفتح الوهبي، ص١٢٦.

(2) المصدر نفسه، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٨، ٦٢، ٦٧، ٨٦، ٧١، ٧٢.

(3) غياض، محسن: مقدمة الفتح الوهبي، ص١٣.

١- ابن فورّجه البروجردي (كان حياً نحو سنة ٤٥٥هـ) في كتابيه: "الفتح على ابي الفتح"[١] و "التجني على ابن جني" وهو ردّ على ابن جني في شرحه لشعر المتنبي، وقد جمع د. محسن غيّاض نصوصاً مبعثرة منه، ونشرها تحت عنوان "٩٦ نصاً" من كتاب مفقود[٢].

٢- علـــي بـــن عيسى الربعي (٤٢٠هـ) في كتابه "التنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شعر المتنبي"[٣].

٣- أبو سهل محمد بن الحسن الزوزني في كتابه "قشر الفسر" وهو ردّ على ابن جني في شرحه لديوان المتنبي (الفسر) [٤].

٤- أبو حيان التوحيدي (٣٨٠هـ) في كتابه "الرد على ابن جني في شعر المتنبي"[٥].

٥- الشريف المرتضى في كتابه "تتبع أبيات المعاني التي تكلم عليها ابن جني"[٦].

٦- أبو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الأصفهاني (ت ٣٧٩هـ) في كتابه "الواضح في مشكلات شـــعر المتنبـــي" ورد ذكـــره فـــي خـــزانة الأدب للـبغدادي، ويعـــد الكـــتاب اختصاراً

(١) حققه عبدالكريم الدجيلي ونشرته وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٤م. وكان محسن غيّاض قد حققه ونشره في المجلد الثاني من مجلة المورد، بغداد، ١٩٧٣م.

(٢) نـــشره محـــسن غـــيّاض في مجلة المورد، بغداد، ١٩٧٧. انظر. كوركيس: رائد الدراسة عن المتنبي، ص ٤٨. الجبوري، عبدالله: أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٧٧م،ص٣٦٥.

(٣) ذُكر في معجم الأدباء، ٢٨٤/٥، والصبح المنبي، ص ٢٦٩. وانظر. كوركيس: رائد الدراسة عن المتنبي، ص٦٢، انظـــر. الجـــبوري: المتنبي في آثار الدارسين، ص٣٦٤. غياض، محسن: مقدمة الفتح الوهبي، ص١١.

(٤) انظر. كوركيس: رائد الدراسة عن المتنبي، ص٦٣، الجبوري: المتنبي في آثار الدارسين، ص٣٦٦.

(٥) ذكـــر في معجم الأدباء، ٣٨١/٥، انظر. كوركيس: رائد الدراسة عن المتنبي، ص٥٨، الجبوري: المتنبي في آثار الدارسين، ص٣٦٥.

(٦) ذكِر في معجم الأدباء، ١٧٤/٥. انظر.غياض، محسن: مقدمة الفتح الوهبي، ص١١.

لكتاب ابن جني الفسر[1]. حققه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، وقد اعتمد ابن عاشور على نسخة الخزانة في تحقيقه[2].

٧- سعد بن محمد بن علي بن الحسن الأزدي الملقب بالوحيد (ت٣٨٥هـ) كانت له ردود وتعليقات أثبتها المحقق صفاء خلوصي في المتن[3].

٨- أبو العباس أحمد بن علي بن معقل الأزدي المهلبي (ت٥٦٧هـ) في كتابه "المآخذ على شرح ابن جني الموسوم بالفسر"[4].

٩- أبو الفضل أحمد بن محمد العروضي (ت٤١٦هـ) في كتابه "المستدرك على ابن جني فيما شرحه من شعر المتنبي"[5].

١٠- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ) في كتابه "شرح ديوان المتنبي" وقد ورد ذكره في مراجع كثيرة جداً[6] وطبع عدة طبعات[7].

١١- أبو البقاء العُكبَري (ت٦١٦هـ) في كتابه "التبيان في شرح الديوان" "شرح ديوان أبي الطيب المتنبي" وقد ورد ذكره في مراجع كثيرة[8].

---

(١) البغدادي، عبدالقادر بن عمر: خزانة الأدب، تح عبدالسلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩ م، ٣٨٢/١. انظر. الجبوري: المتنبي في آثار الدارسين، ص٤٠٩.

(٢) نشرته الدار التونسية، تونس ١٩٦٨م. انظر. كوركيس: رائد الدراسة عن المتنبي، ص٥٣.

(٣) ترجمته في معجم الأدباء، ج١١/١٩٧- ١٩٨. انظر. مقدمة الفسر، ص٥.

(٤) حققه ونشره د. عبدالعزيز بن ناصر المانع، مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٥) حققه محسن غيّاض في كتاب تحت عنوان "خمسون نصاً من كتاب مفقود" ونشرها في مجلة المورد، بغداد، ١٩٧٥.

(٦) انظر. كوركيس: رائد الدراسة عن المتنبي، ص٧٥.

(٧) طبع شرح الواحدي لديوان المتنبي عدة مرات منها (طبعة عبدالحسين حسام الدين وعلي الحجر) بومبي ١٢٧٧هـ في (٣٥٨) صفحة، وطبعة بولاق ١٢٨٧هـ، وحققه ونشره المستشرق الألماني فريدريك ديرتيشي (ت١٩٠٣) وبرلين ١٨٦٨م، وفي سنة ١٩٦٤م. أعادت طبعة مكتبة المثنى. انظر. الجبوري: المتنبي في آثار الدراسين ، ص٣٧٤.

(٨) طُبع شرح العُكبَري عدة طبعات، حققه ونشره مصطفى السقا وزملائه، نشرته مطبعة بأبي الحلبي، ١٩٣٦م. بعنوان "ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العُكبَري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان". انظر رائد الدراسة عن المتنبي، ص٦٦.

٣- الخصـــــائــص:

وهــو مؤلــف من مؤلفات ابن جني القيّمة، وصفه أبو الفتح في الإجازة التي كتبها أبو عبدالله بن نصر، فقال: "وكتابي الموسوم بالخصائص وحجمه ألف ورقة"[(١)].

وقــد قام الأستاذ محمد علي النجار بتحقيقه، ونشره عام ١٩٥٢م[(٢)]. وهو يقع في ثلاثة أجزاء.

أ- منهجه:

المــتأمل فــي منهج كتاب "الخصائص" يجد أن هذا الكتاب مؤلف يضم بين دفتيه اثنين وستين ومائة باب (١٦٢) تناول فيه ابن جني، أهم قضايا اللغة والنحو والصرف والبلاغة والنقد والعروض، وجمع هذه المادة الغزيرة في مصنف واحد، بالدراسة والتحليل والموازنة.

وقد استطاع ابن جني أن يلم بكل هذه البحوث، ولكنه لم يبوبها بحيث يقع كل بحث في باب مستقل عن غيره من الأبواب الأخرى، بل أننا نجد البحث في الموضوع الواحد متفرقاً في عدة أبواب، متداخلاً مع غيره من الموضوعات.

تميز منهج ابن جني بالاستقصاء والشمول، وأفاض بالشرح والتحليل، فقد وقف عند كل قضية وقفة متأنية، فنراه حين يعرض قضية من القضايا يفصّل فيها الكلام ويتعمق في تحليلها، ويستقــصي كل الآراء من أقوال العلماء والنحويين واللغويين، ويناقش آراءهم، ويقلب وجهات النظــر المختلفة وهو لا يكتفي بعرض تلك الآراء بل يعلق عليها مؤيداً أو مستحسناً أو رافضاً

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٠٩/١١.

(٢) طُــبع الجــزء الأول من كتاب الخصائص، لابن جني سنة ١٣٣١هــ/ ١٩١٣م، ونشر بمطبعة الهلال ولم ينشر الكتاب كاملاً، وأعيد تحقيق هذا الجزء، فصدر ضمن الأجزاء التي صدرت عن دار الكتب المصرية، التي قام الاستاذ محمد علي النجار بتحقيقها ونشرها في سنة ١٩٥٢م.

إياها، مبدياً الأسباب في جميع الأحوال، ثم يصدر رأيه الشخصي بعد التمحيص والتدقيق، وهذا يدل على أنه كان ذا مذهب مستقل ويعمل عقله في المسألة حتى يصل إلى الاستقلالية في الرأي.

ونـستنتج مـن ذلك أنه كان كثير العناية بالبحث والتدقيق الشخصي فيما يعرض له من آراء العلمـاء الذين سبقوه، وإنني أرى هذا واضحاً في كتابه الخصائص، إذ أجده يقول: "واعلم فـيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي، مختلفة جهات التغول في فكري"[1].

كـان ابـن جنـي يميل إلى المذهب البصري في النحو، على طريقة أستاذه أبي علي الفارسي في أصول هذا المذهب، وقد استدللت على ذلك من خلال تتبعي لآرائه التي تكشف عن مـيله لهـذا المذهب، فكان دائم الاستشهاد بآراء علماء البصرة من مثل سيبويه والخليل ويونس وابـن حبـيب والمبـرد والمازني وغيرهم[2]. ولكنه لم يغفل آراء المذاهب الأخرى، كالمذهب البغدادي أو الكوفي، ولم يمتنع أن يقول برأيهم إذا رأى الحق، مما يعني أنه كان يستأنس بالآراء التي تخدم كتابه[3]. مما يساعده على تفسير بعض الظواهر ويحل بعض المشكلات ويسوي بين القضايا.

تميـز ابن جني في القياس هو وأستاذه أبي علي الفارسي، وكانا يقولان بأن الخطأ في خمسين مسألة مما بابه الرواية أحب إليهما من الخطأ في مسألة واحدة قياسية[4].

وكـان ابن جني يرى أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب[5]. إلا أنه كان يقـدر السماع عن العرب[6]. فإذا كان المأثور المشهور عن العرب لا يتسق وقوة القياس فضّل ابن جني، الأخذ بالمشهور[7].

---

(1) ابن جني: الخصائص، ١/٤٥.
(2) المصدر نفسه، ١/٧٥، ١١٢، ٢/١٠٦.
(3) المصدر نفسه، ٣/٣١١، انظر أمثلة أخرى ٢/١٠، ١١، ٣١١، ٣٨٩.
(4) المصدر نفسه، ٢/٨٨، وانظر أمثلة أخرى ١/ ١٨٩، ٣٥٨، ٢/٣٨٢.
(5) المصدر نفسه، ١/ ٣٥٧.
(6) المصدر نفسه، ٢/١٠.
(7) المصدر نفسه، ٢/٢٦٠.

كما أنه لا يقول بالقياس إذا تعارض مع السماع عن العرب، يقول: "إذا تعارضا نطقت بالمسموع على ما جاء عليه، ولم تقسه في غيره" ويقول: "وإذا كان الأمر كذلك علمت قوة السماع، وغلبته على القياس"(١).

فكان القياس والسماع من المقاييس المهمة التي اعتمد عليهما ابن جني في نقد الشعراء، ومعالجة القضايا اللغوية، فكان يقف عند بعض الألفاظ واستعمالات الشاعر، ويكشف لنا أخطاء هذا الشاعر، أو يدافع عنه أو يستحسن ما استعمله من ألفاظ وعبارات.

مما كان لهذا أثر كبير في توسيع نقده اللغوي، وتدعيم آرائه النقدية والبلاغية.

ومن الملاحظ أن ابن جني كان ممن يرون الاستشهاد بالشعر، وخاصة بشعر المتأخرين والمولدين في المعاني، وقد استشهد ابن جني نفسه بشعر المحدثين(٢) ولم يقف عند شعر المتنبي في الاستشهاد(٣) بل استشهد بشعر غيره من المولدين.

ومما تميز به منهجه أنه لم يكن مقلداً لأستاذه الفارسي أو لغيره من العلماء من مثل سيبويه، وإن كان قد أخذ بعض الأفكار من أستاذه الفارسي وغيره، فإنه كان يفصّل فيها الكلام ويتعمق ليزيد الفكرة وضوحاً، فضلاً على أنه كان يضرب لها العديد من الأمثلة، ويعزز آراءه بالآيات القرآنية والشواهد الشعرية، وكلام العرب، ويكثر من الأمثلة من الشعر والنثر حتى

---

(١) ابن جني: الخصائص، ٤٦/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٢٤/١.

(٣) المصدر نفسه، ٢٣٩/١.

يصل إلى الحقيقة العلمية التي ينشدها"[1].

ويمكـــن القول إن ابن جني نفرد في البحث في قضايا كثيرة نقدية وبلاغية وبرع فيها، ولـــم يلتفت إليها السابقون، فكان له آراء وتعليلات بلاغية ونقدية تكشف عن ميله إلى التمحيص والتدقيق والاستقلالية في الرأي والاعتدال في الحكم[2].

ب- أهميته:

يُعـــد هـــذا الكـــتاب أهـــم ما كتب ابن جني في النحو واللغة والصرف والبلاغة والنقد والعـــروض، التي أضافت جديداً وفتحت أبواباً مغلقة، لم يتمكن العلماء من فتحها قبله، والولوج إلـــى داخلهـــا، ونـــرى ابن جني الذي كان صاحب دراية واسعة في اللغة، قد افاد من نظريات العلمـــاء السابقين وتطبيقاتهم، في شتى المجالات النحوية واللغوية، والبلاغية والعروضية وغير ذلـــك، ووضـــع أصولاً قوية لكثير من النظريات، التي كانت ولا تزال مجال اهتمام العلماء في الحاضر والماضي.

"ولـــئن سبقه في القرنين الثاني والثالث أئمة من الفحول أمثال الخليل بن احمد وسيبويه وأبي بكر بن السراج، وأبي عثمان المازني وغيره، فإنه قد كان المجّلي عنهم جميعاً في بحوثه التي كانت أساساً لعلوم القراءات والبلاغة والنحو والتصريف واللغة والنقد والعروض"[3].

لـــذلك لاقى هذا الكتاب ما يستحق من التقدير، فإنك لا تكاد تجد بعده كتاباً في اللغة، أو البلاغة، أو التصريف أو النحو إلا وقد اغترف من بحره، وأفاد منه إفادة عظيمة.

---

(١) ابن جني: الخصائص، ٤٤٦/٢، ٣٣٠/٣- ٣٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٣٢٣، ٣٩٢/٢، ١٤٩/٣.

(٣) طلس، أسعد محمد: أبو الفتح بن جني وأثره في اللغة العربية، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد الثاني والثلاثون، العدد الرابع، ص٦٧١.

ومـــن الجديـــر بالذكـــر في بيان أهمية هذا الكتاب هو قدرته الفذة في الربط بين علوم العـــربية بعضها بعضاً فالبلاغة والعروض واللغة والنحو ومعاني الشعر وغيرها مترابطة فيما بينها للاستدلال على بعض القضايا(١).

لذلك كانت دراساته، مصدراً رئيسياً لكل من جاء بعده من علماء النقد والبلاغة، وكانت آراءه هي المصدر الأساسي التي استقى منه البلاغيون والنقاد مادة كتبهم فيما بعد.

ولا بـــد أن أشير في هذا المقام إلى بيان عظيم أثره في عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـــ) (٢) عندما صاغ نظرية النظم فقد نظر بلا شك إلى ابن جني وتأثر بأبحاثه خاصة في مجال البلاغة والنقد والنحو.

فالنظم عند عبدالقاهر الجرجاني ليس إلا توخِّي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، بـــين معاني الكلم، وعلى ذلك يرى أن إعجاز القرآن إنما يكون في نظمه، وفي الألفاظ بعضها ببعضاً وارتباطها نحوياً، ولا يكون في فصاحة اللفظة في حد ذاتها ومن النظر إلى ما جاورها. مـــن الألفـــاظ، فقـــد نظر بلا شك إلى ابن جني وتأثر بآرائه وخاصة في الباب الذي عقده في خصائصه بعنوان "باب في مقاييس اللغة" تحدث فيه عن "مضامة اللفظ للفظ"(٣)، فلو قارنا بين ما قالـــه ابـــن جني وبين قول عبدالقاهر الجرجاني: "واعلم ألا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعـــضها بـــبعض، ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"(٤). نجد أن عبدالقاهر الجرجاني قد استفاد من ابن جني وتأثر به.

---

(١) ابن جني: الخصائص، ١/٢٧٣، ٢٨٧، ٣٠٠، ٣١٢.

(٢) هـــو عبدالقاهـــر الجرجانـــي، وُلد بجرجان، كان فقيهاً شافعيّاً ومتكلماً أشعرياً، ويُعدُّ إمام النحاة، غير أن شـــهرته دوِّت في الآفاق بكتاباته البلاغية، إذ استطاع أن يضع نظريتي علمي المعاني والبيان وضعاً دقيقاً، أما النظرية الأولى فحصَّ بعرضها وتفصيلها كتابه "دلائل الإعجاز" وأما النظرية الثانية فخصَّ بها بمباحثها كتابه "أسرار البلاغة" (ت٤٧١هـــ) ببلدته جُرجان. انظر ترجمته في: السبكي، طبقات الشافعية، ٣/ ٢٦٢. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٣/ ٣٤٠.

(٣) ابن جني: الخصائص، ١/١٠٩– ١١٠.

(٤) الجرجاني، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١م،ص ٩٧.

ونجـــد أيضاً تأثر عبدالقاهر الجرجاني بآراء ابن جني في مواطن عديدة. لو نظرناً إلى اقوال ابن جني وأقوال عبدالقاهر وعقدنا مقارنة بينهما.

وكذلك في الباب الذي عقده ابن جني في خصائصه "شجاعة العربية" وفيه بيان للمواضع البلاغـــية فـــي حذف المبتدأ والمضاف والمفعول به والفعل كان إلهاماً لعبد القاهر عندما تناول مواضع حذف المبتدأ والمفعول به في دلائل الإعجاز[1].

وكـــذلك فـــي كـــتاب "أسرار البلاغة" حيث عقد الجرجاني باباً في "اجعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً"[2] وخلاصته أن المشبه يجعل مشبهاً، والمشبه به مشبهاً، وذلك للمبالغة والتوكيد فـــي نفس السامع، هذا الباب مأخوذ من خصائص ابن جني في الباب الذي عقده "باب من عليه الفروع على الأصول"[3].

فقـــد اســـتطاع الجرجاني من خلال تأثره بأبحاث بابن جني أن يبني نظرية متكاملة في نظام الجملة بلاغياً على أساس نحوي.

وممـــا لا شـــك فيه أن ابن جني كان رائداً في هذا الميدان وفي عقده الصلة بين النحو والبلاغة، وهو عمل عظيم في كثير من الجد والمثابرة.

---

(1) ابن جني: الخصائص، ٣٦٠/٢ وانظر ما يقوله عبدالقاهر في الحذف في دلائل الإعجاز، ص١٧٠.

(2) الجرجانـــي، عبدالقاهـــر: أســـرار البلاغة، تحقيق محمد محمود شاكر، ط١، دار المدني، جده، ١٩٩١م، ص٢٠٥، وما بعدها.

(3) ابن جني: الخصائص، ٣٠٠/١ وما بعدها.

الفصل الثالث

المباحث النقدية والبلاغية

ج- الباب الأول: مباحث نقدية

١- الخصومة.

٢- القدماء والمحدثون

٣- الصنعة

٤- علاقة الشعر بالدين والأخلاق

٥- اللفظ والمعنى

٦- موقف الشاعر سعد الأزدي الملقب "بالوحيد البغدادي" النقدي.

٧- الموازنة

٨- السرقات الشعرية

٩- الفصيح والأفصح

١٠-وحدة النسج

١١-التعقيد والغموض

د- الباب الثاني: مباحث بلاغية

١- المجاز

٢- الاستعارة

٣- التشبيه

٤- الكناية

١- <u>الخصومة</u>

كانت الخصومة حول المتنبي (ت٣٥٤هـ) إحدى البواعث التي وجهت حركة النقد في القرن الرابع الهجري، ونعني بها الخصومة الشخصية "التي أذكتها عوامل لا علاقة لها بالتقاليد الأدبية"[١] فقد كانت لشخصية المتنبي العظيمة وشهرته وكبريائه واعتداده بنفسه من جانب، ولجرأته وركوبه الإستعمالات والصيغ النادرة في شعره من جانب آخر، الأثر الكبير في التألب عليه.

وفي خضم هذا الصراع كان شعر المتنبي ملتقى ثلاث فئات من النقاد، فئة تعصبت له ودافعت عنه حتى لم تر شيئاً يُعاب في شعره، وأبرز من يمثل هذه الفئة ابن جني، وفئة أخرى تحاملت عليه تحاملاً شديداً، وغضت من شأنه، ولم يكن لها من شعره إلا إبراز العيوب، وأبرز من يمثل هذه الفئة الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) صاحب رسالة "الكشف عن مساوئ المتنبي"، والحاتمي (ت٣٨٨هـ) صاحب "الرسالة الموضحة" و "الرسالة الحاتمية"، وابن وكيع التنيسي (ت٣٩٣هـ) صاحب كتاب "المنصف للسارق والمسروق"، والعميدي (ت٤٣٣هـ) صاحب كتاب "الإبانة عن سرقات المتنبي".

وهناك فئة ثالثة وقفت موقفاً منصفاً بين الخصوم والأنصار، وأبرز من يمثل هذه الفئة القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ)، صاحب كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه".

والذي يؤكد حياده النقدي تجاه طرفي الخصومة بين تقريظ المعجبين وتجريح الكارهين[٢].

---

(١) العزاوي، نعمة رحيم: <u>النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري</u>، وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٧٨، ص١٠٧.

(٢) انظر. الجرجاني، علي عبدالعزيز: <u>الوساطة بين المتنبي وخصومه</u>، تح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، مط عيسى بابي الحلبي، مصر، بلا، ص٣.

ويُعد ابن جني من أكثر النقاد القدماء الذين دافعوا عن المتنبي، حيث فطن إلى هذا الضرب من الخصومة الذي دار حول المتنبي، وكان يرى أن الحسد هو الذي عصب عيون بعض النقاد، فحجب عنها ما كان عليه المتنبي من رفعة فن وعلو طبقة. قال ابن جني: "ومن ذا الذي يسلم من قال الناس وحسدهم، وهل خلا الصدر الأعظم والجمهور الأفخم من أهل العلم وذوي الألباب والفهم، من هذه المنافقة والمناقضة، والتعصب والتحزّب على قديم الوقت وإلى زماننا هذا"[1].

وقد استدل ابن جني على أن الحسد كان سبب تجريح المتنبي، والحملة على بعض شعره، وأن أهل العلم الذين برئت صدورهم من الحسد ولم يلّون الهوى، والتعصب نظرتهم إلى الشاعر، قد حكموا له ورأوا تقديمه، وهو يشير بذلك إلى أستاذه أبو علي الفارسي[2].

ثم يمضي ابن جني بعد ذلك ليبين ما كان بين عبدالله بن أبي اسحاق (ت١١٧هـ) والفرزدق (ت ١١٤هـ) وبين الخليل (ت ١٧٥هـ) ويونس (ت١٨٢هـ) وما كان بين الخليل أيضاً وخلف الأحمر (ت١٨٠هـ) وبين سيبويه (ت١٨٨هـ) والكسائي (ت١٨٩هـ) وبين الأصمعي (ت٢١٠هـ) وأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ) وأبي زيد (ت ٢١٥هـ) وما كان أيضاً بين أبي زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ) وأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ) وبين ابن الإعرابي (ت ٢٣١هـ) وأبي تمام (ت ٢٢٨هـ)، وأخيراً ما كان بين المبّرد (ت ٢٨٥هـ) وثعلب (ت٢٩١هـ) ويختتم مواقف الحسد بين مشاهير اللغويين والشعراء الذي سبقوا عصره بقوله: "فإذا كان الفضلاء وأولو الحنكة والبصاير يستجيز بعضهم غضّ بعض ونقصه والوضع منه،

---

(١) ابن جني: الفسر، ١/٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ١/٢٥- ٢٦.

وجمـيعه مـع ذلك عندذ كالأنجم التي يستضاء بنورها، فكيف الآن مع أخلاق الأدب ودروس منارة وإمحّاء آثاره؟"[1].

ثم ينتقل إلى الحديث عن سبب تهجم المعاصرين على المتنبي، فلا يجد لذلك سبباً سوى أنـه متأخر مُحدَث، فتساءل مستغرباً: "فهل هذا لو عقلوا، إلا فضيلة له ومنبه عليه، لأنه حامي زمن يُعقم الخواطر ويُصدي الأذهان"[2].

ويرى ابن جني أن الذي ناصبوا المتنبي العداء وخاصموه ،وحاولوا الوضع من قدره قد دفعـوا إلى ذلك بالحسد والحقد دفعاً، أو أغراهم به بعض الأعيان ممن تعالى عليهم الشاعر فلم يمـدحهم، أو كانوا بمعزل عن العلم بالشعر يُحكمون فيه الآراء الخاطئة والمواقف الجائرة مثلما نبه عليه ابن جني في قوله السابق.

ويـبدو أن المجادلة قد احتدت بين القدماء في شعر أبي الطيب لأنه كثيراً ما كان يعمد إلـى الإغراب بألفاظه الغامضة ومعانيه المتعددة وتراكيبه غير المألوفة، وقد أخذ عليه خصومه كثيـراً من المآخذ من جوانب دلالية ونحوية ولغوية وصرفية وعروضية، يرصدون هذه المآخذ حقداً، وحسداً، وكان هدفهم الإنتقاص من شاعريته. قال الوحيد البغدادي في معرض كلامه عن عيوب شعر المتنبي: "لا تخلو قصيدة من الخطأ في اللغة واللحن"[3].

لـذلك فقد عمد الخصوم إلى تعقب أبيات أبي الطيب والتي لم يجر صياغتها على السنن المطروقة في كلام العرب، قال الوحيد البغدادي طاعناً في شعر أبي الطيب: "والشعر لا يحسن إلا في الأساليب التي أتت بها العرب وبألفاظها"[4].

---

(١) ابن جني: الفسر، ١/ ٢٧-٣١.

(٢) المصدر نفسه، ٣٢/١.

(٣) المصدر نفسه، ٣٢/١.

(٤) المصدر نفسه، ٣٠٢/٢.

ويبدو أن خصوم أبي الطيب طعنوا في ألفاظه وتراكيبه وأوزانه وقوافيه التي لم يأت بها مطابقة لقواعد اللغة، لأنهم شغلوا أنفسهم بمخاصمته أكثر مما شغلوا بتفهّم شعره.

وقد تعامل هؤلاء الخصوم مع شعر أبي الطيب بتحكيم قواعد اللغة، فما تنافر من تراكيب شعره مع هذه القواعد عدوه خطأ ونبّهوا عليه، أو كانوا يلجأون إلى المقارنة بين كلام أبي الطيب وكلام العرب، فإذا لم تكن لتراكيبه نظائر في أشعار الفحول أو كلام الفصحاء، ردّوها عليه بدعوى أنها لم تعرف في العربية.

ولكنني أرى أن هؤلاء الخصوم كانوا يرجعون إلى الشعر القديم كلّما وجدوا فيه سنداً لموقفهم، وأكثر ما كانوا يرجعون إلى قواعد اللغة كلّما لمسوا فيها مدخلاً إلى تخطئه المتنبي، والطعن في تراكيبه وألفاظه.

وكان ابن جني من الذين دافعوا عن المتنبي، وكان هدفه أن يبطل دعاوي الخصوم، ويثبت أن المتنبي شاعر عالم باللغة العربية، ملمّ بأسرار الشعر، وقادر على التصرف فيه، فقد سعى إلى تبرير الأبنية والصيغ التي انتقدت عليه، وقد اعتمد ابن جني في ذلك على السماع عن فصحاء العرب والأعراب من جهة، والضرورة الشعرية واختلاف المدارس النحوية من جهة أخرى، وكان ابن جني يورد نظائر كثيرة من فصيح الشعر القديم حتى تسوغ الأبنية التي انتهك فيها أبو الطيب قواعد الإعراب وترفع عنها الخطأ وعن صاحبها الجهل بالعربية وأسرارها[1].

كما كان في معظم الأحيان، يشفع تلك النظائر بشيء من الإعراب، وقد عرض من أشعار القدماء ومن مصنفات اللغة والنحو، شواهد كثيرة استعملها في الدّلالة على أنّ أبا الطيب لم يأت محظوراً أو يرتكب خطأ في تراكيبه الشعرية، فضلاً على أنه كان يورد للتركيب الواحد، شواهد عديدة تدلّ على أنّ المتنبي أجرى تراكيبه على ما لا يتنافر مع طرائق العرب الفصحاء في التعبير.

---

(1) انظر. الواد، حسين: المتنبي والتجربة الجمالية، ص١٧٠.

وهناك كثير من الشواهد التي كانت سبيلاً لخصوم المتنبي في تعقب سقطاته.

قال أبو الطيب:

وَفَاؤُكُما كالرَّبعِ أشْجاهُ طَاسِمُهُ ... بأن تُسعِدَا والدَّمعُ أشفَاه سَاجِمُهُ[1]

فقد بادر خصومه إلى ردّ هذا البيت ورفضه إذ "لا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء".

وأما موقف ابن جني الذي سأل المتنبي بقوله: "كلّمته وقت القراءة عليه فقلت له: بأي شيء تعلق الباء؟ فقال: بالمصدر الذي هو وفاء، فقلت: بمَ رفعت "وفاؤكما" فقال: بالابتداء، فقلت: أين خبره؟ فقال: كالربع، فقلت له: هل يصح أن يخبر عن اسم قبل تمامه وقد بقيت فيه بقية، وهي الباء؟ فقال: لا أدري، إلا أنه قد جاء له نظائر، وأنشد للأعشى:

لسنا كمن حلّت إياد دارَها ... بَكْرٌ بوقتِ حُبِّها أن تُحصَدَا[2]

وأقبل ابن جني على بيت الأعشى يعلّله فقال: "فأبدل أياد من "من" أي كإياد التي حلت دارها، فدارها ليست منصوبة "بحلت" هذه، وإن كان المعنى يقتضي ذلك، لأنه لا يبدل الاسم إلاّ بعد تمامه، وإنّما نصبها بفعل مضمر دلت عليه العطف والتوكيد، وجميع ما يؤذن بتمام الاسم، ألا ترى أنهم لا يجيزون: مررت بالضارب أخيك زيداً، على أن يبدل الأخ من الضارب، وقد بقيت منه بقية، وهو زيد لأنك لا تعطف عليه، ولا يجيزون مررت بالضارب نفسه زيداً لأنك لا تؤكد وقد بقيت منه بقية، وكذلك لا يجوز أن تكون الباء متعلّقة بالوفا بل هي متعلّقة بفعل

---

(1) ابن جني: الخصائص، ٢/٤٠٣. انظر. ابن منظور: لسان العرب مادة (طَسَمَ). طاسمة: دارسة.

(2) ابن جني: الخصائص، ٢/٤٠٣.

محـــذوف، وكـــذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾[1]. فيكون: إنّه على رجعـــه يوم تبلى السّرائر لقادر، إلا أنه لا يجوز إعرابه على هذا، لأن الظرف على هذا التقدير يكون متعلقاً بالرجع، وقد فصل بينهما بقادر وهو خبر أن، وهو أجنبي من المصدر، ولا يجوز الفصل بين الصلة والموصول بأجنبي"[2].

قال العميدي (ت٤٣٣هـ) عن بيت المتنبي: والله لو أوقد الإنسان ألف شمعة ليستضيء بنورها إلى استنباط غوامض هذا البيت مع القلة الفائدة فيه، لصعب عليه[3].

وقال ابن رشيق ت(٤٦٣هـ): إنه يحتاج إلى الأصمعي ليفسر معناه[4].

وأرى مـــن خـــلال المـــثال السابق أن ابن جنّي اتجه إلى تأويل التراكيب التي جاء بها المتنبـــي غيـــر منسجمة مع كلام العرب وتسويغها حتى يجعلها منسجمة مع قواعد اللغة، وذلك لـــيدفع عن المتنبي اتهام الخصوم شعره بتعسف اللغة وافتعالها، وكذلك إيراده نظائر من الشعر القـــديم كمـــا رأيـــنا بإيراده بيت الأعشى، مشيراً إلى أن فحول الشعراء القدماء قد خرجوا على قواعد الإعراب، فإذا كان الأعشى ومنزلته في الشعر لا تخفى على أحد، قد أجاز لنفسه انتهاك قواعد الإعراب بأن يخبر عن الاسم قبل تمامه، فإن أبا الطيب لا يلحقه أي عيب من أن يجري كلامه على ما أجازه الأعشى لنفسه.

---

(١) سورة الطارق، الآية (٨-٩).

(٢) ابـــن جني: الخصائص، ٤٠٣/٢. وانظر. العكبري، أبو البقاء: التبيان في شرح الديوان، ضبطه د. كمال ديب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ٣٤٥/٣- ٣٤٦.

(٣) العمـــيدي، أبـــو ســـعد محمـــد بن أحمد: الإبانة عن سرقات المتنبي، تح إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م، ص٩٦.

(٤) ابـــن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط، ١٩٨١م، ١٦٠/١.

وفي قول المتنبي

سِــرْبٌ مَحَاسِــنُهُ حُــرِمْتُ ذَواتِهــا　　　دَانِي الصِّفَــاتِ بَعيدُ مَوْصُــوفَاتِها[1]

عــاب عليه خصومه إضافة (ذو) وأخواتها إلى الضمير، قال ابن وكيع التنيسي "وأول هــذه القصيدة (لحنٌ) عند سيبويه وجميع البصريين لأنهم لا يجيزون ذو وأخواتها إلى المضمر، لأنهم لا يجيزون ضربتُ ذاه"[2].

لكــن أنصاره دافعوا عنه، قال ابن جني: "وداني الصفات، لأن الوصف قول وهو قادر عليه متى أراده إلا أن الموصوف بهذه الصفة، وهو السرب بعيد مني، وذكره حاضر معي؛ وفي هــذا البيت شيء من الإعراب لطيف المذهب صنع سِيبويه منه البتة، وهو إضافة ذو وأخواتها إلى الضمير، لأنه لا يجيز: "هذا رجل ضربت ذاه" بمعنى صاحبه وكذلك من تبعه من أصحابه، وقد قال: هو ذواتها، فأضاف ذوات إلى الضمير [وأجاز المبرد إضافة "ذو" ونحوه إلى المضمر فأمــا قــوله: "بعيد موصوفاتها" فَحَسنٌ مستقيم وليس مثل ما أجازه سيبويه ضرورةً، وردَّه عليه أصحابه، وهو إجازته: "مررت بامرأة حسنة وجهها" لأن الضمير [من موصوفاتها] ليست يعود على (السرب) إنما يعود على (الصفات) فجرى ذلك مجرى قولك: "مررت برجل حسن الثياب، طــويلِ أردانُها" فعاد الضمير من (أردانها) على (الثياب)،ولو أعدته على الرجل، فقلت: "طويل أردانهُ" لكان قبيحاً كما وصفناه. أنشد سيبويه للشّمّاخ:

أقامــتْ علــى رَبْعَيْــهِما جارتا صَفاً　　　كمَيْــتَا الأعالي جَونتـــا مُصطَــلاهُما[3]

---

(1) ابن جني: الفسر، ٢/١١٥.

(2) ابن وكيع التنيسي، أبو محمد الحسن بن علي: المنصف في نقد الشعر، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٢م، ص٥٨٤.

(3) ابن جني: الفسر، ٢/١١٦.

"ولم يُجِزْهُ على قبحه، إلاّ في ضرورة الشعر، وقد ذهب فيه غيره إلى غير هذا، وليس هذا موضع شرحه"[1].

والـذي أراه فـي هذا المثال أن ابن جني قد وجد في اختلاف المدارس النحوية مجالاً واسـعاً لإبطال دعاوي الخصوم لتجويز التراكيب التي لم يأت بها المتنبي منسجمة مع المشهور مـن قواعد العربية، وذلك لأن خصوم المتنبي قد استغلوا هذا الجانب من لغته، ونفذوا إليه منه، فأخـذوا بمذهب البصريين، وخطأوه فيما ظهر في شعره من أقوال تساير مذهب الكوفيين، لأن الكوفيـين يأخذون بالنادر والقليل، ويقيسون عليه، أما البصريين، فإنهم لا يقيسون، إلا على ما كثرت شواهد واستفاضت أمثلته[2].

وأيـد صاحب التبيان ما ذهب إليه ابن جني وقال: "إنَّ البصريين هم الذين لا يجيزون ذلك وأجازه المبرد (ت٢٨٥هـ)، أما أهل الكوفة فيجيزونه"[3]..

ويـرى كثير من النقاد المحدثين[4] أن الخصومة التي دارت رحاها حول المتنبي كانت بـسبب تعمده إلى هجر الصيغ المألوفة إلى شئ من الإغراب، وقد أشار إلى هذا إحسان عباس. فقـال: "وصدم المتنبي الذوق مرتين مرة بشخصه المتعالي المتعاظم، ومرة بجرأته في الشعر، جـرأته التـي تـركب المبالغة حتى تمس العقيدة الدينية، وتنتحل آراء فلسفية غريبة وتستخف

---

(١) ابن جني: الفسر، ١١٦/٢.

(٢) انظر. الغزاوي، نعمة رحيم: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص١٢٣.

(٣) العكبري، أبو البقاء: التبيان في شرح الديوان، ٢٣٠/١.

(٤) انظـر. مطلوب، أحمد: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، وكالة المطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٧٣م، ص٢٥١. مـندور، محمـد: الـنقد المنهجـي عـند العرب، دار النهضة، مصر، القاهرة، بلا، ص١٦٥.

بأصول اللياقة والعرف في مخاطبة الممدوحين ورثاء النساء، وتتصرف باللغة تصرف المالك المستبد"[١].

ويقول إحسان عباس في مكان آخر من كتابه تاريخ النقد الأدبي: "إن النقد الذي دار حول المتنبي كان في أكثره هجوماً على المتنبي الإنسان من خلال الشعر"[٢].

٢- القدماء والمحدثون.

تعد قضية "القديم والجديد" من القضايا التي شغلت النقاد في الأدب العربي، وممن عرض لهذه القضية من علماء العربية في القرنين الأول والثاني الهجريين، أئمة اللغة الذين نظروا إلى كل ما هو قديم نظرة تعصب شديد[٣].

وما أن حل القرن الثالث الهجري حتى نشأ تيار يعارض التعصب للقديم، وكان الجاحظ[٤] (ت٢٥٥هـ) أول الأدباء الذين حاولوا إنصاف المحدثين، ثم جاء ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) والذي فصّل الحديث في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء)[٥] عن قضية القديم والجديد في الشعر، وكان له رأيٌ وموقفٌ واضحٌ. "ولما أطل القرن الرابع الهجري خفتت الحماسة للشعر

---

(١) عباس، إحسان: تاريخ النقد الأدبي، ص٢٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٤٥.

(٣) أحمد محمود، سنيه: النقد عند اللغويين في القرن الثاني الهجري، نشر الجامعة المستنصرية، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٧م، ص٦٨.

(٤) انظر. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تح عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٥م، ٣/١٣٠.

(٥) انظر. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: الشعر والشعراء، تح أحمد محمود شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦ م، ص٦٢-٦٣.

القـــديم، وتضاءلت وأصبح أكثر النقاد مجمعين على التسليم بأنه لا فضل لقديم على محدث ولا لمحدث على قديم إلا بالإجادة"[1].

وظهـــر مـــن الـــنقاد فـــي هـــذا القـــرن من يذم التعصب للقديم ويندد به مثل الآمدي والجرجاني[2].

ولا شـــك فـــي أن ابن جني كان مطلعاً على كثير مما قيل في هذه القضية، وما تداولته كـــتب الأدب والنقد، فكان ابن جني فيما أرى من خلال قرأتي في كتابيه "الفسر" و "الخصائص" مـــن الذين ذموا التعصب للقديم، ودعوا إلى الاتجاه إلى الشعر المحدث وقد عد الشاعر المحدث وســـبقه أقـــرانه فـــضيلة له، ومنبهه عليه، قال ابن جني: "وما لهذا الفاضل عيب إلا أنه متأخر محدث، وكل هذا لو عقلوا إلا فضيلة"[3].

ويتـــضح لـــي أن ابـــن جنـــي دافـــع كثيراً عن الشعر المحدث في معرض حديثه عن الـــضرورات، وذهـــب إلـــى أن ما أجازته الضرورة للقدماء أجازته للمحدثين، ومثلما تقبل من القدماء تقبل من المحدثين، ولم يقتنع ابن جني بما ذهب إليه بعض النقاد والمتشددين الذين قبلوا الضرورة من أقوال القدماء، ولم يجيزوا للمحدثين أن يجاروا تلك الأقوال، وحجتهم في ذلك أن الشعراء القدماء كانوا يقولون شعرهم ارتجالاً "لا يتأنون فيه ولا يتلومون على حوكه وعمله..

---

(1) الـــربداوي، محمود: الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام تاريخها وتطورها وأثرها في النقد العربي، دار الفكر ١٩٦٧م، ص٣٣٣.

(2) انظر. الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تح أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٢م، ص٢٨-٢٩. الجرجاني، علي عبدالعزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٤.

(3) ابن جني: الفسر، ٣٢/١.

فضرورتهم إذاً أقوى من ضرورة المحدثين، فعلى هذا ينبغي أن يكون عذرهم فيه أوسع، وعذر المولدين أضيق"[1].

قـال: ابن جني في الرد عليهم ودفع هذه الحجة؟ "تسقط هذا من أوجه: أحدها أنه ليس جميع الشعر القديم مرتجلاً، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه، والملاطفة له، والتلّوم على رياضته، وإحكام سعته نحو مما يعرض لكثير من المولدين. ألا ترى إلى ما يروى عن زُهَير: من إنه عمل سبع قصائد في سبع سنين، فكانت تسمّى حوليات زهير؛ لأنه كان يحوك القصيدة في سنة"[2].

ويورد حكاية عن ابن أبي حفصة وتلبثه في عمل الشعر أنه قال: كنت أعمل القصيدة في أربعة أشهر، وأحككها في أربعة أشهر، وأعرضها في أربعة أشهر، ثم أخرج بها إلى الناس، فقيل له: فهذا هو الحَولي المنقح"[3].

ويضرب لنا ابن جني العديد من الأمثلة من الشعر القديم ليدلل على أن الشعراء القدماء كانوا يعرضون لشعرهم بالتهذيب والتنقيح، قال ابن جني: "ومثل هذا في أشعارهم الدّالة على الاهتمام والتعب في إحكامها كثير معروف"[4].

ثم قال ابن جني: "أن من المحدثين أيضاً من يسرع العمل ولا يعتاقه بُطء، ولا يستوقف فكره، ولا يتعتع خاطره، فمن ذلك ما حدثني به من شاهد المتنبي وقد حضر عند أبي على

---

(1) ابن جني: الخصائص، ١/٣٢٤.

(2) المصدر نفسه، ١/٣٢٤.

(3) المصدر نفسه، ١/٣٢٤.

(4) للمزيد من الأمثلة، أنظر. المصدر نفسه، ١/ ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦.

الأوراجـــي(١)، وقد وصف له طَردا كان فيه، وأراده على وصفه، فأخذ "الكاغد" والدواة واستند إلى جانب المجلس –وأبو علي يكتب كتاباً– فسبقه المتنبي في كَتْبه الكتاب فقطعه علىه ثم أنشده:

ومنزل ليس لنا بمنزلِ

"وهي طويلة مشهورة في شعره"(٢).

وأراد ابــن جنـــي أن يبين لنا في معرض دفاعه عن الشعر المحدث، أن الشعر القديم كالــشعر الحديث، ففي كل منهما المهذب المنقح الذي أبطأ قائلوه في عمله، وفيه المرتجل الذي يــصبر عليه قائلوه، ولم يعملوا فيه يد الاصلاح والتغيير، ويقول ابن جني فإذا كان الأمر كذلك فلا وجه لأن تقبل الضرورة من الشعراء القدماء، وترفض من الشعراء المحدثين.

وقـــدم ابن جني دليلاً آخر دافع من خلاله عن الشعر المحدث وذلك في معرض حديثه عــن الضرورات وكثرتها في أشعار القدماء، حيث قال: "وقد حضر ذلك وشاهده جِلَّة أصحابنا مـــن أبـــي عمرو إلى آخر وقت، والشعراء من بشار إلى فلان وفلان، ولم نر أحداً من هؤلاء العلماء أنكر على أحد من المولدين ما ورد في شعره من هذه الضرورات التي ذكرناها وما كان نحوها، فدّل على رضاهم به"(٣).

ومـــن القـــواعد الـــنقدية التـــي وضـــعها ابن جني في قضية القدماء والمحدثين قوله: "والمحدثون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ" مورداً قول المتنبي:

فحـــبُّ الجـــبانِ الـــنفسَ أوردَهُ الـــبَقَا　　　وحُـــبُّ الشُجاعِ النفسَ أوردَهُ الحربَا(٤)

(١) أبو علي الأوراجي: هو هارون بن عبدالعزيز الكاتب. انظر. ابن جني: الخصائص، ٣٢٧/١.

(٢) ابن جني: الخصائص، ٣٢٧/١. ابن منظور: لسان العرب مادة (كغد) الكاغد: القرطاس.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٣٢٧– ٣٢٨.

(٤) ابن جني: الفسر، ١/ ١٧٢.

قال ابن جني: "ومن أحسن ما جاء في هذا وأشرفه لفظاً قول الحصين بن الحمام المُرّي (ت٦١٢م):

تأخرتُ استبقي الحياةَ فلم أجدْ لنفسي حياةً مثلَ أنْ أتقدَّما[1]

قال ابن جني: "والمحدثون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ"[2].

ويشير إلى أن أبا العباس[3] -وهو الكثير التعقب لجلّة الناس- احتج بشيء من شعر حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ) في كتاب "الإشتقاق" لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه، فأنشد فيه له:

لو رأينا التوكيدُ خُطّةَ عجزٍ ما شفعنا الآذان بالتثويبِ[4]

ويوافقه الرأي ابن رشيق القيرواني في باب المعاني المحدثة بقوله: "قال أبو الفتح عثمان بن جني: المولّدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ، والذي ذكره أبو الفتح صحيح بين"[5].

وبهذا لم يشذ ابن جني عن نقاد عصره، ولم يشأ أن يرفع شعار التعصب للقديم، فهو وإن كان لغوياً يقتضي عمله وطبيعة دراساته بالإتصال بالقديم، والعكوف عليه لم يفسد ذلك ذوقه، وإنما اتخذ هذا الموقف بدافع اعجابه بالمتنبي ودفاعه عنه، حتى وصف بالتعصب له وبالانحياز إليه.

---

(١) ابن جني: الفسر، ١/١٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ١/١٧٢- ١٧٣.

(٣) يريد المبرد محمد بن يزيد الإمام في النحو اللغة والأخبار، وكانت وفاته سنة (٢٨٥هـ).

(٤) ابن جني: الخصائص، ١/ ٢٤.

(٥) ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر، ٢/٢٣٦.

٣- الصنعة

الصَّنْعة في اللغة: وهي حرفة الصانع وعمله الصنعة، وصنعه يصنعه صنعاً، فهو مصنوع وصنع: عمله[١].

ومعاني مادة (صنع) كلها تدور حول مفاهيم العمل والمهارة والحذق.

والصَّنْعة: هي الأسلوب أو الفن، قال ابن قتيبة: "إنّ شعر الخليل بن أحمد بيِّن التكلُّف رديء الصَّنعة"[٢].

وتأتي الصَّنعة بمعنى التعمُّل والإتقان[٣].

ومن أكثر النقاد دقةً في تعريف الصَّنعة هو أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) فكان مما قاله في تعريفها: من أن الصنعة هي "النقصان عن غاية الجودة والقصور عن حد الإحسان"[٤] وهو يستدل على ذلك بقول النابغة، لما دخل يثرب وصحح إقواء كان في شعره: "دخلت يثرب فوجدت في شعري صنعة... فخرجت منها وأنا أشعر العرب".

ويشرح أبو هلال العسكري هذا القول بهذه العبارة: "أي وجدت نقصانا عن غاية التمام"... بل إنه بهذا المعنى يشرح قول "ابن الاعرابي" "لما أمر بتخريق أرجوزة أبي تمام إذ قال: "خرق، خرق، لا جرم إن أثر الصنعة فيها بين". أما قولهم قال الفرزدق: القصائد تصنعاً، فمعنى ذلك أنه قالها ناقصةً عن حد الإحسان"[٥].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صنع).

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٧٠/١.

(٣) الجرجاني، علي عبدالعزيز: الوساطة، ص١٧.

(٤) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله: الصناعتين في الكتابة والشعر، تح علي محمد البجاوي وآخرين، عيسى بابي الحلبي، ١٩٧١م، ص٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٦.

الـــصنعة من القضايا المهمة التي تناولها النقاد العرب القدماء وناقشوها، وقد اتفق النقاد على أن الشعر صنعة كسائر الصناعات وهو في حاجة إلى الطبع والدربة والإطلاع[1].

وقـــد خلـــط بعـــض النقاد بين التكلف والصنعة، كابن قتيبة، عندما قال: "ومن الشعراء المـــتكلف والمطـــبوع، فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظـــر، كزهير والحطيئة، وكان الأصمعي يقول: زهير والحطيئة وأمثالهما من الشعراء عبيد الـــشعر، لأنهم نقحوه، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين"[2] وكأن ابن قتيبة بذلك يرى أن الكلام المطبوع هو الذي يأتي عفو الخاطر لا يكلف، صاحبه مئونة الكد في تثقيفه وتقويمه.

ولكن في الحقيقة أن الصنعة غير التكلف، والفرق بينهما كبير.

ويمكـــن القـــول إن معظم نقاد العرب يرون أن الطبع والصنعة لا يتعارضان بل يتفقان ويتناصـــران فيقوي أحدهما الآخر ويشتد، لأن إرسال النفس على سجيتها أمرٌ غير كافٍ، ما لم يؤازره تعهد للكلام وتنقيح له.

وعلـــى هـــذا فقد رأى معظم النقاد أن التكلف شيء مذموم قبيح في الشعر، لأن الشاعر يكـــون همّـــة تلمـــس الصناعات البديعية ويملؤها في شعره، والتي من شأنها أن تصرف جهد الشاعر عن الوفاء بحق المعنى، حتى يغمض أو يصبح المعنى تافهاً لا قيمة له.

وقـــد ذهب ابن جني إلى مثل ما ذهب إليه النقاد من أن الصنعة، أو تعهد الكلام بالتنقيح أمـــر ضروري للشاعر. ومما يستدل على أن ابن جني كان يفضل التنقيح، ويعلي شأن التهذيب

---

(1) انظر. الجمحي، محمد بن سلام: طبقات فحول الشعراء، تح محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، بلا، ص٥. ابن طباطبا العلوي، أبو الحسن محمد بن أحمد: عيار الشعر، تح طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة ١٩٥٦م، ص ٢٣-٢٤. أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص١٥١.

(2) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٨٢٧.

أنـــه مـــدح المتنبـــي بالملاءمة بين مفردة وأخرى، بإيثار صيغة يقتضيها السياق، وترك أخرى تحدث نشازاً فيه.

قـــال ابـــن جني: "ومما استدللت به على حصافة لفظه، وصحة صنعته، ودقة فكره أني سألته يوماً عن قوله:

وَقَــد عَــادَتِ الأجفــانُ قرحاً من البكا   وعــادَ بَهــاراً فــي الخُدُودِ الشَّقَائِقُ[١]

فقلـــت (أَقَرحى) ممال أم قرحاً منون جمع (قرحة)، فقال: قرحاً منون، ثم قال: ألا ترى بعـــده: وعاد بهاراً في الخدود الشقائق، يقول فكما أن بهاراً جمع بهار وإنما بينهما الهاء فكذلك قرحاً جمع قرحة وإنما بينهما الهاء، يوفق بذلك بين الكلام، فليت شعري هل يصدر هذا عن فكر مدخول أو روية مشتركة"[٢].

ويقـــف ابـــن جني عند بيت المتنبي بقوله: "وإنني لأعجب ممن يجهل فضله وهو الذي يقول:

إذا كـــان شَــمُّ الــرَّوْحِ أدنــى إِلَيْكُــمُ   فَــلا بَرِحَتْنِــي رَوْضَــةٌ وَقَــبُــــولُ[٣]

ويقول فيه: "فأي متحدّث يتعالى إلى أن يقول: "فلا برحتني" وهل هذه الفصاحة والطلاقة إلا نور من عند الله عز وجل استودعه قلبه"[٤].

وكذلك قول المتنبي:

أَبْــرَحْتَ يــا مَــرَضَ الْجُفُونِ بِمُمْرَضٍ   مَــرِضَ الطَّبِــيبُ لَــهُ وعِيْــدَ الْعُوَّدُ[٥]

---

(١) ابن جني: الفسر، ٢٤/١. انظر. ابن منظور: لسان العرب مادة (بهر) بَهاراً: ورد أصفر.

(٢) المصدر نفسه، ٢٤/١.

(٣) المـــصدر نفسه، ٢٤/١. انظر. ابن منظور: لسان العرب مادة (روح) الرَّوْح: نسيم الريح الشرقية، التي تأتي من وراء القبلة.

(٤) المصدر نفسه، ٢٥/١.

(٥) المصدر نفسه، ٣٢٧/٢- ٣٢٨.

قـــال ابن جني: (أبْرَحْتَ) تجاوزتَ الحدَ... ويعني بالمُمْرِضَ جفنَها و (مرِضَ الطبيب وعيدَ العُوَّدُ) مثلٌ، ولا طبيب هناك ولا عُوَّدُ وهذا كقول جميل:

رمتنِـــي بـــسهمٍ ريـــشُه الكُحْل لم يضرْ ضواحيَ جلدي، فهو في القلبِ جارحُ[١]

ويـــتابع ابن جني قوله: "ولا سهم هناك، ولكنه لما ذكر السهم ذكر الريش طبعا واحكاماً للصنعة".

فـــرد عليه الوحيد، بقوله: "هذا من أحكام الصنعة لعمري فأما الطبع فغيره، وأما قوله: (مرِضَ الطبيبُ له وعيدَ العُوَّدُ) فإنما يقول ويعظّم مرضَه أي من رآه مرضَ من رحمته، وليس كبيت جميل الذي استعاره[٢].

وأرى أن ابـــن جنـــي يمتدح صنعة المتنبي، قائلا: "أذم شارد لفظه وأميز ما يداخل قوة الصنعة من نقص في بعضه"[٣].

لكن ابن جني لم يعلل لنا ظاهرة الصنعة في شعر المتنبي فقد عاب عليه تجاوزه لقواعد الإعراب بنزوعه إلى استعمال الشّاذ والنادر في لغته، إلاّ أنّه يستدرك فلا يعتبر ذلك نقصاً عنده بل هو عن وعي ودراية بالأمر، ويشير أيضاً إلى قصور البعض عن فهم مقاصد شعره إذ أنهم لـــم يسبروا أعماق تجربته الشعرية، وينتهي بالإعتراف بالإجادة للمتنبي وإرجاع ذلك إلى جانب المعاني التي يرى فضله في اختراعها والتغلغل فيها واستيفائها.

ولكن شوقي ضيف في كتابه "الفن ومذاهبه في الشعر العربي" –وهو من النقاد المحدثين والمعجبين في شعر المتنبي– يعلل لنا ظاهرة تصنع المتنبي، والذي يسلكه في مذهب التصنع،

---

(١) ابن جني: الفسر، ٢/٣٢٧– ٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ٢/٣٢٧– ٣٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٣٢.

ويرى أنه على الرغم من ضروب التصنع المختلفة التي كان يعتمد عليها في صنع شعره استطاع "أن يحلق في أسمى أفق الشعر العربي" وأن يخفي بمهارته حقيقة فنه وصناعته، وعانه على ذلك أنه "كان صاحب صوت ضخم لا يرتفع به حتى يُحدث جلبة شديدة"، وأن هذا هو الذي ضلل النقاد قديماً وحديثاً في فهمه، فنسوا أنه "كان قُطْباً كبيراً في مذهب التصنع".

ويرى شوقي ضيف في كتابه السابق أن للمتنبي طبعة جديدة تميزه عن غيره من الشعراء في الجانب الذي يسميه "بالمركب الفلسفي" الذي جعله قاعدة اساسية يقوم عليها بناؤه الفني، ومقوماً أساسياً يعتمد عليه العمل الفني عنده، وهو عنصر أثقل شعره بكثير من الأفكار العقلية التي استمدها من تعمقه من ثقافات عصره المتعددة، وأيضاً مما اكتسبه من خبرة، وما نضج في عقله من حكمة، ومن خلال تجاربه الشخصية الواسعة التي أكسبته رؤية متميز للحياة، وبقدر ما تخفف المتنبي في شعره من أثقال الزينة اللفظية، وحرّره من قيود الزخرف البديعي، بقدر ما أثقله بالأفكار العقلية البعيدة، والتراكيب التي كان في كثير من الأحيان يحرص على أن يبنيها بناء منطقياً أرسطياً، وبقدر ما عقدّه بالصياغة الفلسفية التي تحتاج إلى كثير من الجهد العقلي من أجل النفاذ إلى أغوارها العميقة، والإحاطة بأبعادها البعيدة[1].

٤- العلاقة بين الشعر والدين والأخلاق

وتعد من أبرز القضايا النقدية التي شغلت النقاد العرب القدماء، فقد اختلفوا في موقفهم من هذه القضية ما بين مؤيد ومعارض، فمنهم من يرى ضرورة قياس الأدب بمقياس الدين

---

(١) انظر. ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ط١١، بلا، ص٣٠٣-٣٤٩.

والأخلاق، ومن هؤلاء النقاد أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ) والذي ذهب إلى ربط الشعر بالدين في رسالته التي بعث بها ابن المعتز[١].

ومنهم من يرى أن الأدب ينبغي ألا يخضع لمقياس الدين والأخلاق لأنه يحول بين الأديب والإبداع.

فالأصمعي (ت٢١٠هـ) الذي عرف عنه تدينه يقيم حداً فاصلاً بين الشعر والدين ويراهما عالميين منفصليين لا يتصل أحدهما بالآخر، وفي اتصالهما حيف على الشعر نفسه، ويعبر عن ذلك في قوله المشهور: "طريق الشعر إذا أدخلته باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره باب الخير من مراثي رسول الله ﷺ وحمزة وجعفر لان شعره"[٢].

وقد كان ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) يستروح شعر أبي نواس في المجون ويستنشده في مجالسه، ولما كلمه ابن الأنباري في ذلك كان مما رد عليه في قوله: "ولم يؤسس الشعر بانيه على أن يكون المبرز في ميدانه من اقتصر على الصدق ولم يقر بصبوة ولم يرخص في هفوة"[٣].

وإذا ألقينا نظرة على أثر هذه العلاقة في النقد العربي القديم، نجد أن هذا النقد قد أكد الفصل بين المعيار الدين والأخلاقي وبين المعيار الفني، فالعامل الأخلاقي لم يكن هو الغاية المثلى عند بعض النقاد، ونجدهم قد ركزوا على الجودة الفنية للشعر، وقلما نجد ناقداً لم يطلق العنان للشاعر ولم يسمح له بالتحليق في مختلف الأجواء، كما نرى مثلاً عند

---

(١) الحصري القيرواني، أبو اسحق إبراهيم: جمع الجواهر في الملح والنوادر، تح علي البجاوي، ط١، دار إحياء التراث، ١٩٥٣م، ص٤٠-٤١.

(٢) المرزباني، أبو عبدالله محمد بن عمران: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق علي محمد البجاوي، نهضة مصر، ١٩٩٠م، ص٧٦.

(٣) الحصري القيرواني: جمع الجواهر، ص٤٠-٤١.

قدامة بن جعفر (ت٣٢٦هـ) الذي يرى أن فحاشة المعنى في نفسه لا تزيل جودة الشعر فيه، بل أنـــه ليذهب في ذلك إلى وضع القاعدة التي تعترف به، وتزكيه فيقول: "وعلى الشاعر إذا شرع فـــي أي معنى كان من الرفعة، والضعة والرفث والنزاهة والبذخ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة"(١).

وقد أبان الآمدي (ت ٣٧١هـ)عن أنه من أنصار هذا الرأي ومن القائلين به وهو يقول: "والشاعر لا يطالب بأن يكون قوله كله صدقاً ولا أن يوقعه موقع الإنتفاع به لأنه قد يقصد إلى أن يوقعه موقع الضرر"(٢).

ولا بـــد أن أشير في هذا المقام إلى موقف القاضي الجرجاني(ت٣٩٢هـ)(٣) والذي كان معاصـــراً لابـــن جنـــي، وكان يرى أن الدين يجب أن يكون بمعزل عن الشعر، وأن الأدب لا يخـــضع لمقياس الدين، وأنه على الناقد ألا يعيب شاعراً بسبب ما فيه من سوء اعتقاد ولكنه في موقفه هذا نراه يدافع عن المتنبي أمام هؤلاء الذين غضوا من شعر أبي الطيب، ونقضوا شعره بسبب ما في شعره من أبيات تكشف عن رقة دين أو فساد اعتقاد.

قـــال القاضـــي الجرجاني: "فلو كانت الديانة عاراً على الشعراء، أو كان سوء الإعتقاد ســـبباً لتأخـــر الـــشاعر، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره، إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد عليه الأمة بالكفر، ولوجب أن يكون كعب

---

(١) قدامـــة بـــن جعفـــر: نقد الشعر، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص١٣، ١٤.

(٢) الآمدي: الموازنة، ص١٨١.

(٣) القاضـــي الجرجاني هو: أبو الحسن علي بن عبدالعزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني، كان قاضـــياً في الرّيّ في أيام الصاحب بن عباد، وكان أديباً أريباً كاملاً، ذكره الحاكم في تاريخ نيسابور، ومن تصانيفه: كتاب "تفسير القرآن المجيد" وكتاب "تهذيب التاريخ" وكتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" مات سنة (٣٩٢هـ) ودفن في جرجان. انظر. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٤/ ١٤-١٦.

ابن زهير وابن الزبعري وأضرابهما ممن تناولوا رسول الله ﷺ وعاب منه أصحابه بكماً خرساً، وبكاء مفحمين، ولكن الآمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر"[1].

ولـم يخـرج ابن جني عما قاله النقاد في هذه القضية، حيث ذهب إلى تأييد ضرورة الفـصل بـين المعـيار الدينـي والأخلاقي، وبين المعيار الفني. قال ابن جني: "ليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعر ورداءته، لأن كلاً منها منفرد عن صاحبه، ولم أقصد في هذا الكتاب إلى شرح مذهبه بتصحيح أو غيره"[2].

"وقد عدّ ابن جني الجمال الفني للشعر فوق الاعتبارات الدينية والأخلاقية"[3].

فقد قال معقباً على قول المتنبي

أبُـوكَ وأجْـدَى مَـا لَكمْ مِن مَناقبٍ ... وأبْهَـرُ آيـاتِ التِّهَامِـيّ أنَّـهُ[4]

"يـريد بالتهامـي النبـي ﷺ وقد أكثر الناس القول في هذا البيت، وهو في الجملة شنيع الظاهـر وقـد كان يتعسف في الاحتجاج له، والاعتزاز منه بما لست أراه مقنعاً، فاضربت عن ذكره"[5].

وقد عدّ صاحب التبيان تفسير ابن جني لهذا البيت تشنيعاً على المتنبي وبعداً عمّا يريد، مـستفيداً من تفسير الواحدي الذي عدّ بيت المتنبي عادياً ولم يخرج عن المألوف، ومعنى البيت عندهما أن كون النبي التهامي أباً لكم يُعد هذا من مناقبكم التي تفخرون بها على الناس[6].

---

(1) الجرجاني: الوساطة، ص٦٣-٦٤.

(2) ابن جني: الفسر، ٣٤٦/١.

(3) المصدر نفسه، ٣٤٦/١.

(4) المصدر نفسه، ٣٠٨/١.

(5) المصدر نفسه، ١/ ٣٤٦.

(6) العكبري، أبو البقاء: التبيان في شرح الديوان، ١٦٤/١.

لكننـــي أرى أن المتنبـــي قد عدّ ممدوحه من معجزات الرسول ومن آيات التصديق، به وهذا من الغلو والإفراط.

ويبدو من هذا النص أن المتنبي كان يحس الحرج من هذا البيت ومن بيت آخر وهو

يَتَرَشَّـفْـــنَ مِـنْ فَمِـي رَشَفَـاتٍ   هُـنَّ فِـيهِ أحْلَـى مِـنَ التَّوحِـيـدِ[1]

ويعقـب ابن جني بقوله: "وكان ينشده أيضاً (هن فيه حلاوة التوحيد)، واستغفر الله مما يكره، ومعناه أحلى من التوحيد في القلب"[2].

وذهب القدماء إلى استهجان هذا البيت، فقالوا: "هذا إفراط وتجاوز"[3].

وقـد علـق الوحيد على ما تقدم بقوله: "وكأن يحتاج أن يقول: "حلاوة التوحيد في قلب المؤمن" وإلا فالتوحيد مرٌّ عند الكافر، والكفّار في الدنيا أكثر عدداً من المؤمنين، وهو مكروه مرّ عـندهم، فأما أحلى من التوحيد" فإنما جاء به على طريق المثل، لا عن طريق الخير، كما تقول أوضح النهار، وأرقّ من الماء"[4].

وكان قد عيب على المتنبي المبالغة وإسرافه في تجاوز الحدود الدينية، فقد طعن القدماء في عقيدته بسبب بعض أشعاره التي تتسم بالمبالغة، واستعظم النقاد أن يتطاول أبو الطيب على المقدسـات الدينية، ولكن ابن جني لم يدخر وسعاً في الدفاع عنه، فإنه كان يحاول شرح الأبيات بما يدرأ عنها الشبهة، ليبعد تهمة الكفر ضد المتنبي، وهو يعد ما قاله المتنبي لا يعني كفراً وإنما هو إفراط في المبالغة.

---

(١) ابن جني: الفسر، ١/ ٣٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ٢/ ٣٠٨.

(٣) العكبري، أبو البقاء: التبيان في شرح العكبري، ١/٣٢٠.

(٤) ابن جني: الفسر، ٢/ ٣٠٨.

وكـــان الـــنقّاد قد شُغلوا طويلاً بظاهرة الغلو والإفراط والإحالة في الشعر، وقفوا منها مواقف مختلفة.

فكـــان قدامــــة فـــي طليعة الذين استحسنوا المبالغة ودافعوا عنهم، وهو ممن يفضلونها يقول: "إني رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذهب الشعر،وهما: الغلو في المعنى إذا شرع فـيه، والاقتصار على الحد الأوسط فيما يقال منه[1]. " ثم يقول بعد عرض هذا الاختلاف حول المبالغة أو الغلو: "إن الغلو عندي أجود المذهبين، وهو ما ذهب غليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قـــديما. وقـــد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه، وكذلك يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم"[2].

لقد نقل لنا قدامة جانباً من جدل العرب حول قضية الكذب في الشعر[3].

ويـــتحدث القاضــــي الجرجاني عن المبالغة ويطلق عليها الغلو أو الإفراط ويراها مذهبا عاما في المحدثين، وكثيرة في شعر الأوائل: فيقول: "... فأما الإفراط فمذهب عام في المحدثين، وموجود كثير في الأوائل، والناس فيه مختلفون، فمستحسن قابل، ومستقبح راد، وله رسوم متى وقـــف الشاعر عندها، ولم يتجاوز الوصف حدها جمع بين القصد والاستيفاء، وسلم من النقص والاعتداء، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية، وأدته الحال إلى الإحالة، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشعبه من الإغراق، والباب واحد، ولكن له درج مراتب"[4].

---

(١) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٢.

(٣) انظـــر. درابـــسة، محمـــود: الاستشراق الألماني المعاصر والنقد العربي القديم، مؤسسة حمادة، الأردن، ومكتبة المتنبي، السعودية، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٢٥.

(٤) الجرجاني، علي بن عبدالعزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٤٢٠.

ونرى أن ابن جني لم يخرج عن نطاق ما قاله النقاد القدماء عن المبالغة في الغلو والخروج عن الإحالة، وهو يريد بذلك الدفاع عن أبي الطيب وأن شعره لم يسقط بسبب تلك المبالغة.

وكان كثيراً ما يمتدح المتنبي في خلقه، قال ابن جني: "حقاً أقول لقد شاهدته على خُلق قلما يتكامل إلا لعالم موفق"[1].

لكن الوحيد البغدادي كان ممن عارض ابن جني على استحسانه المبالغة في الشعر عند المتنبي، إذ أن المبالغة المفرطة في رأي الوحيد ليست من أفخر الكلام[2].

ويظهر في موضع آخر أيضاً حرص ابن جني في الدفاع عن المتنبي من الناحية الدينية، ففي قول المتنبي:

تَمَتَّعْ مِن سُهادٍ أوْ رُقادِ ولا تأمُلْ كرىً تحتَ الرِّجامِ

فإنَّ لثالثِ الحالَيْنِ مَعْنى سِوَى مَعْنى انْتِباهِكَ في المنامِ[3]

ويعلق ابن جني على ما تقدم: "أرجو له أن لا يكون عفا الله عنه أراد أن نومة القبر لا انتباه لها"[4].

وكذلك قول المتنبي:

تتقاصَرُ الأفْهامُ عن ادْراكِهِ مِثْلُ الذي الأفْلاكُ فيهِ وَالدُّنا[5]

---

(1) ابن جني: الفسر، ١/٢٢.

(2) المصدر نفسه، ١/ ١٠٤. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (رَجَمَ). الرِّجام: القبو. ثالث الحالين: الموت.

(3) ابن جني: الفتح الوهبي، ص١٦٠.

(4) المصدر نفسه، ص١٦٠.

(5) المصدر نفسه، ص١٧٠.

قال ابن جني: "أي: هو مثل علم الله الذي يشتمل على الأفلاك والدنا، وأفرط جداً، عز الله وعلا علواً عظيماً، وأرجو له -عفا الله عنه- ألا يكون أراد بجمع الدنيا ما يريد أهل الأدوار ومن يقول بالكرة والتناسخ[١].

وفي قول المتنبي:

غَلِتَ الّذي حَسَبَ العُشُورَ بآيةٍ   تَرتيلُكَ السُّورَاتِ مِن آياتِها[٢]

قال ابن جني: "ترتيلك السور وتجويدك، قرآنها، تلاوتها إحدى آياتها وزائد فيها، وكان سبيله أن يُعدّ من آياتها، فترك ذلك "غَلَتّ في الحساب[٣].

٥- اللفظ والمعنى

تعد قضية اللفظ والمعنى من أهم القضايا التي شغلت العلماء في النقد العربي القديم، وكثر الجدل حول هذه القضية، واحتدم الخلاف، وقد تباينت وجهات النظر حول أهمية كل من جانبيها.

وقد ظلت هذه القضية متداولة بين النقاد، فكان هناك من النقاد من يرى الجمال في المعنى دون اللفظ كأبي عمر الشيباني (ت٢٠٦هـ)، ويؤكد الجاحظ في كتابه الحيوان: إن أبا عمرو الشيباني كان يوجه جلّ اهتمامه إلى المعنى، وها هو يستحسن بيتين من الشعر لمعناهما، دونما أدنى اهتمام بصياغتهما اللغوية والجمالية والبيتان هما:

لا تحسبن الموت موت البلى   فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت، ولكن ذا   أفظع من ذاك لذلّ السؤال[٤]

---

(١) ابن جني: الفتح الوهبي، ص١٧٠.

(٢) ابن جني: الفسر، ١٤٣/٢. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (غلتَ). غلت: غلط في الحساب، وغلطَ في الكلام، كلاهما واحد.

(٣) المصدر نفسه، ٢/ ١٤٣.

(٤) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، ٣/ ١٣١.

وكان من النقاد أيضاً من اعتبر الجمال في اللفظ والمعنى معاً كبشر بن المعتمر (ت٢١٠هـ) والذي نوه بحلاوة اللفظ وحسن المعنى، وكان مما قاله في صحيفته: "إياك والتوعر فإن التوعر يسلمك من التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، ومن أرغ معنى كريماً، فليلتمسن له لفظاً كريماً، فإنما حقّ المعنى الشريف: اللفظ الشريف"[١].

فنرى أن بشر بن المعتمر ينتصر للفظ، والمعنى معاً، فلا يغلّب أحدهما على الآخر، بل يطالب باختيار المعنى المناسب للفظ المناسب، دون تقعر أو غموض في كليهما.

وكان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) من أبرز النقاد الذين أثاروا هذه القضية حين قال: "والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء. وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[٢].

ونجد أن الجاحظ من خلال مقولته يشير إلى أن المعاني متاحة لكل إنسان ليغرف منها ما يشاء، فهي ليست مقصورة على فئة دون فئة، بل هي معروفة للجميع، ولكن الجاحظ يعطي أهمية كبرى للفظ في الشعر، فهو وإن كان يعنى باللفظ عناية فائقة، ولكنه لا ينبغي أن يفهم من هذا القول أن الجاحظ ينكر المعاني وشأنها في بلاغة القول، فبلاغة القول عنده هي المزاوجة أو الملاءمة بين اللفظ والمعنى، وهذه المزاوجة أو الملاءمة تتمثل في الأسلوب القوي المحكم، أو في "نظم" الألفاظ التي يتطلبها المعنى على نحو يتيح لجوهر المعنى أن يبدو كاملاً واضحاً مؤثراً، فنظم الكلام على هذا النحو عنده هو الذي يضفي عليه نعوت البلاغة، ويمنحه قوة التأثير في النفوس.

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨م، ١/ ١٣٦.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، ١٣١/٣.

وممن سوى بين اللفظ والمعنى كذلك ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، فخير الشعر عنده ما حسن لفظـه وجاد معناه "فإذا قصر اللفظ عن المعنى، أو حلا اللفظ، ولم يكن وراءه طائل، كان الكلام معيباً، ويمثل لهذا الضرب الأخير بقول القائل:

ولمّا قضينا من منىً كل حاجّة ومسّح بالأركان من هو ماسحُ

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الأباطحُ[1]

ويعلـق ابـن قتيبة عن هذه الأبيات بقوله: "هذه الألفاظ أحسن شيء مطالع ومخارج ومقاطع؛ فإذا نظرت على ما تحتها وجدته: ولما قضينا أيام منى، واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا النضاء، ومضى الناس لا ينظر من غدا الرائح، ابتدأنا في الحديث، وسارت المطي في الأبطح"[2].

فقد نشر ابن قتيبة تلك الأبيات لكي يبين تفاهة معناها، "ونرى أن ابن قتيبة لا يعتبر الشعر ذا معنى إلا إذا اشتمل على حكمة أو مثل أو فكرة فلسفية أو معنى أخلاقي، أما ما عدا هذا من مجرد التصوير لحالة نفسية أو التعبير عن موقف نفسي أو إنساني فلا يعد عنده معنى"[3].

وكذلك الأمدي (ت٣٧١هـ) الذي أشار في "الموازنة" إلى أنصار أبي تمام فذكر أنهم قدموه بسبب من لطيف معانيه، ودقيقها، والإبداع فيها، وأجمل رأيهم في الشاعر ومعانيه فقال:

إنـه وإن اختلّ في بعض ما يورد منها، فإن الذي يوجد فيها من النادر المستحسن أكثر مما يوجد من السخيف المسترذل، وإن اهتمامه بمعانيه أكثر من اهتمامه بتقويم ألفاظه، على شدة

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤.

(٣) العشماوي، محمد زكي: قضايا النقد الأدبي المعاصر، الهيئة المصرية العامة، الاسكندرية، ١٩٧٥، ص٢٨٠.

غـرامه بالطـباق، والتجنـيس، والمماثلة، وأنه إذا لاح له المعنى أخرجه بأي لفظ استوى من ضعيف أو قوي، وهذا من أعدل ما سمعته من القول فيه... [1].

ويعترف الأمدي بأن الشاعر الجيد يتجه للبحث عن المعنى اللطيف المبتكر؛ لأنه أساس تقويم شاعر على آخر.

ويُعـد ابن جني من النقاد الذين تناولوا قضية "اللفظ والمعنى" واهتموا بها اهتماماً بالغاً، وقـد عقـد فـي "الخـصائص" باباً "للرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني"[2].

يقـول: "اعلم أن العرب كما تعني بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالـشعر تـارةً، وبالخطـب تـارةً... فـإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها، وأفخم قدراً في نفوسها"[3].

ويـرى ابـن جني أن الألفاظ خدم للمعاني، والمخدوم لا شك أشرف من الخادم، إلا أن العناية باللفظ لازمةٌ، فبدون الألفاظ لا يمكن إبراز المعنى وتوضيحه.

ويبين ابن جني بأن عناية العرب بالألفاظ إنما السبب هو كونها عنوان معانيها والطريق إلـى إظهار أغراضها فلذلك أصلحوها ورتبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد، فهو ما يتضح مثلاً في سجع الأمثال والأقوال المأثورة حيث يسهل حفظها واستذكارها[4].

---

(1) الأمدي: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ١/٣٩٧- ٣٩٩.
(2) ابن جني: الخصائص، ١/٢١٥.
(3) المصدر نفسه، ١/ ٢١٥.
(4) المصدر نفسه، ١/٢١٧.

ويوضح ابن جني كلامه السابق لقوله: "فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسّنوها وحمــوا حواشــيها وهذبــوها وصقلوا غروبها وأرهفوها، فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ بل هي عندنا خدم منهم للمعاني، وتنويه بها وتشريف منها، ونظير ذلك إصلاح الوعاء وتحصينه، وتزكيته وتقديسه، وإنما المَبغيُّ بذلك منه الإحتياط للموعى عليه وجواره بما يُعَطِّر بَــشَرَه، ولا يَعُــرُّ جوهَرَه، كما قد نجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجِّنه ويَغُضُّ من كُدْرةُ لفظه، وسوء العبارة عنه"[1].

وفي معرض دفاع ابن جني عن نظريته في الموازنة بين اللفظ والمعنى، يلتفت ابن جني إلى بعض المتحاورين الذين يرون في قول الشاعر:

ولمّــا قــضينا مــن منــىً كــلَّ حاجةٍ ومــسَّح بالأركــانِ مــن هــو ماســحُ

أخــذنا بأطــرافِ الأحاديــثِ بينــنا وســالتْ بأعــناقِ المطــيِّ الأباطحُ[2]

ألفاظــاً مؤنقه قد صقلت وزخرفت، وبالغ أصحابها في العناية بها إلا أنها لا تتأدى إلى المعانــي الــشريفة، وكأنما يشير ابن جني إلى ابن قتيبة تلميحاً لا تصريحاً دعواه بأن في كلام العرب ضرباً حسن لفظه فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى[3].

لكــن ابــن جني يفند هذا الزعم الزائف والدعاوي الباطلة في تحليل رائع عميق لهذين البيتين اللذين ضربا مثلاً لرفعة الألفاظ وشرفها وضعة المعاني وحقارتها.

---

(1) ابن جني: الخصائص، ٢١٧/١- ٢١٨.

(2) المصدر نفسه، ٢١٧/١.

(3) المصدر نفسه، ٢١٧/١.

يقــول ابن جني: فقد ترى إلى علو هذا اللفظ ومائه... ومعناه مع هذا ما تحسُّه وتراه: إنمـــا هــو: لمّا فرغنا من الحجّ ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الإبل، ولهذا نظائر كثيرة شريفة الألفاظ رفيعتها، شريفة المعاني خفيضتها"(١).

ولكن ابن جني يبطل هذه الدعوى ومن يقول بذلك ولم يمعن النظر في البيتين ويرد على هؤلاء بأن العيب والخلل لا يكمنان في الأبيات وخلوها من المضمون والأفكار ولكنه راجع إلى جفـــاء طـــبع الناظر، وخفاء غرض الناطق أي يحتاج مثل هذا العمل الأدبي وهذه الطريقة في عرض الأحاسيس لدى الشاعر إلى التفهم وتقصي أسراره.

يقول ابن جني: "ولا أرى ما رآه القوم منه، وإنما ذلك لجفاء طبع الناظر، وخفاء غرض الـــناطق فقوله "كل حاجة" ألا ترى فيها التلاقي والتشاكي والتخلي ما يفيد أهل النسيب والرقة ما لا يفـــيد غيـــرهم، وقوله "مسح بالأركان" أي أنه لم يتعد هذا القدر المذكور إلى ما يحتمله أول البـــيت من التعريض الجاري مجرى التصريح، وفي قوله "أطراف الحديث" وحياً خفياً- ورمزاً حلـــواً، ألا تـــرى أنـــه يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبون من التعريض والتلويح والإيماء دون التصريح، وذلك أحلى وأغزل من أن يكون مشافهةً وكشفاً ومصارحةً وجهراً"(٢).

وينتهـــي ابن جني من هذا التحليل مبيناً أن الألفاظ ما شرفت إلى لشرف المعنى فيقول: "وإذا كـــان كذلك فمعنى هذين البيتين أعلى عندهم، وأشد تقدماً في نفوسهم من لفظها وإن عذب موقعه، وأنِق له مستمعِه، نعم وفي قوله:

سالت بأعناق المطيِّ الأباطح.

من الفصاحة ما لا خفاء به، والأمر في هذا أسير وأعرض وأشهد"(٣).

---

(١) ابن جني: الخصائص، ، ٢١٨/١.

(٢) المصدر نفسه، ٢١٨/١- ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ٢٢٠/١.

وبهــذا التحليل الفياض لألفاظ البيتين ومعانيهما، يذهب ابن جني إلى تأكيد نظريته في اللفــظ والمعنـــى يقــول: إن العــرب إنما تحلى ألفاظها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصـــلاً بهـــا إلى إدراك مطالبها، وقد قال رسول الله: "إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لــسحراً"، فــإذا كـــان رسول الله يعتقد هذا في ألفاظ هؤلاء القوم، التي جعلت مصايد وأشراكاً للقلوب، وسبباً وسلماً إلى تحصيل المطلوب عرف بذلك أن الألفاظ خدم للمعاني، والمخدوم -لا شك- أشرف من الخادم"[1].

وقـــد قصد ابن جني من كل ذلك أن يبين أن شرف المعنى وفخامته لا يظهر إلا برفعة اللفـــظ وجزالته، فاللفظ الحسن يعين على إبراز المعنى، ويحافظ على قدره، لأن بعض المعاني الفاخرة يغض من شأنها هجنة اللفظ وسوء التعبير عنه.

وبذلك سار ابن جني في طريق لم يسلكه أحد من السابقين، في تفضيل اللفظ على المعنى أو المعنـــى على اللفظ، أو جعلهما بمنزلة سواء، وإن كانت المعاني أجل قدراً، وأعلى منزلةً من الألفاظ[2].

ولا شـــك أن عبدالقاهـــر الجرجانـــي قـــد انتفع بما ذكره ابن جني حين عرض للبيتين الـــسابقين، فيعـــيب على من لم ير فيهما غير طلاوة اللفظ، فيرى أن طلاوة اللفظ فيها مقرونة بحسن النظم، فهي لا محالة تفيد المعنى، فتؤدي إلى تأليف الصورة المرادة، فيقول:

وذلك أن أوّل ما يتلقّاك من محاسن هذا الشعر أنه قال:

"ولما قضينا من مِنًى كلَّ حاجة"

---

(1) ابن جني: الخصائص، ١/٢٢٠.

(2) انظر. حسين، عبدالقادر، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة، ص٢٨١- ٢٩٤.

فعبّر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فُروضِها وسُنَنِها، من طريق أمكنه أن يُقَصِّر معه اللفظ، وهو طريقة العموم، ثم نبَّه بقوله:

"ومسّح بالأركان من هو ماسحُ"

على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر، ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر. ثم قال:

"أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا"

فوصل بذكر مسح الأركان، ما وليه من زَمّ الركاب وركوب الرُكبان، ثم دلّ بلفظه "الأطراف" على الصّفة التي يختصّ بها الرّفاق في السَّفر، من التصرف في فنون القول وشجون الحديث، أو ما هو عادة المتطرّفين، من الإشارة والتلويح والرَّمزْ والإيماء، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس، وقُوَّة النشاط، وفَضْل الاغتباط، كما تُوجبهُ أُلفة الأصحاب وأُنسةُ الأحباب، وكما يليق بحال من وُفِّق لقضاء العبادة الشريفة ورجَا حُسن الإياب، وتنسَّم روائح الأحبّة والأوطان، واستماع التهاني والتَّحايا من الخُلاَّن والإخوان..." [1].

فقد وضح لنا عبدالقاهر الجرجاني كيف أنه توافر في هذه الأبيات حسن النظم، فحسنت دلالات الألفاظ في موقعها من الجمل، وحسنت الجمل في تجاورها بعضها مع بعض، فاكتملت جودة التأليف التي تُعين على توضيح الصورة وإتقانها وهي الهدف من حُسن النظم كما يراه عبدالقاهر الجرجاني[2].

---

[1] الجرجاني، عبدالقاهر: أسرار البلاغة، ص٢٢.

[2] هلال: محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، بلا، ص٢٦٧.

ومــن خــلال ما تقدم نجد أن عبدالقاهر أراد أن يرد الجمال في هذه الأبيات إلى معاني الكلام وترتيب الألفاظ، بل أنه كان يردد تعبير ابن جني في أن "الألفاظ خَدَمُ المعاني، والمُصَرَّفة في حكمها وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقّة طاعتها"[1].

٦- **موقف الشاعر سعد الأزدي الملقب "بالوحيد البغدادي" النقدي**

كثيــراً مــا كان رد الشاعر سعد الأزدي الملقب بالوحيد[2] عنيفاً وقاسياً اتجاه ابن جني والمتنبــي، وبعيداً عن النزاهة والموضوعية في الحكم، فيكون في آرائه مندفعاً ومتهوراً، ويعبر عــن ذلك د. إحسان عباس بقوله: "وإن الغضب كثيراً ما يخرجه عن طوره فيكون متهجماً فاقداً لكل أناة الناقد الموضوعي، مع أنه يحاول في البداية أن يرتفع إلى مستوى العدالة في الحكم"[3].

وكــان ما هدف إليه "الوحيد" في تعليقه في مقدمة كتاب الفسر، أن يفصل في الخصومة التــي نــشأت بين أنصار المتنبي المدافعين عنه، وخصومة المبغضين إياه الواضعين من قدره، وذلــك بــأن ينظر إلى شعره بعين الإنصاف، أو يتجرد من العصبية، قال "الوحيد": "هذا كلام متعــصب مجرد لقوم كانوا معاندين له لعمري، وعناد مثله والطعن عليه في محله من الصناعة ظلم أيضاً، ولكننا سنترك تعصب هذا وعناد أولئك، ونأخذ في أمره بالعدل ونتوخى الحق ونضع الميزان له وعليه بالقسط، فنرد عليه ما ضيعه هذا من حقوقه ونستوفي منه ما أهّل نفسه له من العلو في هذه الصناعة، والمشرف علينا وعليه العلم والشهود والعقول..." [4].

---

(١) الجرجاني، عبدالقاهر: أسرار البلاغة، ص٨.

(٢) الوحــيد: وهــو ابن الحسن بن سعيد بن مطر بن مالك بن الحارث بن سنان الأزدي أبو طالب المعروف بالوحــيد الــبغدادي، كــان عالمــاً بالنحو واللغة والعروض، بارعاً في الأدب، وله شرح ديوان المتنبي، (ت٣٨٥هـ). انظر. معجم الأدباء، لياقوت الحموي ١١/١٩٧- ١٩٨، وابن جني: الفسر، ١/١٢٥.

(٣) عباس، إحسان: تاريخ النقد الأدبي، ص٢٨٠.

(٤) ابن جني: الفسر، ١/٢٢.

ولكن الوحيد لم يستطع أن يكون منصفاً، تبرأ أحكامه من العصبية، بل هو يذهب إلى أن ابن جني قد ظلم المتنبي ظلماً عبقرياً في كثير من تفسيره، وأنه سيحاول أن ينصفه، "ولكن الإنصاف بعيد عنه إن لم يكن محالاً"[1].

ولم يسلم ابن جني من تعليقات الوحيد الذي علّق على آرائه النقدية بعبارات قاسية جداً، حيث زعم أن ليس نقد الشعر من صناعة النحو[2] وأرى أن هذا رأي فيه كثير من الظلم، والتعسف، ورأيه مردود عليه، فكيف لا يمكن للنحوي أن يكون ناقداً، وقد بدأ النقد العربي في أحضان اللغويين والنحاة، وأكتفي بذكر الأصمعي خيرُ دليل على ذلك.

٧- **الموازنة الأدبية.**

الموازنة هي نوع من النقد يتجه إلى دراسة نصين أو أكثر من النصوص أو أديبين من الأدباء أو عصرين من العصور، "دراسة تستهدف بيان أصالة كل منهما، وخصائصه الفنية والنفسية طبقاً لمقاييس النقد الأدبي وقوانينه، وترمي في غايتها البعيدة إلى بيان ميزة أحدهما وتقدمه على الآخر"[3].

فالموازنة -إذاً- هي نوع من النقد والوصف أيضاً، لأن الذي "يوازن بين شاعرين، وإنما يصف ما لكل منهما وما عليه، بأدق ما يمكن التحديد"[4].

فالناقد الذي يشرع في الموازنة بين شاعريين أو نصين يحاول أن يرصد أوجه الشبه والإختلاف في معانيهما وألفاظهما وخصائصهما وإبداعهما وصورهما الفنية... فيدرس هذه

---

(١) عباس: إحسان، تاريخ النقد الأدبي، ص٢٨٠.

(٢) ابن جني: الفسر، ٢٣/١.

(٣) شعيب، محمد عبدالرحمن: المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٤م، ص١٦٣.

(٤) مبارك، زكي: الموازنة بين الشعراء، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص٢٢.

القضايا ويصفها عند كليهما موازناً بينهما، وقد يحكم في مرحلة تالية لأحدهما ويقدمه على الآخر[1].

المتنبي والموازنات الأدبية

لم يحظ شعر المتنبي بما حظي به شعر أبي تمام والبحتري في العصر العباسي، وشعر مسلم بن الوليد (ت ٢٠٨هـ) وأبي العتاهية (ت٢١٨هـ) وأبي نواس (ت١٩٨هـ) وفي العصر الأموي، ما كان بين جرير (١١٤هـ) والفرزدق (ت١١٤هـ) والأخطل (ت٩٢هـ)، وفي العصر الجاهلي بين امرئ القيس (ت٥٤٠م) وعلقمة الفحل (ت٦٠٣م)، وبين مدرسة الحيطئة (ت٥٩هـ) وكعب بن زهير (ت٢٤هـ) مقابلة لمدرسة الشماخ (ت ٣٠هـ) وأخيه مزرد (ت ١٠هـ)[2].

وذلك لأن المتخاصمين في المتنبي كانوا مغالين في مدحه، أو مغالين في قدحه، فانشغل الأولون بالدفاع عنه، وانشغل الآخرون بالهجوم عليه، وكلاهما يفتقر إلى التوازن لكي يقيم الموازنة لذلك افتقرت إلى المنهج السليم، "وإنها ليست في حقيقتها إلا انعكاساً لأحاسيس النقاد وعواطفهم صوب الشاعر لا تقويماً صائباً لأدبه"[3].

ومن الملاحظ أن معظم هذه الموازنات، قد جاءت في ثنايا البحث عن "السرقات" فكانت في أغلبها مقايسةً بين لفظ ولفظ أو بين معنى ومعنى، أو بيت وبيت، ولم تأخذ الموازنة الفنية حقها.

---

(1) مبارك، زكي: الموازنة بين الشعراء، ص٣٧.

(2) الشايب، أحمد: أصول النقد الأدبي، ط١٠، ٢٠٠١م، ص٢٨٠.

(3) شعيب، محمد عبدالرحمن: المتنبي بين ناقديه، ص١٧٥.

ولقد عني ابن جني وهو يشرح شعر أبي الطيب بموازنة هذا الشعر بما هو قريب منه من أشعار الآخرين، ولكنه كان يكتفي أحياناً بلفت النظر إلى ما يقارب معنى المتنبي من معاني الشعراء، وكان ينص أحياناً على فضل المتنبي عليهم أو تقصيره عنهم.

ومن الأمثلة على هذا الجانب وقوف ابن جني عند قول المتنبي.

وبــذمِهِــمْ وبِهِــمْ عَــرَفْنا فَــضْلَــهُ　　　وبِضِــــدّها تَتَبَيَّـــنُ الأشْياءُ[1]

وبموازنته إياه بقول المنبجي:

ضِــدّانِ لمــا اسْــتَجْمَعَــا حَسُنَا　　　والــضدُّ يُظْهِــر حُــسنَــه الضِدُّ[2]

ويعلق ابن جني على بيت المنبجي: "وهذا بيت مدخول لأنه ليس كل ضدين إذا استجمعا حسناً، ألا ترى أن الحسن إذا قرن بالقبيح بان حسن الحسن وقبح القبح، ولم يحسنا جميعاً؟ وبيت المتنبي أسلم لأن الأشياء بأضدادها يصح أمرها لما عليها حسنة ظهرت أم قبيحة"[3].

والمقصود بشطر المنبجي "ضدان لما استجمعا حسناً"، أنهما جميلان باجتماعهما، لا أن القبح جميل بمفرده، وإنما تخف وطأته عندما يجاوره جمال فتتصرف العين تارة إليه وتارة على الجمال فتجد سلوتها وعزاءها فيه.

بَــيْدَ أنني لا أرى وجهاً لنقد بيت المنبجي، وتفضيله بيت المتنبي عليه وهو يكاد يكون صدى له، فبيت المنبجي واضح وجميل وضوح وجمال قول المتنبي: "وبضدها تتبين الأشياء".

---

(١) ابن جني: الفسر، ٩٠/١.
(٢) المصدر نفسه، ٩٠/١.
(٣) المصدر نفسه، ٩٠/١.

ووقوفه عند قول المتنبي:

لَمْ تَحْكِ نائلَكَ السَّحابُ وإنَّما حُمَّتْ بهِ فَصَبيبُها الرُّحَضاءُ[1]

وموازنته إياه ببيت أبي نواس.

قال ابن جني في تفسيره: "لما نظرت السحاب إلى سعة عطائك حُمَّت حسداً لك، فكان ما يتصبب منها إنما هو عرق حُمّاها" وهذا أبلغ من بيت أبي نواس.

إنَّ السَّحابَ لتَسْتَحْيي إذا نَظَرَتْ إلى نَداكَ فقاسَتهُ بِمَا فيها[2]

ويعقب ابن جني بقوله: "لأن الحمَّى أبلغ من الحياء، إلا أن بيت أبي نواس أعذب لفظاً"[3].

ويتعرض ابن جني لهجوم عنيف من الوحيد بقوله: "هذا كلام معذور ليس من شأنه نقد الشعر، وليس بين البيتين ما يجب أن يُمثَّل بينها، فأما قوله أن الحُمى أبلغ من الحياء فليس كذلك، فقد يحم الإنسان من غيظ من لا يعترف له بفضل وإجلال وإعظام، فإن كانت المبالغة هي الشعر فقد قصر المتنبي عن مذهبه، إذا لم يقل نحرت نفسها غيظاً وحسداً، وهذا دمها وأشباه هذا، وليس الشعر ما يذهب إليه، وأيضاً فإن الحاسد لا يحسد إلا من قارب حاله، لأن السوقه لا تحسد الملوك، والحياء من كل صغير يواجه كبيراً، فبيت أبي نواس أبلغ وأعذب لفظاً، وعليك بعلمك فارجع إليه، فقد تقدم القول أن الشعر ليس هو الغلو في المعاني، ولو كان ذلك لكان المحدثون أشعر من الأوائل، ولما كان حاذق المحدثين إذا قرأ أشعار العرب سجد لها وأقرَّ

---

(1) ابن جني: الفسر، ١/١٠٤. انظر. ابن منظور: لسان العرب مادة (صبَّ). الصبيب: المطر المصبوب. مادة (رحَضَ). الرُّحضاء: عرق الحُمَّى.

(2) المصدر نفسه، ١/١٠٤.

(3) المصدر نفسه، ١/١٠٤.

بالعجز عنها وإنما هي أساليب عبروا بها على المعاني تأخذ بالقلوب وتسحر العقول، ثم أقول أن الشعر ثلاث طبقات:

أولهـا المطرب كشعر جرير وجميل وغيرها وتبعهم البحتري، والثاني المعجب، كشعر كثير والفرزدق وهو الجزل الجيد المعاني ثم المضحك، وكلما غالى الشاعر في المعاني، وعُمق، بعـد من القلوب، خاصة أن أفرد ذلك في كلام غريب، فلاحظ له في الأسماع، ورأيت صاحب الكـتاب لـيس يفاضـل بين الشعر إلا بالمعاني والمبالغة ويترك ما سوى ذلك، وسيمر بك في أحكامه في الشعر ما تعجب له"[1].

وأرى أن "الوحـيد" لم يكن على صواب حين ُعلق على هذه الموازنة، وفضل بيت أبي نـواس على بيت المتنبي باعتبار المتنبي قد بالغ في الشعر، وثناء ابن جني على هذه المبالغة، لأن الشعر ليس هو الغلو في المعاني كما يقول "الوحيد"، ولكنني أرى أن المعنى الذي عبر عنه أبـو نواس معنى قريب، وليس فيه غلو وبُعد في المعنى، فكان المعنى سطحياً، أما المعنى الذي ذهـب إليه المتنبي فكان أعمق، فقد نسب الحمى إلى السحاب بسبب حسدها عطاء سيف الدولة، فهـو معنـى فيه عمق، فإذا أضفنا إلى ذلك أن ما يهطل منها هو عرق تلك الحمى، فقد أعطى معنـى فيه من المبالغة، وقد تكون المبالغة في رأيي مصدراً للجودة وسبباً للتفوق، كما رأى ابن جني بيت المتنبي، وهو في الحقيقة أبلغ من بيت أبي نواس.

ومن الأمثلة أيضاً وقوفه عند قول المتنبي

إذا نِلْـتُ مِـنكَ الـوِدَّ فَالْمـالُ هَـيّنٌ   وَكُـلُّ الَّـذي فَـوْقَ التُّـرابِ تُرَابُ[2]

وموازنته إياه بقول الشاعر شقران السّلاميّ.

---

(1) ابن جني: الفسر، ١/١٠٤.

(2) المصدر نفسه، ٢/٧٧.

وكُــلُّ اجــتماعٍ مِــن خَلــيلٍ لِفــرقةٍ وكُــلُّ الــذي فَــوقَ التُّــرابِ قلــيلُ[1]

ثم قوله: واللفظ وإن كان واحداً فبيت المتنبي أعذب"[2].

ويأتي تعليق الوحيد بقوله: "كأنه لم يحسن في هذا غير العذوبة، هيهات! ومن أين يعلمُ؟ إنما جابه المتنبي كما كان ينبغي أن يقال، وفي هذا صحّة معناه وجزالةُ لفظه، فما قصّر"[3].

وكذلك وقوفه عند قول المتنبي

فَــشرَّق حَتّــى لَــيْسَ لِلــشرقِ مَشْرِقٌ وَغَــرَّبَ حَتَّــى لَــيْسَ لِلْغَربِ مَغْرِبُ[4]

قال ابن جني: "هذا من قول أبي تمام".

فَغَــرَّبْتُ حَتّــى لَــمْ أجِــدْ ذِكْر مَشْرِقٍ وَشَــرَّقْتُ حَتَّــى قَــد نَسِيتُ الْمَغَارِبَا[5]

ويعقــب ابــن جني بقوله: "إلا أن أبا تمّام قال لا يغالي في الغرب ما نسيت الشرق ولا يغالي في الشرق ما نسيتُ الغرب، والذي أراد المتنبي أنه قد أوغل شعرَهُ في الشَّرق واستقصاهُ حتّى لا شرقَ وراءَه، وأوغل في الغرب واستقصاهُ حتى لا غربَ وراءَه"[6].

وموازنته هذين البيتين بقول البحتري بقوله: "وأبلغ من هذين قول البحتري".

فأكــونُ طَــوراً مَشــرِقاً لِلمشرقِ الــ أقْــصَىَ، وَطَــوراً مَغْــرِباً لِلْمَغْــرِبِ[7]

---

(١) ابن جني: الفسر، ٢/٧٧.
(٢) المصدر نفسه، ٢/٧٧.
(٣) المصدر نفسه، ٢/٧٧.
(٤) المصدر نفسه، ٢/٤٤.
(٥) المصدر نفسه، ٢/٤٤.
(٦) المصدر نفسه، ٢/ ٤٤.
(٧) المصدر نفسه، ٢/٤٤.

ويعقب ابن جني بقول: "لأنه زعم أنه صار يجاوز الشرق فصار شرقاً له، وصار يُجاوزُ الغرب فصار غرباً له"(1).

ويعلق الوحيد على ما تقدم بقوله: "هذا يدل على أنَّهُ معتذرٌ من مدح غيره في طريقه إليه، وقد صحَّ معنى الأول وزال اللبس فيه لمن يفهم، فأمّا من لا يَدَعْه الهوى أن يفهمَ شيئاً على جهته فما يقدر على إفهامه"(2).

٨- السرقات الشعرية

يُعد موضوع السرقات الشعرية من الموضوعات التي أولاها النقاد كثيراً من عنايتهم، وخصوصاً بمزيد من اهتمامهم. و"قضية السرقات في النقد هي قضية الأصالة والتقليد، وهي مظهر من مظاهر الصراع بين القديم والحديث، ومثل هذا الصرع لم يخل من أدب في العالم"(3).

ويطلق مصطلح السرقة الشعرية على احتيال الشعراء للإفادة من إبداع من تقدموه من غير الإشارة إلى مبدعه، أو نسبته إلى قائليه، ويقول آخرون إن المصطلح لا يطلق إلا على أخذ جمل أو أفكار أصيلة وانتحالها بنصها دون الإشارة إلى مصدرها.

وتبدو المبالغة الشديدة في نسبة السرقة إلى شاعر معين(4)، وأضيف إلى ذلك أن كثيراً من الاتهام بالسرق كان مفتعلاً يعتمد على أدنى شبهة، كما حدث مع المتنبي وغيره من الشعراء.

---

(1) ابن جني: الفسر، ٢/٤٤.

(2) المصدر نفسه، ٢/٤٥.

(3) السمرة، محمود: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، منشورات المكتب التجاري، ط١، ١٩٦٦م، ص١٨٧.

(4) انظر. هدارة، محمد مصطفى: مشكلة السرقات في النقد العربي، المكتبة الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨١م، ص٤٥.

ويلاحـظ أن الـنقاد قد انقسموا إلى فريقين في تعاملهم مع السرقات ففريق يأخذ الأمر بيسر وهوادة يتعامل مع الشعراء على أساس معقول ويرّد بعض ما استفادوا به من سابقيهم إلى العـام المشترك أو إلى اتفاق الخواطر والأفكار، ويمكن عدّ الأمدي والقاضي الجرجاني من هذا الفـريق، في حين يظهر الفريق الثاني ناقماً يتربص بالشاعر الدوائر ويحاول أن يلغي كل إبداع لديـه بـرده إلى شعر قاله سابق عليه، ومن هذا الفريق بدون شك الحاتمي وابن وكيع التنيسي والعميدي[1]. وكان للقضايا الشخصية والحسد أثر بارز في توجيه هذه المسائل وإعطائها حجماً أضخم مما تستحق.

وسوف أقتصر على آراء وملاحظات ابن جني الذي يُعد من أنصار المتنبي والمنافحين عن فنه الشعري.

ونجـد أن ابـن جني لم يخرج عن المنهج الذي حدده النقد في هذا المجال، ولا شك أنه كان مطلعاً على ما قيل حول هذه القضية، ولا سيما ما ألفه النقاد عن سرقات المتنبي.

ويـبدو أن ابـن جني كان من النقاد الذين يرون أن الشاعر إذا أخذ معنى من متقدم، ثم تـصرف فيه ما يجعله أكثر إحاطة بعناصر ذلك المعنى، صار المتأخر أحق بذلك المعنى وهو معنى ردده كثير من النقاد[2].

وقد أعرب عن هذا الرأي عندما نظر في قول المتنبي:

أَزُورُهُـمْ وَسَـوَادُ اللَّـيلِ يَـشْفَعُ لـي ... وَأَنْثَنِـي وَبَـيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بي[3]

---

(1) عباس، إحسان: تاريخ النقد الأدبي، ص٣٩.

(2) انظر على سبيل المثال: الجرجاني، علي عبدالعزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص١٨٣. القيرواني، ابـن رشيق: العمدة في صناعة الشعر، ٢/ ٢٩٠، حيث يقول: "غير أن المتتبع إذا تناول معنى فأجاده بأن يختصر إذا كان طويلاً أو يبسطه إن كان كزاً أو يبينه إن كان غامضاً.. فهو أولى به من صاحبه".

(3) ابن جني: الفسر، ٣٥٨/١.

فقـــال: "هذا معنى حسن بلفظٍ شريف، حدثني المتنبي وقت القراءة- قال لي ابن خنزابة: يا أبا الطيب أعلمت أني أحضرت كتبي وجماعة يطلبون من أين أخذتَ هذا المعنى فلم يظفروا بذلك، وقال لي المتنبي: وكان عنده من الكتاب الواحد خمسون نسخة، يريد تعظيم أمر كتبه، فلما كان بعد ذلك فكرت أنا من أين أراد هذا المعنى، فوجدت لابن المعتز مصراعاً بلفظ لين ضعيف جداً فيه معنى المتنبي كله على جلاله لفظه وحسن تأليفه وهو: "**الشمسُ نَمامة والبدر قوادُ**".

ولن يخلو المتنبي من ثلاث خلال: إما أن يكون إلى هذا المصراع نظر، وإن كان قليل النظـــر في شعر المحدثين، ولا شك في ذلك لما تبينته من قلة تعرضه، وإما أن يكون نظر إلى الموضع الذي نظر إليه ابن المعتز، فقفا به أثراً، وإما أن يكون اخترع المعنى وابتدعه، فإن كان ابـــتدعه فناهيك به حسناً وبالبيت صنعة وتثقيفاً، وإن كان إلى مصراع ابن المعتز نظر فقد بزه وصـــار أحـــق به منه، وإن كان قد جعل مصراعه بيتاً؛ لأنه أخذه من الحضيض فعلا به على العـــيوق، وإن كان نظر إلى الموضع الذي لعل ابن المعتز نظر إليه فهذا أمر غائب ولو حضر لقلنا فيه بما يقتضيه"[1].

لا أريـــد الـــدفاع عن المتنبي، إنما أريد أن أقول أن كثيراً من الاتهام بالسرق كانت فيه مغـــالاة وتجن على الشاعر الذي ادعى عليه السرق، كما أن باب السرق أصبح دليلاً على سعة معـــرفة الـــناقد أو اللغوي بالشعر، وهذا ما يدلنا عليه قول ابن جني من أنه استطاع أن يعرف المصدر الذي أخذ عنه المتنبي بيته، بينما عجز ابن خنزابه، معاونوه عن معرفة ذلك.

---

(1) ابن جني: الفسر، ٣٥٨/١.

وأرى من خلال النص السابق أن موقف ابن جني يتضح جلياً في الدفاع عن المتنبي ورد تهمة السرقة عنه، فهو يريد أن يظهر أصالة الشاعر، وقدرته على الإبداع والإبتكار في فنه الشعري.

فابن جني يرى وإن كان المتنبي قد ألم ببيت ابن المعتز، ولكن بيت المتنبي أحسن لأنه حسن المصراع وزينه فصار به أولى، وإن كان في البيتين تشابهاً في المعنى، إلا أن بيت المتنبي أجود فقد جاء بمعنى جديد، ناهيك عن ابتذال معنى ابن المعتز الذي جعل الليل قواداً، ولم يذهب إلى ذلك المتنبي، وإنما جعل الليل ستراً، وإما أن يكون المتنبي اخترع هذا المعنى وابتدعه فقد تفرد به شاعره.

لكن ابن جني لا ينكر أن يكون المتنبي وابن المعتز قد أخذا المعنى من شاعر سابق وقعا على شعره، دون أن يدرك هذا أحد، كما أنه لا ينفي عن المتنبي أن يكون مبتدعاً لهذا المعنى، بل هو في رأيي أصح الآراء.

ويبدو لي من خلال حكمه على المتنبي أن منهجه يتصف بالعدل والموضوعية والإنصاف في الحكم.

وأول ما يطالع الدارس في بحث ابن جني لموضوع السرقات، أنه لم يكن يطلق مصطلح السرقة، ولم يصرح بهذا اللفظ، وإنما كان يعبر عنها بقوله:

"وكأنه نظر..." أو بقوله: "هذا معنى..." أو بقوله: "هذا كقول..." وهكذا. [1].

ولم يتعرض ابن جني كذلك إلى المصطلحات والتقسيمات الكثيرة التي شغل النقاد أنفسهم بها، بل ابتعد عنها، وبحث المسألة على أنها استفادة أو انتفاع فقط.

---

[1] انظر. للمزيد من الأمثلة في: ابن جني: الفسر، ١/٤٤، ٥٦، ٥٩، ٩٢، ٩٤، ١٠٢، ١١٥، ٢/٤٤، ٦٥، ٢٦٥، ٣٢٠، ٣٣٢. انظر. ابن جني: الفتح الوهبي، ص١٢٦، ١٣٧، ١٨٣، ١٩٤.

ومـــن الجدير بالذكر أن ابن جني كان يحرص على أن يذكر من أين أخذ المتنبي معنى البيت، ومن الشاعر الذي سبقه إلى ذلك المعنى، وإيراد الشعر الأصلي الذي استقى منه المعنى، وأرى أن السبب في ذلك، أن القضية مرتبطة عنده بفكرة الدفاع عن المتنبي، ورد تهمة السرقة عنه.

ويـــتعقب ابـــن جني شعر المتنبي في أبيات يرى أنه قد استقى معانيها من سابقيه، ومن ذلك قول المتنبي:

نَفَـــذَتْ عَلـــيَّ الـــسَّـــــابريَّ وَرُبَّمَا   تَـنْدقُ فِـيـــــهِ الـصَّعْدةُ السِّمرَاءُ[(١)]

قـــال ابـــن جني في معنى البيت: "إن عينيك نُفذت ثوبي إلى فمثلت في حشاي، فإن قيل فهل تندق الصعدة في الثوب الرقيق، قيل معناه: إنه إذا طعن بقناة اندقت القنا دون أن تعمل فيه فكأن ثوبه" درع" عليه لما كان جسمه من تحته، يؤكد هذا بقوله في موضع آخر.

طِــوالُ الـــردينيّات يقصِفُهـــــا دَمِي   وبـــيضُ الـــسُّريجيّات يقطعها لحمي[(٢)]

قال ابن جني: وكأنه نظر إلى بيت قيس بن الخطيم (ت٦١٢هـــ).

تـــرى قِـــصَدَ المُـــرَّان تُلقـــى كأنَّهـــا   تـــذُّرع خِرصـــانٍ بأيـــدي الشواطب[(٣)]

---

(١) ابـــن جني: الفسر، ١/ ٧٢. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (سَبَرَ). السابري: الثوب الرقيق، وقيل الدرع العظيمة، التي لا ينفذها شيء. مادة (صَعَدَ). الصعدة: القناة التي تنبت مستقيمة ولا تحتاج إلى تقويم.

(٢) ابن جني: الفسر، ٧٤/١.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٧٤. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (قَصَدَ). قصِد: كُسِرَ. مادة (مُرَّ). المُرَّان: الـــرماح أو السعف. مادة (ذَرَعَ). تذرُّع خرصان: قدر ذراع ينكسر. مادة (شطب). الشواطب: هي المرأة التي تقشر العسيب.

قال ابن جني: وقريب منه قول أبي تمام

أناسٌ إذا ما استلحم الروع صَدَّعوا   صدورَ العوالي في صدورِ الكتائبِ[١]

قال ابن جني أيضاً: ونحو منه قوله أيضاً

بكل منعرجٍ من فارسٍ بطلٍ   حناجر فُلُقٌ فيها قنا قِصَدُ[٢]

ويعلق ابن جني بكلامه: "إلا أن المتنبي جعل نفسه مؤثرةً في السلاح، ولم يجعل للسلاح أثراً فيها، ألا ترى أن بعد هذا البيت "أنا صخرة الوادي إذا ما زوحمت..." [٣].

ويكشف لنا ابن جني من خلال الأبيات السابقة، استفادة المتنبي من شعراء سبقوه، ولكنه في رأيه قد أجاد وأبدع في تقديم المعنى، واستطاع أن يقدمه بصورة فنية جميلة، أفضل مما صاغه الشعراء قبله، فالمعاني متشابهه، لكن بيت المتنبي أكثر وضوحاً وأكثر جمالاً، وهذا التفوق جدير بأن يُنسب إليه المعنى فيكون صاحب الفضل الأول فيه.

وفي قول المتنبي:

مِلتُ إلى من يكادُ بينكما   إنْ كنتُما السائلينِ ينقسمُ[٤]

قال ابن جني في معنى البيت: "كأنه خاطب صاحبيه وذلك عادة الشعراء، يقول: قصدت من هذا الممدوح يا صاحبي من لو جئتما تسألانه أن ينقسم بينكما فيأخذ كل واحد منكما شقاً منه بذلا من نفسه لكما ومخافة أن يحرم منكما. وقد زاد في هذا على معنى عبد يغوث بن وقاص الحارثي في قوله:

(١) ابن جني: الفسر، ١/ ٧٤.
(٢) المصدر نفسه، ١/ ٧٥
(٣) المصدر نفسه، ١/ ٧٥.
(٤) ابن جني: الفتح الوهبي، ٢١٥٠.

وأعقـــرُ للـــشَرْبِ الكـــرام مطيتـــي   وأصـــرعُ بـــين القينتـــين ردائـــيا[1]

ويعقب ابن جني بقوله: "لأن ذاك صرع رداءه وهذا تجاوز ذلك فقسم بينهما نفسه، وقد جاء بهذا في قوله:

لـــو اشـــتهَتْ لَحـــمَ قاريهـــا لَـــبَادَرها   خَـــراذِلٌ مـــنه في الشِّيزى وأوصالُ[2]

وفي قول المتنبي:

إذا كـــانَ مَـــدْحٌ فالنَّـــسيـــــبُ المُقَدَّمُ   أكُــلُّ فَصيـــــحٍ قال شعراً مُتيـــمُ[3]

قـــال ابـــن جنـــي في معنى البيت: "أي المعتاد من مذاهب الشعراء إذا أرادوا مدحاً أن يقدمـــوا تـــشبيباً ونـــسيباً وليس كل من قال شعراً في الحقيقة متيماً، فجاء بلفظ الإستفهام ومعناه الإنكار، ومعنى هذا من قول عدي بن زيد (ت٥٩٠م):

أكـــلُّ امـــرئٍ تحـــسبيـــــــن امرأً   ونـــارٌ تـــوقدُ باللـــيـــــلِ نـــارا[4]

ويعقب ابن جني بقوله: "أي: لا تحسبي ذلك كذلك فالناس أصناف وضروب"[5].

ويسير ابن جني على هذا النهج في عرض النماذج الشعرية.

ويقول عن بيت المتنبي:

يَأنَـــفُ مِـــنْ مِيـــتَـــــةِ الفِـــرَاشِ   وَقَـــدْ حَـــلَّ بِـــهِ أصْـــدقُ المَوَاعِـــيدِ[6]

---

(1) ابن جني: الفتح الوهبي، ، ١٥٠.
(2) المصدر نفسه، ص١٥١.
(3) المصدر نفسه، ص١٣٦.
(4) المصدر نفسه، ص١٣٧.
(5) المصدر نفسه، ص١٣٧.
(6) ابن جني: الفسر، ٢٠١/٢.

"…. هذا كقول أبي تمام".

لَـوْ لـمْ يَمُـتْ بـين أطْرافِ الرّماحِ إذاً لَمَاتَ، إذْ لَمْ يَمُتْ، مِنْ شِدَّةِ الحَـزَنِ[١]

وكقوله أيضاً:

يـستعذبون منـاياهُم كـأنَّهُمُ لا ييأسون من الدُّنيا إذا قُتِلوا[٢]

ويعلق الوحيد بقوله: "ليس هذا من الأول في شيء"

ويتابع ابن جني قوله: "وأصل هذا ما أنشده الأصمعي"

إذا قَـتَلُوا أقـرانَهم لـم يَلُسوهُمُ وإن قُـتِلُوا لـم يَقْشَعِرّوا من الْقَتْلِ[٣]

ويعلق الوحيد أيضاً بقوله: "إنما قال يأنف من ميتة الفراش، فينبغي أن يكونَ ما يورد فيه ذكر ميتة الفراش، وإلا فما قيل في الشجاعة والتهاون بالموت كثير"[٤].

ويقول عن بيت المتنبي

لا خَلْـقَ أسْـمَحُ مـنك إلاّ عـارِفٌ بِـكَ راءَ نفـسَكَ، لمْ يُقلْ لَكَ "هاتِها"[٥]

قال ابن جني في تفسيره: "لا أحد أسمح منك إلا إنساناً رآك فَعَرفك، فلم يسألك أن تَهَبَ له نفسك" وهو من قول الآخر، وقد زاد عليه:

ولـو لـم يكـنْ فِـي كفه غيرُ روحِهِ لجـادَ بهـا، فليَّـتـقِ اللهَ سائِلُهْ[٦]

---

(١) ابن جني: الفسر، ٢/٢٠١.

(٢) المصدر نفسه، ٢/٢٠١.

(٣) المصدر نفسه، ٢/١٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ٢/ ٢٠٢.

(٥) المصدر نفسه، ٢/١٤٠.

(٦) المصدر نفسه، ١/ ١٤١-١٤٢.

ويعلق الوحيد بقوله: "أين موضع الزيادة على هذا؟ فما زا. في لفظ، بل نقص في المعنى، وذلك أن هذا جاء بها قبل السؤال، والمتنبي قال: "لم يقل لك هاتها" ثم ما ذكر أنه أعطى شيئاً؟ وأما تفاضل اللفظين في البيتين فأوضح من أن يشرح، وإنما الرجل متعصب، تابعٌ هَوىً، فقوله بحسب ذلك"[1].

ويقول ابن جني عن قول عنترة (ت ٦١٥م):

لَوْ كانَ يَدْرِي ما المُحاوَرَةُ اشتَكى ... وَلَكانَ- لَوْ عَلِمَ الكَلامَ- مُكَلِّمِي[2]

"... وامتثله شاعرنا آخِراً[3] فقال:

فَلَوْ قَدَرَ السِّنانُ عَلى لِسانٍ ... لَقالَ لَكَ السِّنانُ كَما أَقُولُ

فقال أيضاً

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجرُ الَّتي قابَلْتَها ... مَدَّتْ مُحَيِّيَةً إلَيْكَ الأغْصنا[4]

ويعلق ابن جني على ما تقدم: "ولا تستنكر ذكر هذا الرجل وإن كان مولّداً- فإن المعاني يتناهبها المولّدون كما يتناهبها المتقدمون"[5].

واكتفي بهذه الأمثلة التي أبانت بصورة واضحة استفادة المتنبي من شعر سابقيه، وقد كشف لنا ابن جني عن ذلك، فهو كما رأينا لم يشدد في موضوع السرقات، بل كان متساهلاً، ولكنه كان يتعامل بحذر شديد في إطلاق مصطلح السرقة أو الأخذ، لأنه كان يدرك تماماً أن

---

(١) ابن جني: الفسر، ٢/١٤١- ١٤٢.

(٢) ابن جني: الخصائص، ٢٤/١.

(٣) يريد بقوله "شاعرنا" المتنبي.

(٤) ابن جني: الخصائص، ٢٤/١.

(٥) المصدر نفسه، ٢٤/١.

المعانـــي يتناهــبها المــتقدمون كما يتناهبها المتأخرون، لأن المقياس عنده قبل كل شيء على الصنعة والإبداع، وبهذا يضع لنا ابن جني مفهوماً واضحاً لمشكلة السرقات.

ويظهــر في موضوع آخر أن ابن جني يفضل الشاعر المتقدم على المتنبي الذي استفاد وانتفع من معناه، ولكنه لم ينجح في إخراجه بصورة تفوق السابق، أو يلبسه ثوباً جديداً.

ويقول عن بيت المتنبي

فَتَبِـيتُ تُــسئِدُ مُــسئِداً فــي نَيِّهــا إسْــآدَها فــي المَهْمَــهِ الإنــضاءُ[1]

قال ابن جني في معنى البيت: "فتبيت هذه الناقة تسرع السير كما يسرح تعبها يقطع هذه الأرض البعــيدة، السير في شحمها، (أي يهزلها الإنضاء لشدة السير)، كما تسرع هي في قطع هذه الأرض، أي كلما قطعت الأرض قطعت الأرض شحمها[2].

قال ابن جني: "هذا معنى قول أبي تمام".

رَعَــتْــــهُ الفَيافِي بعدَمــا كانَ حِقْبَــةً رَعاهــا ومــاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُ ساكِبُهْ[3]

قال ابن جني: "حازه حبيب في مصراع واحد؛ ونصب (مسئداً) على الحال و(الإنضاء) مــرفوع (بمــسئد) والعائــد علــيها من هذه الجملة (الهاء) في (نيِّها) و(أسادها) منصوب على المــصدر، والناصــب لــه (مــسئداً) لا (يسئد)، وتقديره ومعناه: "فتبينت هذه الناقة تسئد مسئداً الإنضاء في نيّها اسآداً مثل اسآدها هي في المهمة[4].

---

(1) ابــن جنــي: الفسر، ١/٧٨. انظر. ابن منظور: لسان العرب، (مادة سَئِدَ). الإسآد: إسراع السير في الليل خاصة. المهمه:الأرض الواسعة البعيدة.

(2) المصدر نفسه، ١/٧٨.

(3) المصدر نفسه، ١/٨٠.

(4) المصدر نفسه، ١/٨٠.

ويـــبدو أن ابـــن جني يفضل بيت أبي تمام لأنه قد استوفى هذا المعنى في شطر واحد بعـــبارة واضـــحة ولفظ رشيق، فكان أحق بذلك المعنى في حين قصر المتنبي الذي قدم المعنى بـــصورة معقـــدة، غيـــر واضـــحة، فيتحير المرء في فهم مراده، وقد عدّ النقاد ذلك من الأخذ المستهجن، وهو أن يأخذ الشاعر المعنى فيفسده أو يعوّصه أو يخرجه في معرض قبيح[1].

وتطـــرق ابن جني في مسألة السرقات الشعرية إلى العام والمشترك بين الشعراء، فابن جنـــي لا يـــدخل العام المشترك في إطار السرقة وهو موقف اتخذه غيره من النقاد[2] لأن العام المشترك يدركه كل شاعر، وقد أبدى رأيه حين علّق بيت المتنبي:

عَـــذْلُ العَـــوَاذِلِ حَـــولَ قَلْـــبِ التّـــائِهِ وهَـــوَى الأحِبَّـــةِ منه في سَوْدائِهِ[3]

"... وقد أكثر الناس في معنى النصف الأخير من هذا البيت".

قال العباس بن الأحنف (ت ١٩٢هـ)

لـــو شـــق عـــن قلبـــي تـــرى وسطه ذكـــرك والتوحـــيد فـــي ســـطر[4]

وقال الآخر:

تغلغـــل حـــب عـــتمةَ فـــي فـــؤادي فـــباديه مـــع الخافـــي يـــسير[5]

ويقول في بيت المتنبي

أُحِـــبُّـــه وأحِبُّ فِيـــــهِ مَلامَـــــةً؟ إنَّ المَلامَـــةَ فِـــيهِ مِـــنْ أعدائِـــه[6]

---

(١) العسكري، أبو هلال: الصناعتين، ص٢٥١.

(٢) انظر: الأمدي: الموازنة ، ١/ ٣٤٦، والجرجاني: الوساطة، ص١٨٣.

(٣) ابـــن جنـــي: الفـــسر، ٣٥/١، وانظر مثال آخر ١٠٥/١. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (سَوَدَ). سودائه: علقة سوداء في جوفه، كأنها قطعة كبد.

(٤) المصدر نفسه،١/ ٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ١/ ٣٩.

(٦) ابن جني: الفتح الوهبي، ٢٧.

".... وكأنه ناقض في هذا البيت أبا الشيص (ت١٩٦هـ) في قوله: [١].

أجِـدُ المَلامَـةَ فـي هَـوَاكِ لَذِيـذَةً   حُـبّـاً لِذِكْـرِكِ فَلْيَلُمْنـي اللُّـوّمُ[٢]

والمناقضة تعني أن يؤخذ المعنى فيعكس ذلك حَسَن يخرجه حُسنه عن حد السرقة" وهو "من لطيف السرق" وهو من السرقات المحمودة عند بعض النقاد[٣].

وقد عد ابن جني القرآن الكريم والحديث الشريف من المصادر التي استفاد منها المتنبي، واستقى معانيه منها.

وقد ذكر من الأدلة في غير موضع يقول عن بيت المتنبي

بَسَطَ الـرُّعْبُ فـي اليمـينِ يَمينـاً   فَتَوَلَّوْا وفـي الـشِّمَالِ شِـمالا[٤]

"... وهذا من قول الله تعالى: "يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ"[٥].

ويقول عن بيت المتنبي

وجُـرْمٍ جَـرَّهُ سُـفَهاءُ قَـوْمٍ   وحَـلَّ بغَيْـرِ جارِمِـهِ العَـذَابُ[٦]

"... هذا كقوله تعالى: "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً"[٧].

ويقول عن بيت المتنبي:

وُقِـيَ الأمِيـرُ هَـوَى العُـيُونِ فإنَّـهُ   مـا لا يَـزولُ بِبَأْسِـهِ وَسَـخائِهِ

---

(١) ابن جني: الفتح الوهبي، ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ٢٧.

(٣) انظر. الجرجاني: الوساطة، ص٢٠٦. البديعي: الصبح المبني، ص١٨٩.

(٤) ابن جني: الفتح الوهبي، ١١٨.

(٥) سورة آل عمران، آية (١٣).

(٦) ابن جني: الفسر، ١٩٨/١.

(٧) سورة الأنفال، آية (٢٥).

يَـسْتَـأسِرُ البَطَـلَ الكَمِـيَّ بِنَظْـرَةٍ   وَيَحُـولُ بَـينَ فُـؤادِهِ وعَـزَائِهِ[1]

"... ومعنى البيتين من قول عليه السلام: "وحبك الشيء يعمي ويصم"[2].

وقد يكون للمعنى الذي يطرقه المتنبي أصل من قول ناثر، أو كلام خطيب أو حديث فيلسوف، فيكشف ابن جني عن ذلك:

كقول المتنبي:

وجُـرْمٍ جَـرَّه سُـفَهاءُ قـومٍ   وحَـلَّ بغَيْـرِ جارِمِـهِ العَـذابُ[3]

الذي قال عنه ابن جني: "هذا كقول الحجاج: "والله لأخُذنَّ المحسن بالمسيء والمطيعَ بالعاصي"[4].

وقول المتنبي

وَمَـا قَتَـلَ الأحـرارَ كالعفـوِ عَنْهُـمُ   وَمَـنْ لَكَ بالحُـرِّ الَّذي يَحفَـظُ اليَدَا[5]

الذي قال عنه ابن جني: "هذا من قول الخارجي: "غلَّ يداً مُطلِقَها واسترقَّ رقبة معتِقُها"[6].

وقول المتنبي:

يُـرِيدُ مِـنْ حُـبِّ العُلَـى عَيْـشَهُ   وَلا يُـرِيدُ العَـيْشَ مِـنْ حُـبِّهِ[7]

---

(1) ابـن جني: الفسر، ١/ ٥٩. انظر. ابن منظور: لسان العرب. مادة (كم). الكمي: المستتر بسلاحه، وقيل: الذي يستر مواضع خلله بسلاحه أو بشجاعته.

(2) المصدر نفسه، ٥٩/١. والحديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل، ١٩٤/٥، ٤٥٠/٦.

(3) المصدر نفسه، ١٩٨/١.

(4) المصدر نفسه، ١٩٨/١.

(5) المصدر نفسه، ٢٦٦/٢.

(6) المصدر نفسه، ٢٦٦/٢.

(7) المصدر نفسه، ٩٩/٢.

الـــذي قـــال عـــنه ابن جني: "وهذا كأنه من قول بعض الفلاسفة: "الناسُ يريدون الحياة ليأكلوا وأنا آكل لأحيا"[1].

ويعلق الوحيد بقوله: "هذا قول جالينوس يُعلّمُ لماذا جُعِلَ الأكل، وأنه لسبب بقاء الحياة لا للذة"[2].

ونـــستدل مـــن حـــديث ابن جني حول استفادة المتنبي من أصول نثرية كالقرآن الكريم والحديث الشريف، وأقوال الحكماء والفلاسفة وغيرها، أنه لا يقصد بها التقليل من شأن الشاعر بـــل مدحـــه وإظهار تفوقه وإبداعه، لأن الإطلاع على تلك المصادر والاستفادة منها تحتاج إلى نـــوع من المهارة الفنية التي لا يقدرعليها إلا المبدع، فهو يريد من الشاعر إذا أخذ معنى لمتقدم أن تظهر شخصيته، وأن يضفي على ما يأخذه شيئاً من ذاته وروحه وطابعه الخاص، ويعد ذلك من سمات الشاعر الحاذق.

وقـــد تنـــبه الـــنقاد والقدماء إلى الأخذ من الأصول النثرية، وقد جعلوه من أجل ألوان الـــسرقة، كما نرى عند أبي هلال العسكري الذي جعل أحد أسباب السرقة أن يؤخذ المعنى من نظـــم فيورد في نثر، ومن نثر فيورد في نظم، أو ينقل المعنى من غرض لآخر، إلا أن هذا لا يكمل إلا للمبّرز والكامل المقدَّم[3] وكذلك ابن طباطبا فقد عدّ نظم النثر من الأخذ الحسن[4].

وأرى أن المتنبي لم ينقل حكمته من الحكم الأرسطية مباشرة، وإنما أخذ طريقة منهجية فلـــسفية فـــي صـــياغة أفكاره صياغة شعرية دقيقة موجزة، في قدرته على تمثل فلسفة اليونان وهضمها وصهرها في ثقافته العربية الأصيلة، ثم الانتفاع بها في تعميق معانيه، وترتيب أفكاره،

---

(١) ابن جني: الفسر ، ٩٩/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٩٩/٢.

(٣) انظر، العسكري، أبو هلال: الصناعتين، ص٢١٧.

(٤) انظر، ابن طباطبا: عيار الشعر، ص١١٣.

وتأصـيل فلـسفته وحكمته المستقاه من تجارب الحياة اليومية، ومن اطلاعه على تراث الحكمة الضخم في الشعر العربي.

ولـست أوافق أولئك النقاد الذين وقفوا في صف المتنبي من قدامى النقاد والشارحين أو الـذين هاجمـوه وأرادوا تبيان السرق في شعره، بحيث ذكروا عدداً لا يعقل من الشعراء، فمن المستبعد أن يكون المتنبي مغيراً على معاني أولئك السابقين، وهذا افتئات عليه لا شك فيه، لأن المعاني ملك للجميع وتشابه الفكرة لا يعني أن الشاعر أخذها من غيره، ولكن تختلف في طريقة التعبير والشكل الذي يتناولون به المضمون.

وقد سئل المتنبي عن اتفاق الخواطر فقال:

"الـشعر مـيدان والـشعراء فرسـان فربما اتفق توارد الخواطر كما يقع الحافر على الحافر"[1].

ويـؤيد القاضي الجرجاني عبارة المتنبي هذه حيث يدعو إلى التحرز والتأكد قبل اتهام شاعر بأنه أغار على معنى شاعر سابق أو معاصر له، فيقول: "وهذا باب -أي السرقة- يحتاج إلـى إنعـام الفكر، وشدة البحث، وحسن النظر، والتحرز من الإقدام قبل التبين، والحكم إلا بعد الثقة،وقد يغمض حتى يخفى، وقد يذهب منه الواضح الجلي على من لم يكن مرتاضاً بالصناعة، مـتدرباً بالـنقد، وقد تحمل العصبية فيه العالم على رفع العيان، وجحد المشاهدة، فلا يزيد على التعرض للفضيحة، والاشتهار بالجور والتحامل"[2].

وفي رأيي أن السرقة تحصل في حالات نادرة وواضحة، وتأثر اللاحقين بالسابقين أمر حتمـي لا مناص عنه، وقد ارتشف المتنبي رضاب من سبقه وسما فوقه في كثير من الأحيان،

---

[1] الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٢٠٨.

[2] المصدر نفسه، ص٢٠٨.

وأخفق في التحليق إلى مستواه في حالات نادرة وهذه إحدى نقاط القوة في شعره، كما أن تضلعه في اللغة وأسرارها هي احد مصادر متانة شعره.

٩- **الفصيح والأفصح**

"لم تكن القبائل العربية في نظر اللغويين ولا سيما المتزمتون منهم، سواء من حيث الفصاحة، بل كان بعضها فصيحاً موثوقاً بكلامه، وكان بعضها مطرحاً، لا يؤخذ بما يروى عنه من صيغ واستعمالات، وقد أدت هذه النظرة إلى إهدار كثير من كلام العرب ونبذه والحكم عليه بالشذوذ أو الندرة أو الضعف، وعدم السماح للمنشئين بالتكلم به، والنسج على منواله"[١].

قال ابن جني عن الأصمعي: "ومعلوم كم قدر ما حذف من اللغة فلم يثبته لأنه لم يقو عنده"[٢].

لكن ابن جني كان من النقاد اللغويين اللذين سلكوا سبيل التسامح في رواية كلام العرب، وابـاح للشعراء استعمال الضعيف أو القليل أو الشاذ، وقد عقد في كتابه "الخصائص" باباً في "الجمع بين الأضعف والأقوى في عقد واحد"[٣].

وروى ابن جني أن كبار الشعراء وفصحائهم كانوا يجمعون في الكلام الواحد القوي والضعيف من كلام العرب ومنهم الفرزدق الذي قال:

كلاهما حين جَدَّ الجريُ بينهما ... قد أقلعا وكلا انفيهما رابي[٤]

فعلق ابن جني بقوله: (قوله: كلاهما رابي قد أقلعا ضعيف، لأنه حمل على المعنى، وقوله: كلا أنفيهما رابي) قوي لأنه حمل على اللفظ"[٥].

---

[١] الغزاوي، نعمة رحيم: النقد اللغوي عند العرب، ص ٤٠٠.
[٢] ابن جني: الخصائص، ٣/ ٣١٤.
[٣] المصدر نفسه، ٣/ ٣١٤.
[٤] المصدر نفسه، ٣/٣١٦.
[٥] المصدر نفسه، ٣/٣١٦.

وكذلك قول ابن قيس.

لــئن فتنتــي لهْـيَ بــالأمس افتــنت سـعيداً فأضــحى قــد قَلَى كلَّ مسلم[١]

فعلــق ابن جني على قوله: "وفتن أقوى من أفتن، حتى أن الأصمعي لما أنشد هذا البيت شـاهداً لأفــتن قال: ذلك مخنث لست أخذ بلغته، وقد جاء به رؤبة إلا أنه لم يضممه إلى غيره، قال: "يُعرِضن إعراضاً لِدين المفتِن"[٢].

ويستشهد ابن جني بآية من القرآن الكريم: "بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"[٣]..

ويعلــق ابــن جني على الآية الكريمة بقوله: "فحمل أوّل الكلام على اللفظ، وآخره على المعنى، والحمل على اللفظ أقوى"[٤].

وقد علل ابن جني ظاهرة إيراد الفصحاء لما ضعف من الاستعمالات بأنهم إنما يفعلون ذلك لأنهم يرغبون في توسيع مجال القول على أنفسهم ولأنهم يعتزون بجميع اللغات ويكرهون أن يفرطوا فــي شــيء مــنها. قال ابن جني: "ووجه الحكمة في الجمع بين اللغتين: القوية والــضعيفة في كلام واحد هو: أن يُروك أن جميع -كلامهم تفاوتت أحواله فيما ذكرنا وغيره – علــى ذُكْر منهم، وثابت في نفوسهم، نعم، وليؤنِّسوك بذاك، حتى أنك إذا رأيتهم وقد جمعوا بين ما يقوى ويضعف في عقد واحد، ولم يتحاموه ولم يتجنبوه، ولم يقدح أقواهما في أضعفهما، كنت

---

(١) ابن جني: الخصائص ، ٣/٣١٦.

(٢) المصدر نفسه، ٣/ ٣١٦.

(٣) سورة البقرة، آية (١١٢).

(٤) المصدر نفسه، ص ٣/٣١٦.

إذ أفـردت الضعيف منهما بنفسه، ولم تضممه إلى القوي فيتبين به ضعفه، وتقصيره عنه، آنس به، وأقل احتشاماً لاستعماله"[1].

وكذلك قال في موضع آخر: "وهذا يدلك على أنهم قد يستعملون من الكلام ما غيره أثر فـي نفوسـهم مـنه، سـعة في التفسح، وآرخاء للتنفس، وشُحّاً على ما جشموه فتواضعوه، أن يـتكارهوه، فـيُلْغوه ويطَّرحوه، فاعرف ذلك مذهباً لهم، ولا تطعن عليهم متى ورد عنهم شيء منه"[2].

فـابن جنـي يمنح الشاعر حرية في تعامله مع اللهجات، ويسمح له بأن يتكلم بما يشاء مـنها، أسـوة بالقـدماء مـن شـعراء العربية، الذين كانوا لا يتورعون عن استعمال ما سمّاه المتزمتون فيما بعد، بالضعيف أو المرذول من اللهجات.

لقـد كـان فـصحاء العـرب وهم القدوة في هذا الشأن، يحترمون اللهجات جميعاً ولا يفضلون بعضا على بعض، كما أفصح عن ذلك ابن جني، وأتى بما يثبته من الشواهد.

ونـرى مذهـبه هـذا واضـحاً أيضاً في الفسر، فكان يورد الفصيح والأفصح، ويقرن المـستعمل المـشهور بالـنادر المتروك، ولم نره يقتصر في روايته اللغة على الأفصح، أو ما يعرف بالأعلى والأنّقى، ومن أمثلة إيراده الفصيح وما هو دونه. تعقيبه على قول المتنبي:

وَفِـي الـنَّفْسِ حَاجَـاتٌ وَفِـيكَ فَطَانَةٌ سُـكُوتِي بَـيَانٌ عِـنْدَهَا وَخِطَـابُ[3]

فبعد أن ذكر ابن جني أن (حاجة) تجمع على (حاجات) و (حاج) و (حوج)(قال: "فأما حـوائج فذهب الأصمعي إلى أنها جمع حائجة"[4] وذكر قول الأصمعي: "مذ خرجت من الخندق

---

(١) ابن جني: الخصائص، ٣/ ٣١٧.

(٢) المصدر نفسه، ٣١٩/٣.

(٣) ابن جني: الفسر، ٧٢/٢.

(٤) المصدر نفسه، ٢/ ٧٢.

إلى أن عدت إليه لم أسمع في جمع حاجة حوائج"[1]. ثم عقب على ذلك بإيراد أبيات استعمل فيها قائلـوها "حـوائج" وقال بعد ذلك: "وقال بعضهم حاجة مندفعة من حائجة، كما قالوا في (شايك) شـاك وفـي (لايث) لاث"[2]. وفي استشهاده على (حوائج) وفيما أورده من تعليل لها، ما يشعر بقوله إياها.

ومن ذلك قول المتنبي:

العَارِفِـينَ بِهَـا كَمَـا عَـرَفْتُهُمْ   والـرَّاكبينَ جُـدُودَهم أمّاتِهَـا[3]

والذي قال عنه ابن جني: "كان الوجه أن يقول: والراكب جدودُهم أُماتِها"... إلا أن هذا الـذي قالـه جائـز على قول من قال: "ذهبوا أخوتك، وقاما أخواك"... وحكى سيبويه أكلوني البراغيث" وله نظائر كثيرة في كلام العرب. وكأنه قال: "الذين رَكِبُوا جُدودُهم أُمَّاتِها" ولم يقل: "أمهاتِهـا" فلأنَّ "الأمهات" إنما تطلق على من يعقل، فإن كانت ممن لا يعقِل قلتَ: "أُمات" تقول: مـررتُ بأمَّهـاتِ الـزيدين، ومـررت بأمّاتِ خيلِكَ" قال تعالى: "وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ"[4].

وقـال عـز اسمه: "مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ"[5]. "وهو في القرآن والشعر كثير"[6].

---

(1) ابن جني: الفسر، ٢/ ٧٥.
(2) المصدر نفسه، ٢/ ٧٥.
(3) المصدر نفسه، ٢/ ١٢٦.
(4) سورة النحل، الآية (٧٨).
(5) سورة المجادلة، الآية (٢).
(6) ابن جني: الفسر، ٢/ ١٢٦.

وواضح مما تقدم تسامح ابن جني، وتسليمه بكل ما نطق به العرب، ومما يؤكد رأينا أن ابـن جنـي كان يورد في كتاب الفسر أحياناً في مفرده ما جميع ما أثر فيها من لغات، لا فرق عنده بين شائع مستفيض ونادر شاذ.

ومن ذلك تعقيبه على قول المتنبي:

فكلُّكُـــم أتـــى مَأْتَـــى أبِـــيهِ ... فَكُـــلُّ فِعـــالِ كُلِّكُـــمُ عُجـــابُ

قال ابن جني: "يُقال أتيت الشيء إتيانا ومأتى ومأتاه.. ويُقال أيضاً: أتوته بالواو"[1].

وقد علق الشاعر الأزدي حاشية على ما تقدم جاء منها: "وما أكثر ما يتطلب النادر الشاذ فيقـرنه بالمـشهور المستعمل إغراباً على الناس وفي ذلك إفساد اللغة، لأن أبا زيد وأبا عمرو الشيباني واللحياني وأبا مسحل وابن الأعرابي ومن عمل النوادر إنما سموها بهذا الاسم ليعلموا الـناس أنهـا غريبة شاذة عن منهاج الكلام الواضح، فهذا الرجل شديد التعلق بها، يفتش عليها، ويوجه لها وجوهاً من الإغراب ويعتقد العمل عليها، وإنما هي بنيات الطريق والمحجة الواضحة اسلم له لو لزمها"[2].

١٠- وحدة النسج

النَّسْجُ في اللغة: هو ضَمُّ الشيء إلى الشيء، نَسَجه يَنْسِجُه نَسْجاً فانْتَسج، ونَسَجَت الريح التـراب: سحبت بعضه إلى بعض، يقال: نسيج وحده أي: لا نظير له في علم أو غيره. ونَسجَ الشاعرُ الشعْرَ: نظمه، والشاعر ينسج الشعر[3].

---

(١) ابن جني: الفسر، ٢٠٥/١.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٢٠٥- ٢٠٦.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة (نسج).

والنَّـسْج: هـو الأسلوب، أو التعبير عن المعاني والأفكار بألفاظ وعبارات يشدّ بعضها بعضاً ليصبح الكلام كالنسيج الذي انضَمَّت خيوطه وترابطت، وأصبحت محبوكة ليس فيها خيط مـضطرب ولا لـون ضـالّ، وقد طلب القدماء وَحْدَة النسيج أي الأسلوب الواحد المتلائم في القصيدة، وعابوا الشعر المتفاوت النسيج[1].

وقـد تناول ابن جني هذا المبحث، ورأى أن شعر المتنبي عامة متفاوت جودة وراده، بسبب مواقـف هـذا الشعر، والظروف التي أملته، كما أن القصيدة الواحدة قد يتفاوت نسجها فتخشن ألفاظها وتتوعر حيناً، وترق وتسلس حيناً آخر.

فأمـا تفاوت نسيج شعر أبي الطيب بوجه عامٍ فقد أعرب عنه عندما تكلم على الأبيات التـي هجـا فيها ضبة بن يزيد العتبي، فقال ابن جني: "قيل لبشار يا أبا معاذ أنك تجيء بالأمر المتفاوت فمرةً تثيرَ العجاج بشعرك فتقول:

إذا مـا غَـضِبنَا غَـضْبَةً مُـضَرِيةً ... هَتَكْـنَا حِجَـابَ الشَّمسِ أو قَطرَت دَمَا

إذا مـا أعَـرْنا سَـيِّدا مِـن قَبِـيلةٍ ... ذُرَى مِنْبَـرٍ صَلَّـى عَلَيْـنَا وسَـلَّمَا[2].

ثم تقول:

ربابـة ربَّـةُ البـيتْ ... تَـصُبُّ الخَـلَّ بالـزَّيتْ

لَهَـا تِـسعُ دَجاجـاتٍ ... ودِيـكٌ حَـسَنُ الـصَّوتْ

فقـال: "إنمـا أُكلم كلَّ إنسان على قدر معرفته فأنتَ وعِلْيَةُ الناس تستحسنون ذلك، فأما ربابـة فهي جاريتي، وهي تربي دجاجاً، وتجمع لي بيضهنّ، فإذا أنشدتها هذا، حزمت لي على

---

(1) المرزباني: الموشح، ص٧٠.

(2) ابن جني: الفسر، ٢/٨٠-٨١.

جمع البيض، وأطعمتنيه، وهو أحسن عندها وأنفق من شعري كلّه، ولو أنشدتها في النمط الأول ما فهِمَتْهُ، ولا انتفعتُ بها"[1].

وقد عقب ابن جني على كلام بشار هذا بقوله: "فهذه صورة المتنبي في هذه القصيدة"[2] وقوله أيضاً "ورأيته قد قرئت عليه وهو يتكره إنشادها"[3] لما فيها من ضعف وتهافت نسج.

فاختلاف النسج أحد ما نعي على المتنبي، فقد وصفه الصاحب بن عباد بأنه "ربما يأتي بالفقـــرة الغـــراء مشفوعة بالكلمة العوراء"[4] وأورد الثعالبي للمتنبي أربع قصائد قال عنها إن المتنبي لم يستطع أن يخرجها متحدة النسج، متجانسة السبك، ووصف أحداهن بإن المتنبي" جمع فيها الشذرة والبعرة والدرة والآجرة"[5].

ويـــرى محمـــد شعيب أن اختلاف النسج في شعر الشاعر كله أمر متوقع ولا يمكن أن يسلم منه شاعر ذلك أن "معالم الجمال ومقومات الحسن أكثر من أن يحصيها شاعر، وإذا صح لـــشاعر أن يعـــيها كلها، فمن العسير عليه أن يلتزمها كلها ويفي بها جميعاً في كل ما أنتج من شعر على مدى الحياة، وعلى اختلاف الأغراض والظروف والأحوال والمقامات"[6].

---

(1) ابن جني: الفسر، ٢/ ٨٠-٨١.

(2) المصدر نفسه، ٢/٨١.

(3) المصدر نفسه، ٢/٨٠.

(4) الـصاحب بـن عـباد، أبو القاسم إسماعيل: الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، تح الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٥م، ص٣.

(5) الثعالبي، يتيمة الدهر، ١/ ٦٨.

(6) شعيب، محمد عبدالرحمن: المتنبي بين ناقديه، ص١٠٦.

١١- الغموض والتعقيد

عرف ابن منظور الغامض من الكلام فقال: الغامض من الكلام خلاف الواضح"[١].

وأصل المادة اللغوية (غ مُ ضَ) هو " العين والميم والضاد أصل صحيح يدل على تطامُنٍ في الشيء وتداخل"[٢]. "ويقال للأمر الخفي والمعتاص- أمر غامض"[٣].

أما الغموض في الإصطلاح: فيعرفه صاحب المعجم الفلسفي بما يلي:

"الغامض ما خفي مأخذه ومعناه، والفكرة الغامضة ضد الفكرة الواضحة"[٤].

ومن مرادفات مصطلح الغموض التعقيد.

والتعقيد في اللغة فهو من: العقد: نقيض الحَلِّ، والعقدة: حَجْمُ العَقْدِ، والجمع عُقد وخيوط معقدة: سُدِّد للكثيرة وعقَّد كلامه، أغوصه وعَمَّاه، وكلامٌ معقَّدٌ أي مُغمَّض"[٥].

أما اصطلاحاً فهو "أن لا يكون اللفظ ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع، وإما في النظم بأن لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير، أو حذف أو إضمار أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد، وإمّا في الانتقال أي لا يكون ظاهر الدلالة على المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى الثاني

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م، مادة (غمض).

(٢) ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تح عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م، مادة (غمض).

(٣) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة معجم في اللغة والبلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، مادة (غمض).

(٤) صليبا، جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية، واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ١٩٨٢م، ٢/ ١١٩.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة (عقد).

المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى الوسائط الكثيرة مع خفاء القرائن الدالة على المقصد"[١].

وقد نال مصطلح الغموض كثيراً من القلق والاضطراب أكثر من أي مصطلح نقدي آخر، لأسباب تعود إلى إشكالية تعدد مرادفاته اللغوية الكثيرة مثل التعمية والإبهام والاستغلاق والإلغاء وغيرها[٢].

وقد توقف النقد الأدبي قديمه وحديثه عند مسألة الغموض، ورأى فيها بعض النقاد ضرورية للشعر ولعل الناقد الإنجليزي وليام امبسون، وهو من أشهر النقاد الذين تناولوا مسألة الغموض على نحو تفصيلي واسع في كتاب "سبعة أنماط من الغموض" حيث عرف الغموض بقوله: "كل ما يسمح لعدد من ردود الفعل الاختيارية إزاء قطعة لغوية واحدة"[٣].

وقد قسّم الغموض إلى سبعة أنماط[٤]:

النوع الأول من الغموض، ويحدث عندما يتضمن النص عدداً من التفاصيل التي تحدث من دلالات متعددة في الوقت نفسه، ويتمثل ذلك في الاستعارة البعيدة أو الإيقاع أو الوزن.

النوع الثاني، ويتمثل في وجود تركيب نحوي في النص يسمح بفهم معين أو أكثر بينهما صلة.

النوع الثالث، يحدث في النص عندما يسمح بفهم معنيين مختلفين في آن واحد، ويتمثل ذلك في وجود بعض المفردات أو التراكيب ذات الدلالات المشتركة.

---

(١) الجرجاني، علي بن محمد أبو الحسن الحسيني: التعريفات، تح عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص٩٠.

(٢) انظر. إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، دار العودة، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٨١.

(٣) إمبسون وليام: سبعة أنماط من الغموض، ترجمة صبري محمد حسن عبدالنبي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م، ص١٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ٤١، ٨٠، ١٠٤، ١٢٧، ١٦٠، ١٧٣، ١٨٤، ٢٠٧، ٢٣١.
نقلاً عن: خليل، حلمي، العربية والغموض، دار المعرفة الجامعية، ط١،الاسكندرية، ١٩٨٨م، ص٢٨-٢٩.

النوع الرابع، ويتمثل في عدد من التراكيب ذات المعاني المتبادلة، والتي تعكس صورة من صور التعقيد في تفكير المؤلف.

النوع الخامس، تحدث عندما تظهر في لغة المؤلف جمل وعبارات متداخلة، يبدو كأن المؤلف غير مستوعب لها تماماً.

النوع السادس، وتحدث عندما تظهر في لغة الكاتب عدة تراكيب ذات معانٍ متناقضة، مما يضطر القارئ إلى وضع عدة تأويلات لها.

النوع السابع، ويتمثل في نوع من التعارض أو التناقض التام، الذي يقع في لغة الشاعر، مما يعكس نوعاً من التشتيت الذهني.

والمتأمل لهذه الأنماط يجد أن ابن جني قد فطن إلى كثير منها، مما يتضح لنا أن النقد العربي القديم قد سبق إمبسون في الاهتمام بالغموض بالمفهوم الذي طرحه[1].

<u>التعقيد في شعر المتنبي</u>

لعل أهم ما يميز المتنبي عن جمهرة شعراء العربية الآخرين أن قارئ ديوانه في كثير من المواضع -يواجه التعب والإرهاق قبل أن يهتدي إلى معرف معنى البيت الذي قصد إليه الشاعر.

وقد لاحظ عليه القدماء نزوعه إلى الإغراب قال فيه الصاحب: "ومن أعظم ما يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة حتى كأنه وليد خباء وغذي لبن لم يطأ الحضر ولم يعرف المدر"[2].

---

(1) السنجلاوي، إبراهيم: موقف العرب القدماء، مؤتمر النقد الأدبي، جامعة اليرموك، ٢٠-٢٣ تموز، ١٩٨٧م، ص ٤٠.

(2) الصاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل: الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٥م، ص١٤.

كمـا عاب النقاد ذلك عليه، وجعلوه "أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ويأخذ عليها في الطرق الوعرة، فيضل ويضل، ويتعب ويتعب"(١).

وقـد كان المتنبي شديد الإعتزاز بهذه الأبيات التي خرج منها على المتعارف عليه من قـواعد اللغة. فقد روى ابن جني عن عليّ بن حمزة البصري، صديق المتنبي في بغداد، أن أبا الطيب قال له بعد ما أنشد عضد الدولة قصيدته التي منها:

وَكَانَ ابْنَـا عَـدُوٍّ كَاثَـرَاهُ ... لَـهُ يَـاءَيْ حُـرُوفِ أُنَيْـسِيَـانِ(٢)

"أتظـنّ هذا الشعر لهؤلاء الممدوحين، هؤلاء يكفيهم اليسير، وإنّي أعمله لك لتستحسنه، أي لك ولأمثالك"(٣).

وكان المتنبي يرافق قرّاء شعره ومستمعيه في معاناتهم عند مواجهة هذا العويص المعقد من أبياته، يرقب ذلك بشعور لا يخلو من الإعتزاز والخيلاء فيعبر قائلاً:

أنَـامُ مِـلْءَ جُفونِـي عَـنْ شَوَارِدِها ... وَيَسْهَـرُ الخَلْـقُ جَرَّاها وَيَخْتَصِـمُ(٤)

ولفـتت هذه الأبيات المغرية في تراكيبها أو دلالاتها أنظار الناس الذين كانوا يكدحون ويكـدون أذهانهم في الاهتداء إلى معانيها. غير أن الذي نبه إلى خطورة هذه الأبيات، إنما هو ابـن جنـي قـال في مقدمة كتاب الفسر: "... وإن كان في بعض ألفاظه تعسف عن القصد في صـناعة الإعـراب من ارتكاب شاذ وحمل على نادر، فعن غير جهل كان منه ولا قصور عن اختيار الوجه الأعرف له"(٥).

---

(١) الثعالبي: يتيمة الدهر ١/١٦٩.
(٢) ابن جني: الفتح الوهبي، ص١٨٢.
(٣) المصدر نفسه، ص١٨٢.
(٤) المصدر نفسه، ص
(٥) ابن جني: الفسر، ١/ ٢٠.

ويـــرى ابن جني إلى وجود أبيات تنزع إلى الغموض والإغراب في شعر المتنبي، كما نرى من خلال النموذجين التاليين اللذين ذكرهما في مقدمة الفسر وهما قوله:

حَـــسَنٌ فـــي عُـــيُونِ أعْدَائِـــهِ   أَقْـبَحُ مِـن ضَـيْفِهِ رَأَتْـهُ الـسَّوَامُ[1]

قال ابن جني: "فالذي يسبق إلى النّفس من هذا أنّه حسن في عيون أعدائه، وأنه أقبح من ضيفه إذا رأته السّوام، وليس الأمر كذلك، بل هو بضده إنما معناه: حسن أي هو فتم الكلام، ثم كأنّه قال: هو أقبح من عيون اعدائه فيضيف وقت رؤية السوام له، هو المال الراعي لأنه ينحره للأضياف وكذلك تهلك الأعداء وتبترهم"[2].

ومن ذلك قوله:

فَأَكْبَــــرُوا فِعْلَــــهُ وَأَصْـــــغَرَهُ   أكبَــرُ مِــن فِعْلِــهِ الَّــذي فَعَلَــهُ[3]

قال ابن جني: "تم الكلام على "وآصغره" أي استكبروه منه إستصغره هو ثم قال مبتدئاً: أكبـــر من فعله الذي فعله" أي فاعل الفعل، فكأنّه قال: "هو أكبر من فعله" فهذا ونحوه كثير في شعره، فإذا استقريت هذا الكتاب وجدته منبهاً عليه ممّا أشار هو ونحوه وأوماً إليه"[4].

فـــسبب التعقيد كما يرى ابن جني هو سوء التأليف أو سوء النظم، وحذف ما يحتاج إليه الكـــلام، لـــذلك فقد لجأ ابن جني إلى الدفاع عن المتنبي، والاعتذار عنه، لأنه لا يعد ذلك نقصاً عنده بل كان عن وعيٍ ودرايةٍ في الأمر، وقد استدل بذلك على فضله وتقدمه.

أما خصومه فقد استدلوا بذلك على جنوح أبي الطيب إلى التعسّف وعلى فساد ذوقه، فقد ردوا معانيه المعقدة والغامضة، إلى التكلف في طبعه، وفي ذلك قال الوحيد البغدادي- الذي كان

---

(1) ابن جني: الفسر، ١/ ٢١.
(2) المصدر نفسه، ١/ ٢١.
(3) المصدر نفسه، ٢٢/١.
(4) المصدر نفسه، ٢٢/١.

شـديد القسوة في آرائه- إذ وصف المتنبي بقوله: "يأتي كثيراً بأفعال الإعراب ويترك وجوهه ويستعمل الرّذلى من اللغة ويدع الفصحى، ويدخل الغريب والوحشي في شعره ويكدّر المعاني مجاورة للأبيات..." [1].

و يعلّق الوحيد البغدادي في مكانٍ آخر على بيت المتنبي:

إيمَـا لإبْقـاءِ علَـى فَضْلِهِ   إيمَـا لِتَسْليمٍ إلـى رَبِّـهِ[2]

بقوله: "كان المتنبي يغرب جهده على الناس، وليس الإغراب من محاسن الشعر، وقد كان له أن يقول (إمّا) وهي أحسن وأعذب، وفي أسماع الناس أعرف، فتركها وأخذ (إيما) ليريهم أنه صاحب لغةٍ، والصحيح عندي أنه مات وما اهتدى إلى طريق الشعر الفاخر في الصناعة، بل هو متحير في طريقه يخبط فيها"[3].

وهذه بالطبع دعوى لا يمكن أن تكون مبرأة من الحسد ومشاعر الغيظ تجاه شاعر ملأ الدنيا وشغل الناس.

أنماط التعقيد عند ابن جني:

أشار ابن جني إلى أنماط من التعقيد اللفظي والمعنوي الذي ارتكبه المتنبي في شعره، وغيره من الشعراء،والمتمثل في التعقيد اللفظي الناتج عن استعمال المتنبي للشواذ النحوية واللغوية، فمن الأبيات المعقّدة الغامضة التي أتعب أبو الطيب العلماء في البحث عن معناها قوله:

---

(1) ابن جني: الفسر، ٢٣/١.

(2) المصدر نفسه، ١٠٥/٢، إيما: بمعنى إمّا.

(3) المصدر نفسه، ١٠٥/٢.

امــطْ عَــنْـــــكَ تَــشْبِيهي بِمـــا وكأنَّهُ فَمَــا أحَــدٌ فَوْقِــي وَلا أحَــدٌ مِثْلِــي[1]

ويتساءل الناس عن علاقة "ما" بالتشبيه، فهي ليست من أدواته كما هو معروفه.

قـــال ابـــن جني: " كان يجيب في هذا إذا سئل عنه بأن يقول: كأن قائلاً قال: ما يشبه؟ فــيقول الآخــر: يــشبه الأسد، يشبه السيف أو نحو ذلك فقال هو: أمط عنك تشبيهي بما وكأنه فاستعمل ما في التشبيه لأنها كانت سبب التشبيه وإنما هي استفهام فذكر السبب والمسبب جميعاً لاصطحابهما وقد فعل أهل اللغة هذا أيضاً، فقالوا: ألفا التأنيث يعنون اللتين في حمراء ونحوها وإنمــا علــم التأنيث الهمزة وحدها لا الألف ولكن لما كانتا مصطحبتين لا تفترقان سميتا جميعاً للتأنيث ولهذا نظائر"[2].

ويـــرى ابـــن جني أن التقديم والتأخير وكثرة المشتقات تلعب دورها في إحداث التعقيد اللفظي، ويلمح هذا في أبيات كثيرة منها قول المتنبي في وصف ناقته:

فَتَبِيـــتُ تُــسئِدُ مُــسئِداً فــي نِيِّها إسْــآدَها فــي المَهْمَــهِ الإنــضاءُ[3]

نجــد أن القـــارئ لهذا البيت يتحير في فهمه بعد أن يواجهه بهذا الركام اللفظي، وهذا العــبث بأجــزاء الجملة بالتقديم والتأخير. فالمتنبي يريد أن ناقته تسرع السير فيسرع تعبها في اســتهلاك شــحمها وإهزالها، وترتيب العبارة كما شرحها ابن جني هو: فتبيت هذه الناقة تسئد مــسئداً الإنضاء في نيها، مثل اسآدها هي المهمة. أي تبيت تسرع، مسرعاً الإنضاء في شحمها مثله إسراعها في البيداء[4].

---

(1) ابن جني: الفتح الوهبي، ص١٢٠.
(2) المصدر نفسه، ص١٢٠.
(3) ابن جني: الفسر، ٨٠/١.
(4) المصدر نفسه، ٨٠/١.

فعقد المتنبي بيته وعبارته بالتقديم والتأخير وكثرة المشتقات، الذي يوهم القارئ أوهاماً كثيرة، والذي استهلك فيه ابن جني ثلاث صفحات واستشهد بخمسة شواهد ليفسر معنى البيت.

ويرى ابن جني أن المتنبي وقع في مخالفات عروضية والتي تُسلَك في باب التعقيد، فقد خرج في بعض شعره من المألوف المتعارف عليه إلى الجائز القليل في قوله

لَعَمَمْتَ حتى المُدْنَ فيكَ مِلاءُ   ولَفُتَّ حتى ذَا الثَّناء لَفَاءُ[1]

قال ابن جني: "وصرَّع البيت وهو في أثناء المدح، لم يخرج من صفة إلى صفة أخرى معترضة إلا أنه جائز"[2].

ولا شك أن المتنبي أحدث ارتباكاً موسيقياً في الشطرين، ولكن هذا دليل على ثقافة المتنبي الذي كان يستخدم دائماً الشواذ عن العرب ويقيس عليها.

كما عرض ابن جني لبعض الأمثلة الناتجة عن التعقيد المعنوي، كتعقيد الفكرة والتواء المعنى، فنجد أن المتنبي قد أغرب في صنع استعارته وصوره، لدرجة تجعل الشرّاح يتخبطون في شرحه.

وتَقَلَّدتُ شامَةً في نَداءُ   جِلْدُها ومُنْفِساتُهُ وَعُتادُهُ[3]

وقد اختلف الشرّاح بتأويل هذا البيت، ولا شك أنه تعقيد ناتج عن التواء المعنى واضطراب الفكرة.

---

(1) ابن جني: الفسر، ٩٩/١.

(2) المصدر نفسه، ٩٩/١. التصريع: هو مطابقة العروض للضرب وزناً وقافية، ويأتي به الشاعر عادةً في أثناء القصيدة للانتقال من غرض إلى غرض، غير أن المتنبي فعل ذلك بدون انتقال من المدح إلى سواه.

(3) ابن جني: الفتح الوهبي، ص٦٣. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (نَفَسَ). المنفسات: هي الأشياء النفيسة، واحدها منفس. مادة (عَتَدَ) العتاد في فتح العين العدُّ: يُقال أخذ للأمر عدته وعتاده، والعتيد: الحاضر المهيأ.

ويــرى ابــن جني أن التعقيد ينشأ في التركيب/نتيجة للوضع السيء لكلمة معينة/فتتعقد الصورة وتفسد الاستعارة، كما نرى في قول المتنبي:

أنْـــساعُها مَمْغُـــوطةٌ وَخِفافُهـــا   مَـــنكوُحَةٌ وطَـــريقُها عَـــذْراءُ[1]

فالإغراب في كلمة الأنساع أدى إلى تعقيد الصورة، كما يرى ابن جني.

فقد أبانت هذه الأمثلة بصورة واضحة عن ظاهرة المشكل في شعر المتنبي، والتي أتاح المتنبـــي بأبــياته الغامــضة، فرصـــة سانحة للبحث في هذه المعاني وتأملها، والتي كانت سبباً لاخـــتلاف الـــشراح والنقاد، ويبدو أن أبا الطيب أدرك اختلاف العلماء في معاني شعره، فكان يـــستثيرهم ويستفزهم، وكثيراً ما كان يمتنع عن شرح غامضه، فكان إذا سئل عن بعض شعره، يقـــول: "لو كان شيخنا أبو الفتح حاضراً لأجاب"[2] وكان ابن جني الذي عاشر المتنبي وصحبه وحاوره سنين طويلة، دقيقاً عندما وصفه بأنه يرتكب التعسف في اللغة، ولكن هذا لم يمنعه من الإعـــتذار والدفاع عنه، والتي كانت له قدرة فائقة في التعامل مع شعر المتنبي، وأبياته المعقدة، والتـــي تمـــثلت بالمستوى اللغوي، وقد تمثلت عنايته في شرح بعض الألفاظ أو إعراب بعض التّـــراكيب، ليقرّب ما اشكل من فهمها إلى أذهان الناس، وقد سعى بذلك إلى التحول بالكلام من الغمـــوض الـــناتج عن اعتياص بعض الألفاظ أو توعّرها إلى الوضوح في إيراد المرادف الذي يقرب من الإفهام، وكان يسوق الكثير من الشواهد. من الشعر الفصيح أو من القرآن الكريم في تأيـــيد ما ذهب إليه، كما كان يوظف معارفه اللغوية في إخراج الكلام من حيز الإبهام إلى حيّز

---

(1) ابـــن جني: الفسر، ٨١/١. انظر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مغط). ممغوطة: ممدودة، والمغط من الـــشيء اللـــين. مـــادة (نكح). منكوحة: أي مدمية من الحصى، واستعار النكاح لوطئها الأرض، وإدماء الحصى إياها.

(2) الحضرمي: تنبيه الأريب، المقدمة.

البيان، كل ذلك من أجل إبراز المتنبي الشاعر وقدرته اللغوية وعلمه بدقائق المعاني والإقتدار عليها في الشعر.

كما نبه ابن جني إلى ظاهرة الفصل بين أجزاء الجملة بمعترضات، والتي كانت سبباً للغموض والتعقيد في شعر المتنبي، وهذا الفصل قد يقع بين الفعل وفاعله أو بين الفعل ومفعوله أو بين الفعل ومتعلقه أو بين المبتدأ وخبره.

ففي قول المتنبي

مَنْ يهتَدي في الفِعْل ما لا يهْتَدِي   في القَوْلِ حتى يَفْعَلَ الشُعَرَاءُ[1]

قال ابن جني: "كأنه قال: الذي يهتدي في الفعْل إلى ما لا يهتدي إليه الشعراء في القول حتى يفعل"[2].

وهو بهذا الفصل بين الفعل وفاعله بجملة (حتى يفعل) أضفى على عبارته غموضاً ولبساً.

وفي قول المتنبي أيضاً.

أنَّى يَكُونُ أبا البَرِيَّةِ آدمٌ   وأبُوكَ، والثَّقَلانِ أنتَ، مُحَمَّدُ[3]

قال ابن جني: "أي كيف يكون آدم أبا البريّة، وأبوك محمد وأنت الثقلان، أي تقوم مقامهما في الغناء والفخر، إلا أنه فصل بين المبتدأ وخبره بالجملة التي هي: والثقلان أنت، وفيه ضعف في الإعراب"[4].

---

(1) من: بمعنى الذي وليس استفهاماً.

(2) ابن جني: الفسر، ١/ ٨٩، ابن جني: الفتح الوهبي، ص٣٢.

(3) ابن جني: الفتح الوهبي، ص٥٣.

(4) المصدر نفسه، ص٥٣.

نجد أن التقديم والتأخير في ترتيب البيت من الأسباب الواضحة المؤدية إلى التعقيد اللفظي.

وفي قول المتنبي:

جَمدَ القِطارُ ولو رأته كمَا رأى   بُهِتَتْ فَلَم تتبجَّس الأنْوَاءُ[1]

فيفصل بين الفعل رأت وفاعله الأنواء بجملة افعال، فينشأ ما يسميه النحويون "التنازع" حيث تنازع رأت وبهتت وتتبجس على الفاعل "الأنواء"[2].

وقد بيّن ابن جني أن أهم أساب التعقيد هو الإخلال بقواعد النحو وعدم تطبيقها، ووضعها بالموضع الصحيح وترتيب أجزاء الجملة النّحوية، وقد عقد فصلاً في كتابه الخصائص بحث فيه هذه الظاهر، وهي ظاهرة الفصل بين مكونات الجملة بمعترضات، وقد أورد عدد كبير من الأمثلة والنصوص التي حللها وأعاد تركيبها على نحو ما تقتضيه قواعد اللغة وفصاحة العبارة، وفي أثناء عرضه لمباحث الفصل وحالاته وأنماطه المتنوعة قرر طائفة من الأحكام التي استند فيها على مواضعات النحويين حيناً وعلى مقتضيات الفصاحة حيناً آخراً.

وسأورد من الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر.

ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر:

فَقَدْ والشكُّ بيَّن لي عَناءٌ   بوَشْك فراقهم صُرَدٌ يصيح[3]

---

(1) ابن جني: الفسر، ٨٧/١. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (قَطَرَ). القطار: جمع قَطْر وهي المطر. مادة (بَهَتَ). بُهِتَتْ: تحيرت. مادة (نوء). الأنواء: جمع نَوء: وهو سقوط النجم المغرب وطلوعه في المشرق وهي منازل القمر.

(2) المصدر نفسه، ٨٧/١. للمزيد من الأمثلة أنظر: ابن جني: الفتح الوهبي، ص٤٥، ١٠٣، ١١٥.

(3) ابن جني: الخصائص، ٣٩١/٢.

قـال ابـن جني: "أراد: فقد بيّن لي صُرَد يصيح بوشك فراقهم، والشكّ عناء، ففيه من الفصول ما أذكره، وهو الفصل بين (قد) والفعل الذي هو (بَيَّن) وهذا قبيح لقوّة اتصال (قد) بما تدخل عليه من الأفعال، ألا تراها تُعتّد مع الفعل كالجزء فيه. ولذلك دخلت اللام المراد بها توكيد الفعـل علـى (قد) في نحو قول الله تعالى: "وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ"[1].

وقوله سبحانه: "وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ"[2].

وقوله:

ولقـد أجمـعُ رِجلَّـى بهـا حـذرَ المـوت وإنـي لَفـرور[3]

وفَـصل بين المبتدأ الذي هو الشك وبين الخبر الذي هو عناء بقوله: (بيَّن لي)، وفصل بـين الفعـل الذي هو (بيّن) وبين فاعله هو (صُرد) بخبر المبتدأ الذي هو (عناء)، وقدّم قوله: (بَوشـكِ فـراقهم) وهو معمول (يصيح) ويصيح صفة لصرد على صرد، وتقديم الصفة أو ما يـتعلق بها على موصوفها قبيح،... فكما لا يجوز تقديم الصفة على موصوفها، كذلك لا يجوز تقديم ما اتّصل بها على موصوفها..."[4].

وتلحـظ أن ابـن جنـي دائمـاً يعتذر عن الشعراء الذين يتعسّفون بارتكاب ألوانٍ من الاضـطراب والتعقيد والغموض في تركيب العبارة مما يتجاوز حد الضرورة الشعرية، بقوله: "فمتـى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أن ذلـك علـى مـا جشمه منه وإن دلَّ من وجه على جَورهِ وتعسّقه، فإنه من وجه آخر مؤذِن

---

(1) سورة الزمر، آية (٦٥).

(2) سورة البقرة، آية (١٠٢).

(3) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٣٩١.

(4) المصدر نفسه، ٢/ ٣٩١.

بـــصياله وتخمّطـــه، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصوره عن اختيار الوجه الناطق بفـــصاحته... لكـــنه جشم ما جشِمه على علمه بما يعقِب اقتحامُ مثله: "إدلالاً بقوة طبعه، ودلالة على شهامة نفسه"[١].

ثـــم قـــال: "وأن الـــشاعر إذا أورد منه شيئاً فكأنه لأنسه بعلم غرضه وسُفُور مراده. لم يـــرتكب صـــعبا، ولا جشم إلا أمَما، وافق بذلك قابلاً له، أو صادف غير أنِسٍ به، إلا أنه هو قد استرسل واثقاً، وبنى الأمر على آن ليس ملتبساً"[٢].

ومن ذلك قوله:

فأصْـبَحَـتْ بعـد خَـطَّ بهجـتِهـــا كـــأنَّ قَفْـــرا رُســـومَها قَلَمــــا[٣]

قال ابن جني: "أراد: فأصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قلَما خطَّ رسومها، حيث وضح ابن جني أنماط الفصل التي ارتكبها الشاعر، ما يجعله أصدق نموذج في التعقيد.

ثـــم قال: "نعم، وأغلظ من ذا أنه قدّم خير كأن عليها وهو قوله: خط، فهذا ونحوه ممّا لا يجـــوز لأحـــد قـــياس علـــيه، غير أن فيه ما قدّ منا ذكره من سمّو الشاعر، وتغَطْرُفِه، وبأوه، وتعجرفِهِ، فاعرفه واجتنبه"[٤].

وقـــد عـــرض ابـــن جني في خصائصنه للعديد من أنواع الفصل وانماطه كالفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف، وقال عنه أنه قبيح نحو قول الفرزدق:

فلَّمــــا للـــصلاة دعـــا المـــنادِي نهـضتُ وكـنتُ مـنها فـي غُرور[٥]

---

(١) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٣٩٢. تخمّطه: تكبره.

(٢) المصدر نفسه، ٢/ ٣٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ٢/ ٣٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ٢/ ٣٩٣.

(٥) المصدر نفسه، ٢/ ٣٩٠.

وقـوله أيـضاً: "ويلحـق بالفعل والفاعل في ذلك المبتدأ والخبر في قبح الفصل بينهما. وقوله: "وعلى الجملة فكلّما ازداد الجزءان اتصالاً قوي قُبْح الفصل بينهما"[١].

كمـا عـرض لأنماط من الفصل وقال: "والفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف وحرف الجر قبيح كثير ، لكنه من ضرورة الشاعر[٢] فمن ذلك قول ذي الرُّمة:

كـأنَّ أصـواتَ مـن إيغـالهنّ بـنا آواخِـر المَـيْس أصـواتُ الفراريج[٣]

"أي كأن أصوات آواخر المَيْس من إيغالهنّ بنا أصواتُ الفراريج"[٤].

وكان ابن جني يأخذ برأي البصريين، ومتقدمي الكوفيين فمثلاً في قول الشاعر:

يطُفـن بِحُـوزيّ المـراتع لـم يُـرَعْ بِـواديه مـن قَـرْعِ القِسيّ الكنائنِ[٥]

قـال ابـن جنـي: "فلم نجد بدّا من الفصل لأن القوافي مجرورة، ومن ذلك قراءة (ابن عامـر): "وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ"[٦] وهذا في النثر وحال السعة صعب جداً، ولا سيّما والمفصول به مفعولاً لا ظرف"[٧].

ومنه بيت الأعشى(ت٦٢٩م):

إلا بُدَاهـــــة أو عُـــــلا لـــة قـــارِح نَهْـدِ الجُــزاره[٨]

---

(١) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٣٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ٢/ ٤٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ٢/ ٤٠٤. انظر. ابن منظور: لسان العرب. مادة (ميس). المَيْس: شجر تتخذ منه الرحال، وأرد به الرحل.

(٤) المصدر نفسه، ٢/ ٤٠٤.

(٥) المـصدر نفـسه، ٢/ ٤٠٦. ابن منظور: لسان العرب. مادة (حوز). بحوزي: الفحل. لم يُرَعْ: لم يفزع بالوادي الذي هو فيه.

(٦) سورة الأنعام، الآية (١٣٧).

(٧) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٤٠٦.

(٨) المـصدر نفـسه، ٢/ ٤٠٧. انظر. ابن منظور: لسان العرب. مادة (بده) بُدَاهة: أول جرية. مادة (علا) عُلالـة: بقـية جـريه، ويـريد أن قتالهم ليس بالعصيّ وليس بالحجار، وإنما هو الخيل يمتطيها الفوارس بالسلاح. مادة (قرح) قارح: القارح من الخيل الذي أكمل خمس سنين.

قال ابن جني: "ومذهب سيبويه فيه الفصل بين (بُداهة) و (قارح)؛ وهذا أمثل عندنا من مـــذهب غيـــره فيه، لما قدّمنا في غير هذا الموضع، وحكى الفرّاء عنهم، برئت إليك من خمسة وعشيْرِي النخّاسيين، ولكن أيضاً: قطع الله الغداة يد ورجل مَن قاله،...."[1].

وكان من النقاد العرب القدماء من ذهب إلى استحسان المعقد والغامض من الشعر، لأنها مهمـــا قُلِّب فيها النظر تفتقت على المعاني العديدة والدلالات الحسنة، لكنه لم يمتدحوا منها الغلق الذي إذا تفحصته لم تحصل منه على معنى رائق أو غريب مستطرف.

قـــال ابـــن فـــورّجه (ت٤٠٠هـــــ): "فلا شيء افتق للخواطر في استنباط المعاني من مهاجسها، ولا أبعث للقرائح من استثارتها من مكامنها، من طول مراسها وعدّ أنفاسها"[2].

وهذا لا تتيحه للقارئ إلاّ الأبيات الغوامض والأشعار المعقدة.

وكـــذلك عند عبدالقاهر الجرجاني الذي قال: "ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف"[3].

وهـــذا لا يعنـــي عدم إهتمام النقاد العرب بالوضوح، فقد عدّوا الوضوح في المعنى من مقاييس جودة الشعر عند النقاد العرب، فقد جعل هؤلاء النقاد على اختلاف عصورهم وضوح

---

(1) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٤٠٧.

(2) ابـــن فـــورّجه، محمد بن أحمد بن محمد. الفتح على أبي الفتح، تح عبدالكريم الرجيلي، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد ١٩٧٤م، ص٣٦.

(3) الجرجاني، عبدالقاهر: أسرار البلاغة، ص١٢٦- ١٢٧.

العبارة شرطاً لجودتها، لأن الكلام إذا وضح استطاع أن يصل إلى المتلقي ويحدث فيه الأثر المطلوب (1).

قال ابن الأثير(ت ٦٣٧هـ): "المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى، فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به، ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرها(2).

ولكن النقاد العرب القدماء، وإن آمنوا بالوضوح ودعوا إليه، فإنهم لا يعنون بالوضوح الإسفاف، والإبتذال، ولم يقصدوا استعمال العبارات التي يفهمها كلّ الناس بمجرد سماعهم لها، فهم يؤمنون بوجوب وجود قدر من الغموض في الأثر الفني يثير التأمل ويجعل المتلقي يشارك في عملية الكشف.

---

(1) العزاوي، نعمة رحيم، النقد اللغوي عند العرب، ص٢٩٨.

(2) ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح د. أحمد الحوفي وبدوي طبانه، ط٢، دار نهضة مصر، القاهرة، بلا، ٤/٢.

الباب الثاني

المباحث البلاغية

١ - المجاز

٢ - الاستعارة

٣ - التشبيه

٤ - الكناية

١- المجاز

ومما ينبغي أن أبادر به القول في هذا المقام، أن الحديث عن المجاز لا بد فيه من ذكر الحقيقة، لأنها مقابلة للمجاز، فلكي نعرف المجاز ونتصوره لا بدّ أن نعرف الحقيقة أولاً.

فالحقيقة في اللغة: من الحقّ، والحقّ هو الشيء الثابت، قال تعالى: "لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ"[١] أي ثبت فالحقيقة إذن هي الشيء: الثابت إذا جعلناها اسم فاعل، أو الشيء المثبت إذا جعلناها اسم مفعول، وكلاهما صحيح؛ لأن صيغة فعيل في اللغة تصلح أن تكون اسم فاعل أو اسم مفعول[٢].

أما المجاز في اللغة: فهو مصدر ميمي من جَاز الشيء جوازاً إذا تعداه ويمكن أن يكون بمعنى اسم المكان من قولهم (جاز الطريق مجازاً) أي سلكه[٣] فالحقيقة في اللغة إذن الشيء الثابت، والمجاز في اللغة (تعدّي الشيء).

ومن المعنى اللغوي جاء المعنى الإصطلاحي، فالحقيقة: هي اللفظ المستعمل في ما وضع له، وأما المجاز: فهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينه تمنع إيراد المعنى الحقيقي[٤].

لكن لا بد من الإشارة إلى أن مرحلة الدراسة الإصطلاحية للمجاز، لم تستقر قبل القرن الخامس الهجري، فالنقاد والأدباء كانوا يطلقون اسم (الاستعارة) وملاكها المشابهة على الأنواع المجازية كلها، فقد شاع استعمال مصطلح الاستعارة، أما المجاز فقد انحسر استعماله إلا عند القليل أمثال ابن جني، وابن فارس (ت ٣٩٥هـ) [٥].

---

(١) سورة يس، الآية (٧).

(٢) ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، مادة (حقق).

(٣) لسان العرب، مادة (جوز).

(٤) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، ص١٠١، ٢٥٧.

(٥) انظر. السامرائي، مهدي صالح: المجاز في البلاغة العربية، دار الدعوة، سورية، ط١، ١٩٧٤م، ص٦٠.

أمـــا ابـــن جنـــي فقد تناول موضوع المجاز في كتاب (الخصائص) وقد عرف كلاً من الحقيقة والمجاز في مطلع موضوع، بقوله: "الحقيقة ما أقرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بضد ذلك"[١].

وهذه خطوة جديدة في تطور البحث المجازي لم تعرف عند سابقيه.

وأرى مـــن خـــلال تعريفه لمصطلح المجاز أنه يلتقي بمفهوم التوسع، فالتوسع في اللغة والاصطلاح تعني السعة: وهي نقيض الضيق "وتوسعوا في المجالس أي تفسحوا" والسعة: الجدة والطاقة"، واتسع النهار وغيره امتد وطال. والوسع: جدة الرجل، وقدرة ذات يده.

ويذكـــر ابن منظور عن أبي إسحاق في قوله تعالى﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[٢]، يقول: أينما تولوا فاقصدوا وجه الله تيممكم القبلة، إن الله واسع عليم" يدل على أنه توسعة على الناس في شيء رخص لهم، قال الأزهري أراد التحري عند إشكال القبلة"[٣].

فهـــو يـــربط بـــين الواســـع والتـــرخص في الأمر مما يؤشر على أن السعة تدل على المســـامحة. وكل هذه الدلالات اللغوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدلالة "التوسع" مصطلحاً، الذي يدل دلالة عامة على توسيع دلالة اللفظ أو التركيب الأصلية لتشمل دلالات جديدة، وعلى الطاقة التي يحملها النص المتسع لتوليد دلالات جديدة ومتعددة، وعلى المسامحة والترخص في اختراق اللغة المألوفة والمعيارية والنمطية. مما يدل على أصالة مفهوم المصطلح عند العرب. يعزز ما نذهب إليه أن ابن جني يطلق على مفهوم التوسع (شجاعة العربية) [٤]، فقد نسبه إلى العربية وصرح بمـــا يـــنطوي عليه من شجاعة في استعماله وترتبط هذه الأصالة ارتباطاً وثيقاً بما تركز عليه

---

[١] ابن جني: الخصائص، ٢/ ٤٤٢.

[٢] سورة البقرة، الآية (١١٥).

[٣] ابن منظور: لسان العرب، مادة (وسعَ).

[٤] الجداونة، حسين عقلة فارس، "التوسع في الموروث البلاغي والنقدي"، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠٣م، ص٨. وانظر. ابن جني: الخصائص، ٢/ ٣٦٠.

الدراســات الــنقدية المعاصرة من استخدام اللغة استخداماً خاصاً في الأعمال الأدبية والشعرية بــنحو خــاص، أو مــا أطلقــوا علــيه (الانحراف) والانزياح. وتكشف طبيعة تناولهم لهذين المــصطلحين عــن اتفاقهما مع مصطلح التوسع، وقد صرح بعضهم بهذه العلاقة حين ترجموا المصطلح الأجنبي (Ecart) و (Deviation) بالتوسع أو الاتساع أو العدول[1].

ويــرى ابن جني أنه يؤتى بالمجاز لمعان ثلاثة: الاتساع والتوكيد والتشبيه، (فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البته) [2].

فقد تناول ابن جني التوسع واحداً من المسوغات الثلاثة التي يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة.

وكما نرى فإن هذه الأوصاف تكون مع بعضها البعض مباحث المجاز عند ابن جني.

وقــد حاول ابن جني أن يبين هذه المعاني بطائفة من الأمثلة، منها قول الرسول ﷺ في الفرس: هو بحر، فقول الرسول عنده من المجاز لاشتماله على الاتساع والتوكيد والتشبيه.

يقــول: "فأمــا الاتساع فلأنه زاد في أسماء الفرس... البحر، ولو عري الكلام من دليل يوضّــح الحال لم يقع عليه بحر، لما فيه من التعجرف في المقال من غير إيضاح ولا بيان، ألا ترى أن لو قال رأيت بحراً وهو يريد الفرس لم يعلم بذلك غرضه، فلم يخبر قوله؛ لأنه إلباس، والغاز على الناس"[3].

ويقــصد بالاتــساع: "أن اللفظة المجازية تضاف إلى الأسماء الحقيقية للمسمّي الواحد، فتُثري اللغة، مثل قول الرسول ﷺ في الفَرَس: بحر، فأضيفت كلمة "بحر" إلى أسماء الفرس.

---

(1) انظــر. عبدالــسلام المــسدي: الأســلوبية والأسلوب، دار سعاد الصباح، الكويت، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣، ص٦٢-٦٣.

(2) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٤٤٢.

(3) المصدر نفسه، ٢/ ٤٤٢.

وأما التوكيد: فيقول: "فلأنه شَبَّه العَرَضَ بالجوهر"[1].

وأما التشبيه: "فلأن جري الفرس في الكثرة كجري ماء البحر"[2].

ويبدو من تحليله هذا أن المجاز توسع، فالعلاقة بين اللفظ قبل التوسع وبعده المشابهة، وأما الغرض الفني، فهو التوكيد الذي يتحقق بالتوسع.

ويذكر ابن جني العديد من الأمثلة والشواهد من آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وشعر العرب، والخطب والأمثال، مبيناً فيها المعاني الثلاثة التي يشتمل عليها المجاز وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه.

ومن أبرز الأمثلة التي ذكرها ابن جني على المجاز قولهم: "بنو فلان يطؤهم الطريق" ففيه من السعة إخبارك عما لا يصح وطؤه بما يصح وطؤه.. ووجه التشبيه إخبارك عن الطريق بما تخبر به عن سالكيه فشبّهه بهم إذ كان هو المؤدى لهم، فكأنه هم، وأما التوكيد، فلأنك إذا أخبرت عنه بوطئة إياهم كان أبلغ من وطء سالكيه لهم.

وذلك أن الطريق مقيم ملازم، فأفعاله مقيمة معه وثابتة بثباته، وليس كذلك أهل الطريق لأنهم قد يحضرون فيه، ويغيبون عنه، فأفعالهم أيضاً كذلك حاضره وقتاً، وغائبه أخرى، فأين هذا ممّا أفعاله ثابتة مستمر، ولما كان هذا كلاماً الغرض فيه المدح والثناء، اختاروا له أقوى اللفظين، لأنه يفيد أقوى المعنيين"[3].

"فابن جني يذكر لنا من خلال المثال السابق كيف كان الاتساع بهذا التعبير المجازي ثم التشبه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ثم كيف كان هذا التعبير المجازي أكثر بلاغة

---

(1) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٤٤٣.

(2) المصدر نفسه، ٢/٤٤٣.

(3) المصدر نفسه، ٢/٤٤٦.

ومـــبالغة من التعبير الحقيقي ويوضح لنا في هذا المعنى الثالث السر البلاغي الذي يدعونا إلى القول بأن المجاز أبلغ من الحقيقة ولما في معناه من القوة التي يعرى منها المعنى الحقيقي"[1].

وقد تناول هذا المثال من قبله سيبويه الذي يرى أن الاتساع مقترن بالإيجاز والاختصار، علـــى أن المجـــاز عنده هو الاتساع. وخير مثال على ذلك قول سيبويه: "ومما جاء على اتساع الكـــلام والاختـــصار قوله تعالى: "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا"[2] وإنما يريد القرية فاختصر[3].

وأمـــا ابن جني فقد نظر إلى هذا المثال نظرة شاملةٍ، وتوسع في القول، ليوضح الفكرة التي يحتوي عليها المجاز، إذ جاءت الفكرة عند سيبويه مختصرة.

كما نجد أن ابن جني وسع كثيراً في مفهوم المجاز وأدخل فيه أبواباً عديدة، يقول: "ومن المجاز كثير من باب الشجاعة في اللغة: من الحذوف والزيادات والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف"[4].

يـــؤكد علاقة "التوسع" بشجاعة العربية: "وكيف تصرفت الحال والاتساع فاشٍ في جميع أجناس شجاعة العربية"[5].

وكذلك قوله: "واعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة، وذلك عامة الأفعال، نحو قام زي، وقعد عمرو، وانطلق بشر، وجاء الصيف وانهزم الشتاء..." [6].

---

(1) حسين، عبدالقادر: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص٣٢٦.

(2) سورة يوسف، الآية (٨٢).

(3) ســـيبويه، أبـــو بـــشر عمـــرو بن عثمان: الكتاب، تح عبدالسلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م، ١/١٠٨.

(4) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٤٤٦.

(5) المصدر نفسه، ٢/ ٤٤٦.

(6) المصدر نفسه، ٢/ ٤٤٧.

فهو يعد هذه الجمل وأشباهها مجازاً لا حقيقة، وعلى هذا التصور يرى أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة.

وابن جني يستمد هذه الفكرة من أستاذه أبي علي الفارسي والذي يرى بدوره أن المجاز لا بـد أن يتوافـر فـيه المعاني الثلاثة، الاتساع والتوكيد والتشبيه[1] ولكن ابن جني يتوسع في عـرض الفكرة وشرحها والتعقيب عليها وضرب الأمثلة والشواهد، يتداخل فيها مذهبه البصري بالجانب العقائدي، وقد ركز حديثه في هذا المضمار على الأفعال بقسميها: "المسندة إلى الفاعلين مهما كانوا" و"أفعال القديم سبحانه"[2].

ومـن خلال حديث ابن جني عن المجاز نتبين أنه لا بد فيه من التشبيه، أو دليل يوضح أن اللفـظ مـستعمل في غير معناه الأصلي، كما في المثال الذي ذكرته آنفاً، "بنو فلان يطؤهم الطريق".

يـرى ابن جني أن المشبه: الطريق، والمشبه به: قوم سائرين، والوطء دليل على ذلك التشبيه، فالعلاقة هنا المشابهة.

ونجد أن ابن جني يستعمل هذه التشبيه ويقصده في جميع ألوان المجاز.

ففي قول المتنبي:

مَـنِ الجـآذِرُ فـي زِيِّ الأعاريـبِ ... حُمْـرُ الحُلَـى وَالمَطايـا والجَلابيبِ[3]

---

(1) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٤٤٩.

(2) صـمّود، صمادي: التفكير البلاغي عند العرب إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م، ص٥٢. انظر أمثلة في: ابن جني: الخصائص، ٣/ ٢٤٥، ٢/ ٤٤٩.

(3) ابن جني: الفتح الوهبي، ص٤١. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (جذر). الجآذرُ: جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية. مادة (عرب).الأعاريب: جمع عرب وأعرب وأعاريب (وكله اسم جنس).

قـــال ابن جني: "وجعل كونهن جآذر حقيقة وجعل كونهن أعاريب مجازاً وتشبيهاً وذلك للمبالغة في الصنعة"[1].

ويلحـــظ الدكـــتور عـــبدالقادر حـــسين أن المجاز عند ابن جني "يشمل التشبيه البليغ، والاســـتعارة، والمجـــاز المرســـل، وهـــو عنده قائم على التشبيه ويدخل في مفهوم الاستعارة المكنية"[2].

٢ - **الاستعارة.**

الاستعارة في اللغة: مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه[3].

وعرف الاستعارة كثير من النقاد والبلاغيين، ومن أبرز هذه التعريفات وضوحاً ما قاله القاضي الجرجاني في تعريف الاستعارة: "الاستعارة ما أُكتُفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهم إعراض عن الآخر"[4].

وقـــال أبـــو هلال العسكري: "إنّها نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيـــره لغرض" أي أنه اشترط في الاستعارة أن يكون وراءها هدف وإلا فاستعمال اللفظ بمعناه الأصلي أولى"[5].

---

(١) ابن جني: الفتح الوهبي، ص٤١.

(٢) حسين، عبدالقادر، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص٣٢٩.

(٣) ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، مادة (عور).

(٤) الجرجاني، علي عبدالعزيز، الوساطة، ص٤١.

(٥) العسكري، أبو هلال: الصناعتين، ص٢٦٨.

أمـا ابـن جني الذي تناول الاستعارة، وأقامها على التوسع باللغة من خلال فهمه العام للمجـاز، لأنـنا نجـد أن الاسـتعارة عنده تقوم على التشبيه، والغرض منها التوسع والتشبيه والتوكيد(١)، ولا تقع الإستعارة إلا للمبالغة.

ونـرى أن ابـن جنـي قد وسع دائرة المجاز، وجعل الاستعارة داخلة في هذه الدائرة، والدليل على ذلك قوله: "ولكن لو قال: بنيت لك في قلبي بيتاً أو ملكت من الجود عبداً خالصاً أو أحللـتك مـن رأيي وثقتي دار صدق لكان ذلك مجازاً واستعارة؛ لما فيه من الاتساع والتوكيد والتـشبيه"(٢). ويعرض بعض الشواهد الشعرية والأمثلة التي تؤيد ما ذهب إليه، ويستشهد بقول طرفه بن العبد (ت٥٦٩م) في معلقته:

ووجـهٍ كـأنّ الـشمس حلّـت رداءها — علـيه نقـيّ اللـون لـم يـتخدّدِ(٣)

قـال ابن جني: "جعل للشمس رداء وهو جوهر، لأنه أبلغ في النُور الذي هو العَرَض، وهذه الاستعارات كلها داخلة تحت المجاز"(٤).

ونرى أن ابن جني يقرن بين المجاز والاستعارة في كتابيه "الفسر والفتح الوهبي".

ففي قول المتنبي:

لاَ يَمْلِـكُ الْطَّـرِبُ المَحْـزُونُ مَـنْطِقَه — وَدَمْعُـهُ وَهُمَـا فِـي قَبْضَةِ الطَّرَبِ(٥)

قال ابن جني: ".... وجعل للطرب قبضة استعارة ومجازاً"(٦).

---

(١) ابن جني: الخصائص، ٤٤٦/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٢/ ٤٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ٤٤٥/٢. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (حلّ). حلّت: أي خلعته وألبسته إياه.

(٤) المصدر نفسه، ٢/ ٤٤٥.

(٥) ابن جني: الفسر، ٢٠٧/١.

(٦) المصدر نفسه، ١/ ٢٠٧.

فمــن واقــع فهمــه للمجــاز بأنه "للتوسع والتوكيد والتشبيه" تكون الكلمة المنقولة من الإســتعمال الحقيقــي إلى الاستعمال المجازي. استعارةً، ولو صلحت أن تكون إضافة للمسمى نفــسه، تكون مجازاً، فالقبضة منقولة على سبيل الاستعارة، وتضاف إلى معاني الطرب فتكون مجازاً.

ويوضح ابن جني هذه الفكرة في تعليقه على بيت المتنبي:

كَــأنَّ رَحيلــي كــانَ مِــنْ كَفِّ طَاهِرٍ ... فأثْــبَتَ كُــورى في ظُهُورِ المَوَاهِبِ[1]

قال ابن جني: "... جعل للمواهب ظهوراً، مجازاً وتوسعاً"[2].

كذلك قول المتنبي:

أثَّــر فــيها وفــي الحَديــدِ وَمَــا ... أثَّــرَ فــي وجْهِــهِ مُهَــنَّدُها[3]

"... (أثر فيها) استعارة ومجاز، لأن الضربة عرض ولا يصح التأثير فيها"

ويأتــي تعليق الوحيد بقوله: "يجوز أن يكون أراد الضربة ذُمَّت حين وقعت به؛ لأنها لم تكن بحق، وكان ذلك الذم تأثيراً فيها، وكذلك السيف ضرب غير مستحق، فذمَّ، فذلك الذم تأثيراً فيه، وكل هذا مجاز واتّساع"[4].

كما أشار ابن جني أن الاستعارة لا تقع إلا للمبالغة، فمثلاً في قول المتنبي:

فَتَــى يَمْــلأُ الأفْعــالَ رأيــاً وَحِكْمَــةً ... وَبَــادِرَةً أحْــيَانَ يَرضــى وَيَغْــضَبُ[5]

---

(1) ابــن جني: الفسر، ١/ ٣٤٠. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (كور).كوري: رحل الناقة، والجمع: أكوار وكيران.

(2) المصدر نفسه، ١/ ٣٤٠.

(3) المصدر نفسه، ٢/ ٢٩٥.

(4) المصدر نفسه، ٢/ ٢٩٥.

(5) المصدر نفسه، ٢/ ٣٠.

"... قوله (يملأ الأفعال) استعارة وفيها مبالغة، ولا تقع الاستعارة إلا للبمالغة، ولولا ذلك لكانت الحقيقة لا يجوز غيرها"[١].

كما نص ابن جني على أن الاستعارة تستخدم للتشبيه.

عَــلاَ كَــتَدَ الدُّنــيا إلــى كُــلِّ غَايَــةٍ   تَـــسِيرُ سَـــيْرَ الذُّلُـــولِ بِــراكِب[٢]

قال ابن جني: "... واستعار للدنيا كَتداً تشبيهاً"[٣].

ويتضح من تحليل ابن جني طبيعة تصوره لكل من الاستعارة والتوسع والعلاقة بينهما، مــن خــلال استخدام الدوال (قبضة، مواهب، يملأ الأفعال) والتي أحدثت في النصوص السابقة توســعاً، بمعنــى أن المتنبــي اســتخدم هذه الدوال مع ما لا يستعمل في اللغة العادية النمطية، فالاســتعارة هنا، هي خروج على اللغة المألوفة وخلخلة لها، واللغة المألوفة في نظر ابن جني هــي أصــل اللغة، وهذا التوسع لم يكن زخرفياً خالياً من قيمة أو وظيفة، فقد أشار إلى قيمتي التــشبيه والمــبالغة والتوكــيد. فــإن الاستعارة تغدو في نظره عاملاً مهماً من عوامل التوسع والنهوض به[٤].

ومن هنا تتضح أن وظيفة الاستعارة هي التوضيح، وهي وسيلة من وسائل التعبير عن الانفعــال، وعــن الموقف، وتجمع بين الأشياء المتناقضة، وترسم لها علاقة لتؤثر في القارئ. وتوضــح تجــربة الشاعر، الذي يحاول فيها أن يصل إلى ذروة الانفعال، ومهمتها، أيضاً، "أن تــتعاون مع غيرها في إبراز رؤية الشاعر، وتحديد موقفه من الشيء الذي يصوره، وفي ذلك

---

(١) ابن جني: الفسر، ٢/ ٣٠.

(٢) المــصدر نفسه، ٣٤٧/١. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (كتد). كَتَد: الكَتَد والكَتِد: (لغتان) وهما أصل العنق، ويقال هو مجتمع رؤوس الكتفي من الفرس وجمعها أكتاد.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٣٤٧.

(٤) انظر. الجداونة، حسين عقلة فارس: التوسع في الموروث البلاغي والنقدي، ص٧٩.

ابتعاد بها عن الشكلية والتقليد الذي يضعف الصورة، ويقف بها عند حدود حسية جائة دون ربط الحس بجوهر الشعور والفكرة في الموقف الشعوري الذي يعيشه[1].

٣- التشبيه

التـــشبيه كمـــا يـــدل عليه الأصل اللّغوي لهذه الكلمات هو: "الدلالة على مشاركة أمر لأمر"[2].

وقـد اتفق القدماء على أن التشبيه "إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما وتوصـــفان بهـــا وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كـــذلك، فأحـــسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتركا في الصفات أكثر من انفرادها فيه حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد"[3].

وعرف التشبيه كثير من النقاد والبلاغيين، وكل هذه التعريفات تؤدي معنى واحد هو أنّ التشبيه ربط شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر[4].

وقد اختلف النقاد القدماء حول هذا الفن هل هو مجاز أو غير مجاز، فكان ابن جني من الـــنقاد الذي كان لهم رأي واضح في هذه القضية، فقد عد التشبيه البليغ مجازاً مثل (أنت الأسد) وقد أشار إلى التشبيه وقصده في جميع ألوان المجاز، بل ويعتبره ركناً من أركانه الثلاثة.

ويـــرى ابن جني أن المجاز قد يتحول إلى حقيقة حين يكثر استعماله، وقد يتناسى أصله المجـــازي، ويـــؤكد المجاز والتوسع في بنية التشبيه (أنت الأسد) فهذا لفظه لفظ الحقيقة، أي أن

---

(١) الـــصاوي، أحمـــد عبدالـــسيد: مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٨م، ص٥٠.

(٢) لسان العرب، مادة (شبه).

(٣) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص١٢٢.

(٤) مطلـــوب، أحمـــد: معجـــم المـــصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م، ص٣٢٤- ٣٢٥.

الدال "أنت" حقيقة، والدال "الأسد" حقيقة كذلك، لكن المعنى المتولد عن التركيب، هو مجاز وتوسع، أي جعل المخاطب أسداً، لأن ابن جني يرى أن أصل التركيب "أنت أسد" هو "أنت كالأسد". فليس ثمة ادعاء في التركيب الأخير يجعل الأول الآخر.

ونلحظ هنا إشارة ابن جني تحول المجاز إلى حقيقة، في باب مشابهة الإعراب معاني الشعر"، فقال: "وسبب تمكن هذه الفروع عندي أنها في حال استعمالها على فرعيتها تأتي مأتى الأصل الحقيقي لا الفرعي التشبيهي، ألا ترى أنه إنما يريد: أنت كالأسد... فاما كثر استعمالهم إياه وهو مجاز استعمال الحقيقة واستمرّ واتلأب، تجاوزوا به ذلك على أن أصاروه كأنه هو الأصل والحقيقة، فعادوا فاستعاروا معناه لأصله، فقال: "ورمل كأوراك العذارى"، وهذا من باب تدريج اللغة"[1].

ومن أبرز الأمثلة التي أشار فيها ابن جني إلى التشبيه، قول المتنبي:

تَكْبُو وَرَاءَكَ يا ابْنَ أَحْمَدَ قُرَّحٌ لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلاتِهَا[2]

قال ابن جني: "والهاء في (آلاتِها) تعود على (وراء)، لا غير، وهي مؤنثة تقول العرب: فلان وَرَيِّتُهُ الحائطَ وراءَه.

ومعناه: إنَّ هذه (القُرَّح) إذا اتبعك كبتْ وراءك، وخانتها قوائمها، ولم تحملها في طريقك، لصعوبة مسالكك، وبعد مطالبك. أي يحتاج من تبعك إلى قوائم جياد تحمله وراءك، وإلاّ قصرتْ عنك، وذكر (القوائم) لمّا قدّم (القُرَّح) لتشبيه الألفاظ؛ وهذا كلّه اتساع على التشبيه.

---

(1) ابن جني: الخصائص، ٢/١٧٧– ١٧٨.

(2) ابن جني: الفسر، ٢/ ١٣٩. انظر. ابن منظور: لسان العرب. مادة (قرح) القرح: جمع قارح، وجمع قارحة: قوارح، وهو الذي له خمس سنين وهو عندها يستكمل قوته وشدته.

فـــردّ دايه الوحيد بقوله: "قوله إنّ الهاء في آلاتها تعود إلى ورائك إنّما هو نحوي، ولم يَبْنِ الرّجلُ المعنى على هذا، وإنّما الهاء تعود على القُرَّح، يقول: كأنَّها لما اتَّبعتكَ كبت وتخلفت فقوائمها كأنَّها ليست لها، على التشبيه، وهذا هو القول"(1).

وكذلك قول أبي الطيب

لَـوْ مَـرَّ يَـرْكُضُ فـي سُطُورِ كِتَابَةٍ   أَحْـصَى بِحَافِـرِ مُهْـرِه مِـيمَاتِهَا(2)

قـال ابن جني: "وخصّ الميمات دون العينات والفاءات والقافات ونحو ذلك مما ليس له شـكل إلـى التدوير لأن الميم أشبه بالحافر من جميع حروف المعجم، فذكره الميم دون غيرها تـشبيه جـاء معترضاً، وأحسن ما جاء التشبيه كذلكُ، إذا كان بغير أداة التشبيه، بل يهجم على السمع من غير توقّع له، كقوله:

تَـرنُو إلَـيَّ بعَـيْنِ الظَّبْـي مُجْهِـشَةً   وَتمْـسَحُ الطَّـلَّ فَـوقَ الوَرْدِ بالعَنَمِ(3)

"... في هذا البيت أربع تشبيهات بغير أداة التشبيه..."

فرد عليه الوحيد بقوله: "هذا الباب من التشبيه لعمري أنه لكما وصفه، ولكن المتنبي لم يُـرد ذلك، لأنه لما قال: "أحصى بحافر مُهرِه ميماتها" فإنما يجب أن يكون ما يوجبه الإحصاء، أما كثرة العدد وإما خفاء الصورة، حتى يكون المعنى تاماً، لأنه إذا أحصى الكثير أو تيقظ للخفيّ المعجـز، صحَّ معناه الذي ساقه على أول بيته، فأما شبه الحوافر فخارج عن هذا المعنى، ولو أراده على خروجه عن المعنى لكان العين مفتوحةً أشبه بالحافر، وما قصد الرجل من هذا شيئاً

(1) ابن جني: الفسر، 2/ 139.

(2) المصدر نفسه، 2/ 132.

(3) المصدر نفسه، 2/133. انظر. ابن منظور: لسان العرب مادة (عنم). العنم: دود أحمر يكون في الرحل.

ســـوى أنـــه عمد إلى أخفّها لفظ جمع فقال: "ميماتها" ولأن (الميم) أيضاً كثير في الكلام ولخفّته أيضاً؛ لأن غيرها أكثر في الاشكال منها وأبين[1]".

وفي قول أبي الطيب:

وَعَجاجَــةً تَــرَكَ الحَدِيــدُ سَــوَادَها   زَنْجــاً تَبَــسَّم أوْ قَــذَالاً شــائِبَا[2]

قال ابن جني: "شبه بريق الحديد في سواد العجاجة، بزنج تبسم فيبرق بياضَ أسنانها من تحت السواد، أو بقذال قد شاب، فبياض الشيب يلوح في سواد الشعر"[3].

كمـــا تناول ابن جني التشبيه المعكوس، وقد عده توسعاً في اللغة، وعقد له فصلاً سماه (باب من غلبة الفروع على الأصول)، يقول فيه "هذا فصل من فصول العربية طريف؛ تجده في معانـــي العـــرب، كمـــا تجده في معاني الإعراب، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة"[4].

ونجد أن ابن جني يستشهد على هذا النوع من التشبيه بالعديد من الأبيات الشعرية، فمن ذلك قول ذي الرُّمّة:

ورمَــلٍ كــأوراكِ العَــذَارَى قطعــتُه   إذا أَلْبَــسته المُظلمــاتُ الحــنادِسُ[5]

ويعقب ابن جني بقوله: "أفلا ترى ذا الرّمة كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً، وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تشبّه أعجاز النساء بكُثبان الأنقاء، ألا ترى إلى قوله:

---

(1) ابن جني: الفسر، ٢/ ١٣٤.
(2) المصدر نفسه، ١/ ٢٨٥.
(3) المصدر نفسه، ١/ ٢٨٥، وانظر أمثلة في: ابن جني: الفسر، ٢/ ٦١، ١/ ١٩١.
(4) ابن جني: الخصائص، ١/٣٠٠.
(5) المصدر نفسه، ١/ ٣٠٢.

ليلَـــي قـــضيبٌ تحـــته كثـــيب وفـــي القِـــلادِ رَشـــأٌ رَبَـــيب[1]

ويـــتابع ابـــن جنـــي قوله: "فقلب ذو الرّمة العادة والعُرف في هذا، فشبّه كثبان الأنقاء بأعجاز النساء، وهذا كأنه يخرج مخرج المبالغة، أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لأعجاز النساء وصار كأنه الأصل فيه حتى شبّه به كُثبان الأنقاء"[2].

ويستشهد ابن جني بقول المتنبي بقوله: "وآخِر من جاء به شاعرنا، فقال:

نحـــن رَكْـــب مِلْجِـــنٍّ فـــي زِيِّ نـــاسِ فـــوق طيـــرٍ لهـــا شخوصُ الجِمال[3]

قـــال ابـــن جني: "فجعل كونهم جنّا أصلاً، وجعل كونهم ناساً فرعاً، وجعل كون مطاياه طيراً أصلاً، وكونها جمالاً فرعاً، فشبّه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد... فهذا من حملهم الأصل على الفرع فيما كان الفرع أفاده من الأصل، ونظائره في هذه اللغة كثيرة"[4].

ومـــا يهمنا، فيما تقدم، هو ملاحظة ابن جني الأسلوبية المهمة أن الشاعر اخترق العادة والعـــرف ممـــا تسبب بإيجاد الظاهرة الأسلوبية المتمثلة ببنية التشبيه المعكوس، أي أن التوسع تحقق بمخالفة العرف والعادة. وأشار إلى الغاية التي يحققها هذا الأسلوب، وهي المبالغة.

وأرى مـــن خـــلال الأمثلة التي ذكرتها، أن ابن جني هو أول من طرق هذا اللون من التشبيه، وهو التشبيه المعكوس، وقد استقاه من القواعد النحوية التي وضع أسسها سيبويه.

ويقول ابن جني في ذلك: "وهذا المعنى عينُه قد استعمله النحويون في صناعتهم فشبَّهوا الأصـــل بالفرع في المعنى الذي أفاده ذلك الفرع من ذلك الأصل؛ ألا ترى أن سيبويه أجاز في

---

(1) ابن جني: الخصائص، ١/ ٣٠٢.
(2) المصدر نفسه، ١/ ٣٠٢.
(3) المصدر نفسه، ١/ ٣٠٢.
(4) المصدر نفسه، ١/٣٠٢.

قولك: هذا الحسن الوجه أن يكون الجرّ في الوجه من موضعين، أحدهما الإضافة، والآخر تشبيه بالضارب الرجل الذي إنما جاز فيه الجرّ تشبيهاً له بالحسن الوجه... فإن قيل: وما الذي سوّغ سيبويه هذا، وليس مما يرويه عن العرب روايةً، وإنما هو شيء رآه واعتقده لنفسه وعلّله به؟ قيل يدلّ على صحّة ما رآه من هذا وذهب إليه مَا عَرفه وعرفناه معه: من أن العرب إذا شبّهت شيئاً بشيء مكنت ذلك الشّبه لهما، وعَمَرت به الحال بينهما، ألا تراهم لمّا شبّهوا الفعل المضارع بالاسم فأعربوه، تمموّا ذلك بينهما بأن شبّهوا اسم الفاعل بالفعل فأعملوه.. وكما حُمِلَ النصب على الجرّ في التثنية والجمع الذي على حدّ التثنية، كذلك حَمِل الجرّ على النصب فيما لا ينصرف... وكما وضع الضمير المنفصل موضع المتّصل في قوله:

<u>إليك حتى بلغت إيّاكا</u>

وكذلك وضع المتصل موضع المنفصل في قوله:

فمـا نبالِـي إذا مـا كـنتِ جارتَـنا ... ألاّ يجاورنـا إلاّكِ ديـار[1]

ويعرض ابن جني العديد من الأمثلة التي تؤيد ما ذهب إليه من عكسهم التشبيه وجعلهم فيه الأصول محمولة على الفروع، في تشبيههم كثبان الأنقاء بإعجاز النساء.

ويتابع ابن جني قوله: "ولمّا كان النحويون بالعرب لاحقين، وعلى سمْتهم آخذين، وبألفاظهم متحلِّين، ولمعانيهم وقُصُورهم أميِّين، جاز لصاحب هذا العلم، أن يرى فيه نحو مما رأوا، وبحذوه على أمثلتهم التي حذَوا... فاعرف إذاً ما نحن عليه للعرب مذهبا... وأن سيبويه لاحق بهم وغير بعيد فيه عنهم"[2].

---

[1] ابن جني: الخصائص، ١/ ٣٠٣- ٣٠٧.

[2] المصدر نفسه، ١/ ٣٠٨.

وهكــذا اســـتطاع ابن جني أن يستغل هذه الفكرة، وأن يستفيد من القواعد النحوية التي استقاها من النحاة وخاصة سيبويه، أو حمل الأصل على الفرع، والفرع على الأصل، وتطبيقها على التشبيهات المعكوسة.

كمــا اســـتطاع ابن جني بنظرته الثاقبة وتفكيره العميق أن يلفت الانتباه إلى جمال هذا التشبيه، من أن العرب إذا شبهت شيئاً بشيء، مكنت ذلك الشبه لهما، "وأصبح المشبه في موضع يـــصلح أن يكون هو المشبه به، أن يكون هو الأصل، وهو الأقوى بعد أن كانت هو الأضعف، وفـــي ذلك من المبالغة والطرافة ما لا نراه لو وضع المشبه في موضعه حيث يبقى ضعيفاً كما ينبغي أن يكون عليه الضعف"[1].

وقد أخذ هذه الفكرة من بعده عبدالقاهر الجرجاني، والذي أفرد لها في كتابه باباً في جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً، وقد استشهد بالعديد من الشواهد الشعرية على التشبيه المعكوس[2].

ونجد فيما تقدم أن ابن جني قدم لنا ملاحظته عن أسلوب التشبيه بنحو مدهش كاشفاً عن إحساسه المبهر في اللغة، والدلالات التي يثيرها التوسع في العلاقات بين الدوال، مما يكشف عن ذائقة لغوية أدبية.

ويؤكد شفيع السيد قيمة التشبيه البلاغية "فكلما كان التشبيه جديداً مبتكراً كان أشد تأثيراً فـــي الـــنفس، وإثـــارة الـــوجدان، وأدل على أصالة الشاعر أو الكاتب، وأنه يعبر عن إحساسه الخاص، ويصدر عن رؤيته المتفردة"[3].

---

(1) حسين، عبدالقادر: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص٣٣٨.

(2) الجرجاني، عبدالقاهر: أسرار البلاغة، ٢٣٢- ٢٧٣.

(3) السيد، شفيع: التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٥٦.

٤- الكناية

الكناية في اللغة: أنْ تتكلّم بشيء وتريد غيره، وكَنّى عن الأمر بغيره يكني كناية، وتكنّى: تستر من كنّى عنه إذا ورّى، أو من الكنية[١].

ولم يتجاوز التفسير اللغوي للفظ الكناية معنى الإضمار والخفاء، وأن اللفظ لا يُستفاد معناه من ذاته بل من مُضمِره.

وتأتي الكناية بمعنى الضمير وهو ما ذكره سيبويه (ت ١٨٠هـ)، وكرره أبو عبيدة في كتابه "مجاز القرآن"[٢]. والكناية عنده ما فهم من الكلام، والسياق من غير أن يذكر اسمه صريحاً في العبارة فهي تستعمل قريبة من المعنى البلاغي كما في قوله تعالى: "نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ"[٣] فهو كناية وتشبيه[٤].

ولم يتحدد مصطلح الكناية إلى على يد قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) فقد وضع مصطلحاً لها، وهو "الإرداف" وذكره في باب ائتلاف اللفظ والمعنى، ثم عرفه قائلاً: "وهو أن يريد الشاعر دلالةً على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو يردُفه وتابع له، فإذا دَلَّ على التابع أبان عن المتبوع، كقول عمر بن أبي ربيعة:

بَعيدةُ مهوى القُرْطِ إمّا لنوفلٍ أبوها وإما عَبْدُ شَمْسٍ وهاشمِ[٥]

وإنما أراد أن يصف طول الجيد ولم يذكره بلفظه الخاص بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد وهو بَعْد مهوى القُرْط"[٦].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (كني).
(٢) المصدر نفسه، ص٥٦٨.
(٣) سورة البقرة، آية (٢٢٣).
(٤) مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغية، ص٥٦٨.
(٥) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص١٧٨.
(٦) المصدر نفسه، ص١٧٨.

ولم يُضفْ أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) جديداً على ما قدمه قدامة وإن كان قد أفرد باباً بعنوان" الإرداف والتوابع"، كما خلط بين مصطلحي الكناية والتعريض في باب "الكناية والتعريض"(١).

والكناية في الاصطلاح: كلام استتر المراد منه بالاستعمال، وإن كان معناه ظاهراً في اللغة، سواء كان المراد به الحقيقة أو المجاز، فيكون تردد فيما أريد به، فلا بد من النية أو ما يقوم مقامها من دلالة الحال. والكناية عند علماء البيان هي أن يعبر عن شئ، لفظاً كان أو معنى، بلفظ غير صريح في الدلالة عليه، لغرض من الأغراض، كالإبهام على السامع، أو لنوع فصاحة(٢).

أما ابن جني فكان من النقاد الذين تعرضوا لكنايات المتنبي سواء أكانت لغوية أو فنية، وقد تعامل مع الكناية في شعر المتنبي على أنها الكلمة المستعارة لكلمة أخرى وكذلك في الجانب الفني الذي يقوم على بيان العلاقة بين المعنى الفرعي والمعنى الأصل.

فقد ذكر ابن جني بعض الأمثلة في الفسر والفتح الوهبي، ويقول ابن جني في قول المتنبي:

وَلَوْ غَيْرُ الأَمِيرِ غَزَا كِلاَبا   ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِم ضَبَابُ(٣)

... "ضربة مثلاً، أي كان لهم مشتغل بما يَلْقَى منهم منه قَبْل الوصول إليهم وإباحة حريمهم ويمكن أن يكون كنى (بالشموس) عن النساء و (بالضباب) عن المحاماة دونهم(٤).

---

(١) العسكري، أبو هلال:الصناعتين، ٣٥٠- ٣٥٣.
(٢) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، ص٢١٣.
(٣) ابن جني: الفسر، ٢٠٠/١.
(٤) المصدر نفسه، ١/ ٢٠٠.

وفي قول المتنبي:

يـا أُخـتَ خَيـرِ أخٍ يـا بِنْتَ خيرِ أبٍ كِـنَايةً بِهِمـا عَـنْ أشرَفِ النَّسَـبِ

أُجِـلُّ قَـدْرَكِ أن تُـسَمَي مُؤَبَّـنَةً وَمَـنْ يَـصِفْكِ فَقَـدْ سَـمَّاكِ لِلْعَرَبِ[1]

قال ابن جني: "أي: يا أخت سيف الدولة، يا بنت أبي الهيجا ونصب كناية على المصدر أي أكنـي بهذا القول كناية عن أشرف النسب ومؤبنة مرثية: أي أجلك عن الإفصاح باسمك إلا أنني إذا قلت: هي أشرف امرأة، عرف بوصفك أنك أخت سيف الدولة وبنت أبي الهيجاء[2].

و قول المتنبي في كافور:

وَبِـي مـا يَـذُودُ الـشِّعْرَ عَنِّـي أَقَلُّهُ وَلكِـنَّ قَلْبِـي يـا ابـنَةَ القَوْمِ قُلَّبُ[3]

قال الواحدي: "إما قال يا ابنة القوم إشارة إلى كثرة أهلها، وقال ابن جني: هو كناية عن قوله: يا ابنة الكرام، والقول الأول هو الظاهر، لا ما قاله[4].

وقد عرض ابن جني لكناية طريفة، وهي قول المتنبي في سيف الدولة:

تَـشْتَكِي مـا اشْـتَكَيْتُ مِـنْ أَلَمِ الشوْ قِ إِلَـيْها، والـشَّوْقُ حَـيْثُ النُّحُولُ[5]

قـال ابـن جنـي: ما أحسن ما كنَّى من تكذيبها، أي: لو كنتِ مشتاقةً مثلي لنحلْتِ مثل نُحُولي"[6].

---

(1) ابن جني: الفتح الوهبي، ٢٣٧.

(2) المصدر نفسه، ص٣٧.

(3) ابن جني: الفسر، ص٢٧. وانظر. الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ص٣٦٣.

(4) الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ص٣٦٣.

(5) ابن جني: الفتح الوهبي، ص١١٩.

(6) المصدر نفسه، ص١١٩.

ويـــرى ابـــن جني أن الكناية لا تؤخذ من الكلمة وحدها، بل من الكلمات مجتمعة، وكل كلمـــة تعـــين الأخرى في الوصول إلى المعنى الكنائي، فالكناية باللفظ وحده، لا تصل في قوة المعنى وإبرازه، كما تصل إليه الجملة كلها.

ومـــن مميـــزات أســـلوب الكناية "إنبثاق المعاني عن بعضها، فهو لا يدلك على المعنى مباشـــرة ولكـــنه ينـــتقل بـــك عن طريق الدلالات حتى تصل إلى المعنى المقصود وراء ظلال التراكيب، وقد سماه عبدالقاهر (معنى المعنى) حيث عالج من خلاله عمق الكناية وبلاغتها"[١].

ويـــرى د. أبو العدوس أن هذا الأمر يحتاج من القارئ –من أجل التوصل إلى المعنى الثانـــي– أن تكـــون لديـــه ملكة الاستدلال، وهو استدلال يؤسس مرجعية مشتركة بين المتكلم والمخاطب، وليس استدلالاً حراً[٢].

ويـــشير أيـــضاً إلـــى أن الكناية عن نسبة هي القسم الوحيد في الكناية، الذي يظهر فيه الانحراف في التركيب، وهذا الانحراف يؤدي بالضرورة إلى التفتيش عن دلالة جديدة تزيل هذا الانحراف[٣].

---

(١) أبـــو العـــدوس، يوسف: المجاز المرسل والكناية الأبعاد المعرفية والجمالية، الأهلية للنشر، عمان، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٢١.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٣١.

(٣) المرجع نفسه، ص١٨٩.

الفصل الرابع

النقد التطبيقي

١- نقد الألفاظ

٢- الدفاع عن الشاعر

٣- الضرورة الشعرية

٤- الهجاء المبطن

٥- الجرأة النفسية

١- نقد الألفاظ

خـــص ابـــن جني الألفاظ المفردة، وأولاها عناية بارزة في أعماله، وخاصة في كتابيه الفسر والخصائص. فقد وقف على ألفاظ كثيرة في شعر المتنبي وشرحها بالمرادف أو بالمشترك اللفظي أو بالتضاد[١].

فــنلحظ وقـــوفه عـــند لفظه، من ثم بسطاً لعدد من المرادفات لها، أو ذكر المعنى –أو المعاني– الأخرى الذي يؤديه اللفظ المشترك (وفيه التضاد).

وكـــان ابـــن جنــــي قـــد عرف الترادف في باب "تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"[٢] حيث يرفع من شأن هذا الفرع من الدلالة حيث يقول: "هذا فصل من العربية حسن كثيـــرة المـــنفعة، قوي الدلالة، على شرف هذه اللغة"[٣] ثم يعرفه بقوله: " وذلك أن تجد للمعنى الـــواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه"[٤] ثم يأتي ابن جني بأمثلة كثيرة، ويبين فيها كيف يوثق العلاقات الدلالية بين المترادفات بياناً يدل على سعة حيلته وحسه اللغوي المرهف[٥].

ومما جاء في كتاب الفسر، نجد أن ابن جني شرح ألفاظ شعر المتنبي بالترادف.

---

(١) الترادف: هو اشتراك لفظين فأكثر في معنى (مدلول) واحد.
المسشترك اللفظـــي: هو اشتراك معنيين فأكثر في لفظ واحد. ويدرج ضمن المشترك اللفظي (التضاد) إذ يجتمع معنيان متضادان في لفظ واحد. فالتميز هذا بالتضاد لا بالمغايرة المطلقة.
انظر. السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مطـــبعة عيسى بابي الحلبي، بلا، ص١/٣٦٩، ٣٨٧، ٢، ٤٠٢. وانظر. الداية، فايز: الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، دار الملاح للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٨م، ص٣٦٠.

(٢) ابن جني: الخصائص، ٢/ ١١٣.

(٣) المصدر نفسه، ١١٣/٢.

(٤) المصدر نفسه، ٢/ ١١٣.

(٥) ياقوت، أحمد سليمان: الدرس الدلالي في خصائص ابن جني، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩ م، ص٦١– ٧٢. انظر. ابن جني: الخصائص، ٢/ ١١٤.

يقول المتنبي:

مَـرَّتْ بِـنا بَـينَ تِـرْبَيْها فقُلْـتُ لَهَا   مِـنْ أيـنَ جانَسَ هذا الشَّادِنُ العَرَبا[1]

"فالتربُ، "القرن" و "اللدة" شيء واحد، إذا كان سنها واحداً"[2].

وكان ابن جني قد علل ظاهرة "الترادف" في كتابه "الخصائص" وعقد له باباً بعنوان "في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً" وهو يرى أن مرد التعدد في الأسماء للمعنى الواحد إلى اختلاف القبائل، واجتماع الكلمات المتباينة للمدلول الواحد باختلاط الأقوام، وانتقال مواد اللهجات "فإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت في لغة إنسان واحد فإن أحرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفاً منها من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كلـه، هـذا غالب الأمر، وإن كان الاحتمال الآخر: أي تعدد الألفاظ في القبيلة في وجه القياس جائزاً، وذلك كما جاء عنهم في أسماء الأسد والسيف والخمر وغير ذلك، كما كثرت الألفاظ على المعنـى الـواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هنا ومن هنا[3].

وقـد تعرض ابن جني في فسره للمعاني التي تؤديها بعض الصيغ، كما نرى في صيغة "الـواجد" وعلـى الـرغم من اختلاف المصدر الذي اشتق منه فإن لم يكن واضحاً، وفارقاً بين الوجوه المحتملة، فإن التعدد هو الأسبق إلى الذهن.

وَلِلْـوَاجِدِ المَكْـرُوبِ مِـنْ زَفَـراتِهِ   سُـكُونُ عَـزَاءٍ أو سُـكُونُ لغُـوبِ[4]

---

(1) ابن جني: الفسر، ١/٢٥٤.

(2) المصدر نفسه، ١/٢٥٤.

(3) ابن جني: الخصائص، ١/٣٧٣- ٣٧٤.

(4) ابن جني: الفسر، ١/١٥٥.

قال ابن جني: "الواجد" الحزين، يقال "وجدت" في الحزن وجداً، و"الوجد" واجد الضالَّة مصدره "الوجدان" والواجد المعنَّى، ومصدره الوُجد والوجِد والوجَد، والجِدَة، و"الواجد". الغضبان، والمتعتب، ومصدره الموجدة، والواجد العالم، تقول: "وجدت زيداً آخاك"، أي علمته آخاك، قال الشاعر: "الحمدلله الغنيُّ الواجد"[1].

ويقف ابن جني أيضاً عند لفظه "القشيب" على أنها من الأضداد، وقد وردت في بيت المتنبي:

أيا مَنْ عادَ رُوحُ المَجدِ فِيهِ وَعادَ زَمانُهُ البالِيَ قَشِيبا[2]

فالقشيب، الجديد هنا، وهو (الخلق) أيضاً فيٌ غير هذا الموضع، وهو من الأضداد قال الكميت:

ينشق عن حدها الآتيُّ كما شقَّت مآلي المآتم القشب[3]

يعني بالقشب: الجدد، ولم يذكر ابن دريد أنه من الأضداد، وقال هو الجديد،..."[4].

لكن النقاد العرب القدماء الذين جاؤوا بعده، أو عاصروه، قد عابوا عمله باهتمامه باللغة وقضاياه أكثر من اهتمامه بالشعر الذي يدرسه، وأخذوا عليه توسعه في مسائل الإعراب والتصريف.

"وفي الحقيقة فإن الذين أخذوا عليه توسعه في قضايا اللغة، وخاصة فيها الألفاظ المفردة، قد ظلموه وتجنوا عليه، ذلك أن أبا الفتح قد عثر في أبي الطيب على شاعر من طراز أولئك الفحول القدماء الذين خاض العلماء الأوائل طويلاً في شعرهم ألفاظاً وتراكيب ودلالات، فتعامل

(1) ابن جني: الفسر، ١١٥/١.

(2) المصدر نفسه، ٣٢٦/١.

(3) المصدر نفسه، ٣٢٦/١.

(4) المصدر نفسه، ٣٢٦/١.

مــع ديــوانه على ذلك النحو الذي تعامل به أئمة اللغة والنقد مع أشعار فحول الجاهلية وصدر الإسلام، وكان في عمله "الفسر" خاصة مبدعاً خلاقاً سواء في قضايا اللغة أو مسائل الشعر، ولم يكــن يــنقل مــن المعاجم أو يغترف منها، ولم يكن يأخذ بأقوال السابقين على أنّها مسلمات لا تناقش، والدليل على ذلك أن ابن جني لم يقف من قضايا اللغة إلاّ على ما كان يستدعي الوقوف استدعاء لمسائل في دلالتها أو في أبنيتها أو أصولها، ثم أن ابن جني قد وقف على الألفاظ التي نــاقش قضاياها وقوفاً منهجياً، فلم يكن يرجع إلى مسألة تناولها بالدرس، وكان ابن جني في كلّ هــذا لا يتــيه عــن الدلالة التي قصد إليها المتنبي أو يتحمّلها كلامه، فالتوسّع عنده، يرمي إلى الشمول أكثر مما يرمي إلى الاستطراد المجاني"[١].

قال أبو الطيب:

عَجَــباً لَــهُ، حَفِــظَ العِــنَانَ بأَنْمُــلٍ   مَـا حِفْظُهــا الأشْــيَاءَ مِنْ عَادَاتِها[٢]

قال ابن جني: "أَنْمُل" جمع "أُنمُلَة"، وهي طرف الإصبع، ويقال أيضاً: "أَنْمُلَة" وأنكر أبو حــاتم "أنمُلة" ولعمري أنّ "أفْعُل" في الآحاد النكرات عزيز، وقال سيبويه في "الأنملة" ولا يكون فــي الأسماء والصفات "أفعل" إلا أن يُكسّر عليه الواحد "للجمع" نحو "أكلب" و"أعبُد" وقلما جاء في جمع "أنملة" "أنمل" وإنما جاء "أنامل" فسألت أبا علي فقلت: ما يصنع بقوله أرْزَ؟ فقال "أرزّ" أعجمــي، فقلت: ما تقول في "أسْتمة" فأنكر فتحة الهمزة، قال: "واستمه" علم، وإنما أراد سيبويه النكرات التي هي أجناس أصول، وليس يليق استقصاء هذا الباب بهذا الكتاب، وقال الأصمعي: "الأنامــل" منتهى المفاصل الأوائل من كل إصبع من اليدين والرجلين، وقلّما جاء عنهم في جمع

---

(١) الواد، حسين: المتنبي والتجربة الجمالية، ص١١٩.

(٢) ابن جني: الفسر، ٢/١٣١.

"أنمُلَــة" "أنمُــلُ" وأكثر ما جاء (أناملُ) إلاّ أن ابن الأعرابي قد حكى في جمعها "أنْمُل"، والقياس أيضاً يشهد بصحته.

أنشد لحاجر الأزدي:

أحْمِســـي بِـــــهِ فَـــرْجَ سُـــلُوقِيَّةٍ كالنَّهـــيِ يَغْـــشَى طَـــرَفَ الأنْـــمُـــلِ[1]

فالذي يهم ابن جني في وقوفه على هذه اللفظة، ليست الإشكال الكائن في معناها، وإنّما هو القضية القائمة في بنيتها، فأبو الطيب قد عدل عن البنية المشهورة، واختار الصيغة الأندر، فعرّض نفسه بذلك لانتقاد غير العالمين باللغة، وحتى يدفع عن ابن جني مثل هذا الانتقاد حرص علـــى أن يذكـــر أقوال العلماء في البناء الذي اختاره المتنبي، وكان في ذلك يريد أن يوقر في الأذهان أن أبا الطيب متمكّن من اللغة تمكّن الفحول القدماء منها، وأن التعامل مع شعره، يجب أن يكون شبيهاً بالتعامل مع أشعارهم[2].

وفـــي سياق الدفاع عن أبي الطيب والدعوة إلى شعره، توسع ابن جني في قضايا بعض الألفـــاظ التـــي كانـــت تحـــتاج إلى شرح، ووقف على أصولها الدلالية، على ما تفرّع عن تلك الأصول من دلالات كثيرة.

قال أبو الطيب:

وَغَيْـــرُ فُـــؤَادِي لِلغَوانـــي رَمِـــيَّةٌ وَغَيْـــرُ بَنَانِـــي لِلـــزِّخَاخِ رِكَـــابُ[3]

---

(1) ابن جني: الفسر، ١٣٢/٢.

(2) الواد، حسين: التجربة الجمالية، ص١١٩.

(3) ابن جني: الفسر، ٥٧/٢. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (رمىَ). رَمِيّة: الطريدة التي ترمى.

فقال ابن جني: "الغواني جمع غانية، وهي المرأة التي غَنِيَتْ بجمالها عن الحلي، ويقال بل التي غنِيّت بزوجها عن غيره، وهذا أصله، ثم كثر حتى صار يقع على عامة النساء الشّواب، ويقال سُمّيتْ "غانية" لأنها تُطلب ولا تَطلُب. أنشد سيبويه للأعشى:

وأخو الغَواني متى يشأ يصرمْنَهُ ويكنَّ أعداءً بُعَيْدَ وِدَادِ[١]

يريد الْغَواني، وأنشد أيضاً لابن قيس الرقّيات (ت٨٥هـ):

لا بارَكَ اللهُ في الغوانِي هلْ يُصبحنَ إلاّ لَهُنَّ مُطَّلَبُ؟[٢]

فقد استشهد ابن جني -كما نرى في المثال السابق- على ألفاظ شعر المتنبي التي وقف عليها بأبيات من شعر الفصحاء العرب، وساق في ذلك أيضاً أخبار وروايات كثيرة للتدليل على اللفظة التي استعملها المتنبي[٣].

وكان ابن جني يعمد إلى شرح اللفظة التي يمكن أن تشتبه على القارئ، حتى لا يذهب منها إلى دلالة لم يقصد إليها أبو الطيب ولا تتلاءم مع البيت، وخاصة في الألفاظ الغريبة التي استعملها المتنبي والتي تسبب غموضاً في فهم المعنى المقصود.

قال أبو الطيب:

فَلاَ غيضَتْ بحَارُكَ يَا جَمُوماً عَلَى عَلَلِ الْغَرائِبِ وَالدِّخَالِ[٤]

قال ابن جني: "غيضت: نقصت، وبئر جموم، كثيرة الماء، والغرائب: الإبل الغريبة ترد على الحوض والناس يسقون، والدخال: أن يدخل بعير قد شرب، بين بعيرين لم يشربا ليعرض على الماء ثانية..."[٥].

---

(١) ابن جني: الفسر، ٥٨/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٢/ ٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ١٢٢/٢- ١٢٣.

(٤) ابن جني: الفتح الوهبي، ص١٠١. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (عَلّ). عَلَلٌ: الشرب الثاني بعد النّهل.

(٥) ابن جني: الفتح الوهبي، ص١٠١.

فابن جني قد نفى عن اللفظة الأولى التي وقف عليها معنى الغضب الملازم للغيض ومن شـــأنه أن يشتبه على القارئ ورفع الغموض عن بقيه الألفاظ لبعدها عن السّامع الذي لم يتمرّس بحياة البادية ومعاشرة الإبل.

إذن كـــان وقوف ابن جني على هذه الألفاظ، إلا لأنها قابلة للإشتباه على القارئ بما لا ينسجم مع البيت.

وكثيـراً مـــا كان يشرح الألفاظ التي تستبهم على القارئ من نواحي نحوية أو صرفية تـضطلع علـــى القارئ، فقد حاول أن يفك الغموض الناتج عنها بالرجوع إلى المعنى القائم في إعـــرابها، هذه قاعدة اعتمد عليها في الباب الذي عقده في خصائصه: "باب في تجاذُب المعاني والإعراب" إذ يقول: "هذا موضع كان أبو علي –رحمه الله– يعتاده، ويُلمُّ كثيراً به، ويبعث على المـــراجعة لــــه، وإلطــــاف النظر فيه، وذلك أنك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين: هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه فمتى اعتورا كلاما ما أمسكت بُعرْوة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب"[1].

فابن جني يحكم الدلالة في الإعراب إيماناً منه، بأن المعاني أشرف من الألفاظ وأحكامها الإعرابية.

وكانت الضمائر والحروف في طليعة الألفاظ التي حاول القدماء إظهار معانيها بالاعتماد على وظائفها النحوية، فكثيراً ما كان في شعر المتنبي أبياتاً ظلت الضمائر فيها تحيّر العلماء فلم يعرفوا بأي شيء يعلّقونها، وانتهى بهم البحث إلى التسليم بالعجز في شأنها.

قال أبو الطيب:

---

(١) ابن جني: الخصائص، ٣/ ٢٥٥.

ذَمَّ الــــزَّمَانُ إِلَــيْهِ مِـــنْ أحِبَّــتِهِ   مَــا ذَمَّ مِـنْ بَـدْرِهِ في حَمْدِ أحْمَدِهِ[1]

قال ابن جني: "الهاء في إليه عائدة على الزمان، الفاعل ضمير في ذم الثانية عائد على العاشــق أيــضاً والبدر هو المعشوق وجعل المعشوق كبدر الزمان مبالغة في حسنه، أحمد هو المتنبي، وجعل في نفسه أحمد الزمان أي لبس هو الزمان أحمد آخر مثله"[2].

وقال أبو الطيب:

يَــرَى أنَّ مــا مــا بــانَ مِنكَ لِضَارِبٍ   بأقْــتَـــلَ مِمَّــا بَانَ مِنْــكَ لِعائِــبِ[3]

قال ابن جني: "ما الأولى نفي والثانية بمعنى الذي، وهناك هاء محذوفة وهي اسم آن"[4].

ويــرى ابن جني أن الألفاظ المفردة وهي تستعمل في الشعر تزداد نزوعاً إلى الغموض والإنغلاق، إذ هي تنأى عن المعتاد عليه من دلالتها وتبتعد عن السياقات الطبيعية التي تستعمل فيها، فتصبح في أوكد الحاجات إلى الشرح والتفسير.

فقــد تحــدث عن هذه الظاهرة في خصائصه، وعقد لها باباً بعنوان "إيراد المعنى بغير اللفــظ المعتاد" يقول: "واعلم أنّ المعنى المراد مفاد من الموضعين جميعاً فلّما آذناً به وأديّا إليه ســامحوا أنفسهم العبارة عنه، إذ المعاني عندهم أشرف من الألفاظ ... وهذا ونحوه –عندنا هو الــذي أدّى إليــنا أشعارهم وحكاياتهم بألفاظ مختلفة على معان متفقة... وإذا جاز أن يكون في أصـــول هذه اللغة المقرّرة اختلاف اللفظين والمعنى واحد، كان جميع ما نحن فيه جائزاً سائغاً، مأنوساً به متقبلاً"[5].

---

(1) ابن جني: الفتح الوهبي، ص٦٩.

(2) المصدر نفسه، ص٦٩.

(3) المصدر نفسه، ص٤١.

(4) المصدر نفسه، ص٤١.

(5) ابن جني: الخصائص، ٢/٤٦٦- ٤٦٩.

كمـــا تنبه ابن جني إلى ظاهرة استعمال المتنبي للألفاظ الغريبة والدخيلة في شعره، وقد علــل هــذه الظاهــرة في شعر المتنبي، بقوله: "لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها وسعة تصرف أقوالها"[1]. و"لأن المعنى يفاد من الموضعين جميعاً"[2].

قال أبو الطيب:

لَقَـدْ كُـنْتُ أَنْفِي الغَدْرَ عَنْ تُوسِ طَيِّءٍ   فَـلاَ تَعْذُلانِـي رُبَّ صِـدْقٍ مُكَـذَّبِ[3]

قال ابن جني: "التوس الأصل، وهو السوس أيضاً" فرد الوحيد يقول: "توس طيء" وإن كان كلاماً عربياً بلفظ عذب ولا مليح، ولم يكن في معناه غيرها لكان معذوراً، فكيف يعذر ولها نظائر وأخوات أحسن منها؟ وهذا فعل حاطب ليل مهما وقع في يده أوعاه"[4].

وقد كان ابن جني قد تعامل مع ألفاظ المتنبي التي نحابها منحاً مجازياً، حيث أن اللفظة التي تستعمل مجازاً تكون قد قطعت نهائياً أو جزئياً مع الدلالة التي وضعت لها في الأصل، فلا بد من استنباط دلالتها في واقع الشعر الذي وردت فيه.

قال أبو الطيب

لاَ تَجزِنِـي بِـضَـنًى بـي بَعْـدَهَا بَقَرٌ   تَجـزِي دُمُوعِـيَ مَسْكُوباً بِمَسْكُوبِ[5]

قال ابن جني: "عنى بالبقر هنا النساء" وقد استدل ابن جني على دلالتها من خلال السياق وعلاقـتها بأجوارها، وليس في أيّ معجم من معاجم اللغة ما يفيد أنّ لفظة البقر يمكن أن تعني النساء[6].

---

(1) ابن جني: الخصائص، ٢/٣٨٢.

(2) المصدر نفسه، ٢/٤٦٦.

(3) ابـن جنـي: الفسر، ٢/١٠٩. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (توس). التُّوسُ: الأصل أو الطبيعة والخُلُق.

(4) المصدر نفسه، ٢/١٠٩.

(5) ابن جني: الفتح الوهبي، ٤٢.

(6) المصدر نفسه، ص٤٢.

وكـــان ابن جني يقبل من المتنبي دائماً كل استعمالاته للألفاظ المفردة التي أنحرف بها عـــن المعـــتاد مـــن صياغاتها في الكلام، ويدافع عنها ضد اتهامات الخصوم وانتقاداتهم، وذلك بإظهار المزايا التي تتضمنها.

فقـــد ذهـــب إلى أن المتنبي لحذقه بصناعة الشعر، يسمح لنفسه بأن يستعمل لفظه وهو يقصد لفظه أخرى.

يَـــرُدُّ يَـــداً عَـــنْ ثَـــوبِهَا، وَهُـــوَ قَادِرٌ وَيَعْصِي الهَوَىَ في طَيْفِهَا وَهْوَ رَاقِـــدُ[١]

فقال ابن جني: "لو أمكنه في موضع (قادر) "يقظان" لكان حسناً، ولما لم يجد إليه سبيلاً شُحّاً على الوزن، جاء بلفظ كأنه "راقد" وهو (قادر) لقُرب اللفظتين من التجانس[٢].

٢- الدفاع عن الشاعر:

دافـــع ابـــن جني عن رواية الشعر القديم، ونظر إليه على أنه حجة لا تنقض، حتى لو خالف القياس، أو الشائع المألوف في اللغة، فإذا أخل شاعر قديم جاهلي أو إسلامي بقواعد اللغة، أو خرج عن المألوف اضطره إليه الوزن أو القافية، راح يلتمس له المعاذير والحيل، وكان في اعتقاده أن الشاعر القديم لا يخطئ في اللغة، لأنه يملكها فطرة وسليقة.

ورأى ابـــن جنـــي ذلـــك في قوله: "واعلم أن الشيء إذا اطّرد في الاستعمال وشذ عن القياس، فلا بدّ من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره..."[٣].

ويعطـــي ابـــن جني مثلاً لذلك بيت الفرزدق: "فأما قولهم: وَدَع الشيءُ يَدع- إذا سكن- فاتَّدع؛ فمسمُوعٌ مُتَّبع"، وعليه أنشد بيت الفرزدق:

---

(١) ابن جني: الفسر، ٢/٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ٢/٢٢٢.

(٣) ابن جني: الخصائص، ١/ ٩٩.

وعَـضُّ زمـانٍ يـابن مَرْوانَ لم يَدِعْ   مـن المـال إلاّ مُـسحتٌ أو مجلَّفُ[1]

فقد أخطأ الفرزدق في رفع (مجلف) لأن من حقها النصب، وقد فعل ذلك حتى تستقيم له القافية.

غيــرَ أن ابــن جني لم يعترف بخطأ الفرزدق، فقد ذهب في الدفاع عنه لأن هذا الخطأ مــسموع متــبع عند العرب "فمعنى (لم يَدِع) بكسر الدال- أي لم يتدع ولم يثبت، والجملة بعد (زمــان) في موضع جر لكونها صفة له، والعائد منها إليه محذوف للعلم بموضعه، وتقديره: لم يــدع فيه أو لأجله من المال إلى مسحت أو مجلّف، فيرتفع (مسحت) بفعله، و (مجلف) عطف عليه، وهذا أمر ظاهر، ليس من الإعتذار والاعتلال مّا في الرواية الأخرى"[2].

ويؤكد ابن جني نظرته في مكان آخر موردا التأويلات والتخريجات لصدور أخطاء عن الشاعر العربي القديم، فقد قال تحت عنوان "باب في أغلاط العرب: مؤيداً رأي أستاذه أبي علي الفارســي: "كان أبو علي -رحمه الله- يرى وجه ذلك، ويقول: إنما دخل هذا النحو في كلامهم لأنهــم ليست لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يعتصمون بها، وإنما تهجُمُ بهم طباعهم على ما ينطقون به، فربما استهواهم الشيء، فزاغوا به عن القصد"[3].

ثــم ســاق ابــن جني أمثلة من أغلاط العرب الأقدمين، منها: "قولهم: "حَلأْت السّويف، ورثأت زوجي بأبيات، واستلأمت الحَجَر، ولبَّأت بالحج.

وقوله: * كمشْترئ بالحمد أحمرَه بُتْرا[4].

---

(1) ابن جني: الخصائص، ١/ ٩٩.
(2) المصدر نفسه، ١/٩٩-١٠٠.
(3) المصدر نفسه، ٣/ ٢٧٣.
(4) المصدر نفسه، ٣/ ٢٧٩.

ومــن أغلاطهــم مــا يتعايــبون بــه فــي الألفاظ والمعاني حتى نحو قول ذي الرّمة (ت١١٧هـ):

والجيدِ من أدْمانةٍ عَنُودِ[١].

وقوله:

حتــى إذا دوّمــت فــي الأرض راجعه كِبْــر ولــو شــاء نجّى نفسَه الهربُ[٢]

وكــذلك مــن أغلاطهــم غمــز بعضهم على بعض في معانيهم، كقول بعضهم لكثير (ت١٠٥هـ) في قوله:

فمــا روضَــة بالحَــزْن طيِّــبة الثّرَى يَمُــجُّ الــندى جَــثْجَاثُها وعَــرَارها
بأطــيب مــن أردان عَــزّة موهِــنا وقــد اوقــدت بالمَنْدَل الرّطْب نارُها[٣]

ومنها قول بلال بن جرير:

إذا ضِــفتْهم أو ســآيلتْهم وجــدت بهــم عِلّــة حاضــره

"أراد: ســاءلتهم (فاعلــتهم) مــن السؤال: ثم عنَّ له أن يبدل الهمزة على قول من قال (ســايلهم) فاضــطرب عليه الموضع، فجمع بين الهمزة والياء، فقال: سأيلتهم، فوزنه على هذا (فعاعلتهم) [٤].

وكــلام ابــن جنــي يدل على أن سبب وقوع الغلط من العرب القدامى هو أنهم كانوا يتكلمون سليقة وطبيعة من غير معرفة بالقواعد والقوانين التي استقريت من كلامهم فيما بعد.

---

(١) انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (دمن). أدمانة: ظبية بيضاء. مادة (عَنَد) عنود: أي ترعى وحدها، وأصله النوق.

(٢) المصدر نفسه، ٣/ ٢٨٠- ٢٨١.

(٣) ابــن جنــي: الخصائص، ٢٨١/٣. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (جثّ). جثجاثُها: ريحانة طيبة الريح بريّة. مادة (عرّ) وعرارها: البهار البري وهو حسن الصفرة، طيب الريح. مادة (وهن) موهناً: بعد هدء من الليل.

(٤) المصدر نفسه، ٢٨٠/٣.

٣- الضرورة الشعرية:

لقد وجد النقاد واللغويون منهم بوجه خاص أن في لغة بعض الشعراء تراكيب واستعمالات تند عن المألوف من قواعد العربية، فانقسموا أزاءها على ثلاث فئات: الأولى نظرت إلى لغة الشعر على أنها "موقف فسحة وعذر"(١) ويجوز فيها ما لا يجوز في النثر، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد وابن جني ومحمد بن جعفر القزاز (٤١٢هـ)، وقد تأولت هذه الفئة تلك الأخطاء وأطلقت عليها "الضرائر". والثانية تشددت في محاسبة الشعراء، وأبت أن تسمح لهم بأن يخلوا بشيء من الشائع والمألوف من قواعد اللغة، ومن هؤلاء ابن طباطبا وقدامة بن جعفر وابن فارس، أما الفئة الثالثة فقد ضمت النقاد الذين قصروا الضرورة على المتقدمين من الشعراء، وأبوها على من جاء بعدهم، ويعد أبو هلال العسكري ممثل هذه الفئة لأنه قال: "وينبغي أن تجتنب ارتكاب الضرورات، وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية، فإنها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائه، وإنما استعملها القدماء في أشعارهم لعدم علمهم بقباحتها، ولأن بعضهم كان صاحب بدائه، والبدائه مزلة، وما كانت أيضاً تنقد عليهم أشعارهم، ولو نقدت وبهرج منها المعيب كما تنقد على شعراء هذه الأزمنة ويبهرج من كلامهم ما فيه أدبي عيب لتجتنبوها"(٢).

فابن جني إذن من النقاد الذين أجازوا الضرورة، وأقروا بها، وكان رأيه أن الشاعر يجوز له أن يتصرّف في أبنية الكلام وإن أدَّى ذلك إلى انتهاك بعض القواعد اللغوية انتهاكاً لا يدخل في اللحن الفاحش والخطأ الشنيع.

---

(١) ابن جني: الفسر، ١/ ٣٢٨.

(٢) العسكري، أبو هلال: الصناعتين، ص ١٥٠.

قــال ابــن جني متحدثاً عن الخروج على التراكيب المألوفة: " وفيها ما لم يُسمع إلا في الــشعر، والــشعر موضع اضطرار، وموقف اعتذار، وكثيراً ما يحرّف فيه الكلام عن أبنيته، وتحال فيه المثل عن أوضاع صيغها لأجله"[1].

وقــد بــرر ابن جني الضرورة الشعرية، فقال: "فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الــضرورات علــى قــبحها... فاعلم أن ذلك على ما جشِمَه منه، وإن دلّ من وجه على جوره وتعــسّفه، فإنــه من وجه آخر مؤذن بصِياله وتخمّطه، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ولا قــصوره عن اختيار الوجه الناطق بفصاحته... وإنّ الشاعر إذا أورد منه شيئاً فكأنه لأنسه بعلم غرضــه وسفور مراده لم يرتكب صعباً ولا جشم إلاّ أمماً، وافق بذلك قابلاً له، أو صادق غير أنسٍ به، إلاّ أنّه هو قد استرسل واثقاً وبنى الأمر على أن ليس ملتبِساً"[2].

ويقــف ابــن جني من انخراق الأصول بارتكاب الضرورات على قبحها موقفاً طريفاً، وتنــبع طــرافة موقفه من كونه يعد ما أشار إليه من ارتكاب الشاعر لمثل هذه الضرورات من سمو الشاعر وتعجرفه، إلا أنه في الوقت ذاته يعدّه قبيحاً، ويبدو أن هذا لا يعد تناقضاً في موقف ابــن جنــي بقدر ما يعد إحساساً منه بصعوبة تقييد لغة الإبداع والشعراء بلغة معيارية نمطية، فضلاً عن أنه ربما كان يقرر ذلك وفي ذهنه لغة شاعره المتنبي[3].

---

(1) ابن جني: الخصائص، ٣/ ١٨٨.

(2) المصدر نفسه، ٢/ ٣٩٢- ٣٩٣.

(3) الجداونة، حسن عقلة فارس: التوسع في الموروث البلاغي والنقدي، ص١١٣.

ويؤكد السيد إبراهيم محمد أن "ابن جني لا يذهب إلى أن الضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحه. فهو لا ينكر انهم قد يدخلون تحت الضرورة مع قدرتهم على تركها[1] فنظرة ابن جني للضرورة على "أنها دلالة قوة وتمكن وليست علامة عجز وضعف"[2].

وينقل ابن جني أيضاً رأي استاذه أبي علي الفارسي في الضرورة الشعرية، فقال: "سألت أبـا علي الفارسي -رحمه الله- عن هذا فقال: كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم، فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا، وما حظرته عليهم حظـرته علينا، وإذا كان كذلك فما كان من أحسن ضروراتهم فليكن من أحسن ضروراتنا، وما كان منه أقبحها عندهم، فليكن من أقبحها عندنا، وما بين ذلك بين ذلك"[3].

فقد نظر ابن جني في شعر المتنبي على هذا الأساس، وأجاز له كثير من التعبيرات التي أقامهـا علـى الضرورة، في حين رفضها خصومه الذين تشددوا في الرّخص والجوازات حتى حـرّموا علـيه ركوب أبسطها ورأوا في ذلك دليلاً قاطعاً على عدم تمكنه من الشعر، وحاولوا تخطئة أبي الطيب في جلّ التراكيب التي ارتكبها في الضرورات.

بـيد أن ابـن جني بادر بكل ما في وسعه في الدفاع عن المتنبي، وتمحل الأعذار التي تـسوّغ لـه الخروج على قواعد اللغة حتى كاد انتهاك معظم القواعد النحوية يصبح جائزاً باسم الضرورة.

---

(1) محمـد، السـيد إبـراهيم: الـضرورة الـشعرية، دراسة أسلوبية، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1997م، ص58- 59.

(2) عبداللطيف، محمد حماسة: لغة الشعر، دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1996 م، ص102.

(3) ابن جني: الخصائص، 1/ 324.

ويؤكد ذلك بقوله: "وليعلم بذلك أن الشعر موقف نسح واضطرار"[1] وعلى ذلك فقد رأى ابن جني إلى أنه يجوز للشاعر عند الضرورة أن ينطق بما يبيحه القياس وإن لم يرد به استعمال، ويستشهد بقول أبي الأسود الدؤولي (ت ٦٩هـ).

لَيتَ شِعْرِي عن خليلي ما الذي غالـه في الحُبّ حتى وَدَعَه[2]

أراد "ودع" بمعنى ترك، وهي تستعمل في المضارع والأمر، أما في الماضي فغير مستعملة، لكنها جاءت على القياس في الفعل الماضي[3].

ويرى ابن جني أن انتهاك القواعد في نظم الشعرَ يدعو إليه الإتساع في الكلام أكثر مما تدعو إليه الضرورة، من ذلك مثلاً أنه روى هذا الخبر: "قال أبو العباس: "حدّثني أبو عثمان قال: جلست في حَلْقة الفرّاء، فسمعته يقول لأصحابه: لا يجوز حذف لام الأمر إلا في الشعر، وأنشد:

مَن كان لا يزعم أني شاعرُ فَيدْنُ مِنّي تنهه المزاجرُ[4]

قال: فقلت له: لم جاز في الشعر ولم يجز في الكلام؟ فقال: لأن الشعر يُضطرّ فيه الشاعر، فيحذف، قال: فقلت: وما الذي اضطرّه هنا، وهو يمكنه أن يقول: فليدن في؟ قال: فسأل عنّي، فقيل له: المازنيّ، فأوسع لي، قال أبو الفتح: قد كان يمكن الفرّاء أن يقول له: إن العرب قد تلتزم الضرورة في الشعر في حالة السعة، أنساً بها واعتياداً لها، وإعداداً لها لذلك عند وقت الحاجة إليها ألا ترى إلى قوله:

---

(١) ابن جني: الفسر، ١/ ٣٥١.

(٢) ابن جني: الخصائص، ١/ ٣٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ١/٣٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ٣/ ٣٠٣.

قــد أصــبحتْ أمُّ الخِـيار تَرّعــى		علــيّ ذنــبا كُلُّــه لــم أصــنع[1]

فــرفع للضرورة، ولو نصب لَمّا كسر الوزن، وله نظائر. فكذلك قال: (فيدن مني) وهو قادر على أن يقول: (فليدن مني)، لما ذكرت[2].

وقــد عدّ ابن جني الحذف والزيادة والتقديم والتأخير من الضرورات الشعرية التي يلجأ إلــيها الشاعر، فقد عقد باباً في خصائصه بعنوان "شجاعة العربية" تحدث فيها عن المحذوفات، فقال: "قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه" وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[3].

وقال أيضاً: "والعرب قد حذفت بعض الكلم ضَرورة وعلماً بما تعني"[4].

قال أبو الطيب

لاَ تكْـثُـرُ الأمــوَاتُ كَثْــرَةَ قِلَّــةٍ		إلا إذَا شَــقِيَــتْ بِــكَ الأحْــيَاءُ[5]

قال ابن جني: ".. وقوله (شقيت بك) يريد شقيت بفقدك، فحذف المضاف وقام المضاف إلــيه مقامــه، وهــذا كقــوله تعالــى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾[6] أي: بر من آمن بالله وكقوله:

---

(1) ابن جني: الخصائص، ٣/ ٣٠٣.
(2) المصدر نفسه، ٣/ ٣٠٣.
(3) المصدر نفسه، ٢/٣٦٠.
(4) ابن جني: الفسر، ١/ ٢٥٩.
(5) المصدر نفسه، ١/ ٩٦.
(6) سورة البقرة، الآية (١٧٧).

﴿ واسألِ القَرية ﴾[1] يريد أهل القرية، وكقول العرب: بنو فلانٍ يطؤهم الطريق أي أهل الطريق، وهو كثير جداً في القرآن والشعر[2].

وأورد ابـن جنـي كثيراً من أمثلة الحذف في كتابيه الفسر والخصائص، وساق عليها شـواهد مستقاة من القرآن الكريم والشعر، ليدل على أن الحذف في التراكيب الشعرية فقد كان منتشراً بشكل كبير في الشعر.

وكـان أبو الطيب قد أكثر في شعره من إجراء التراكيب على الحذف والزيادة والتقديم والتأخيـر، وارتكـب فيها من الضرائر الشعرية والتي عرض لها ابن جني بكثير من النماذج وخاصة في كتابه الفسر[3].

ويـرى ابـن جنـي أن مثل هذه الضرائر، قد وردت كثيراً في أشعار المحدثين كقصر الممدود، وصرف ما لا ينصرف، وتذكير المؤنث، والتي وقف عندها جلة من علماء اللغة، ولم يرَ أحداً من هؤلاء العلماء أنكر على أحد من المحدثين ورود الضرورة في أشعارهم، مما يدلل على أنهم وافقوا عليها ورضوا بها[4].

ومن الضرورات التي عرض لها ابن جني نذكر نماذج على سبيل المثال.

وُمخـيِّب العُـذَّالِ فِـيمـا أمَّـلُـوا ... مِـنْهُ؛ ولَـيْسَ يَـرُدُّ كَفَّـاً خائِـباً[5]

قال ابن جني: "والكف" أنثى، ولكنه ذكر ضرورة وأراد العضو، وسبقه إلى ذلك الأعشى في قوله:

(1) سورة يوسف، الآية (٨٢).

(2) ابن جني: الفسر، ١/ ٩٦.

(3) انظـر. للمزيد من الأمثلة في: ابن جني: الفسر، ١/ ٥٣، ١/ ١٣٠، ١٣٥، ١٤٥، ٢/ ٢٦٤، ٢٧٣، ٤٩، ١٣٣، ٢٦٠، وابن جني: الفتح الوهبي، ص ١٣٠، ٣١، ١٠٢، ١٠٦، ١٤٩.

(4) ابن جني: الخصائص، ١/ ٣٢٨.

(5) ابن جني: الفسر، ١/ ٢٨٩.

إلـــى رجـــلٍ مـــنهم أســيف كأنمـــا   يـضم إلـــى كـشحيه كفـاً مخضباً[1]

وكـــان الأعشى قد ذهب إلى التذكير إلى العضو[2] ويجوز للشاعر أن يذكر المؤنث كما قال القزاز القيرواني[3].

وقول أبي الطيب:

وأمْـــسَتْ تُخيِّـــرُنا بالــــنِّقابِ   وَادي المِــــياهِ وَوَادِي القُـــرَى[4]

...: "سكّن الياء في "وادي المياه" و "وادي القرى" ضرورة وهما في موضع نصب[5].

وقوله:

ألـيْسَ عَجِيـــباً أنْ بَـيْنَ بَنِـــي آبِ   لِـــنَجْلِ يَهُـــودِيٍّ تَـــدِبُّ العَقَـــارِبُ[6]

...: "أراد: "أنه بين بني آب" فحذف الهاء ضرورة[7] واستشهد بأبيات عديدة وردت في أشعار القدماء، قد حذف الشعراء فيها اسم أن ضرورة.

ويجوز للشاعر حذفها في الموضع الذي يكون الوجه ثباتها فيه[8].

وقوله:

نازَعْـتُـهُ قُلُصَ الرِّكـــابِ وركبُـــهـا   خَـــوفَ الهَــلاكِ، حُداهُمُ التَّـــسبيـــحُ[9]

---

(1) ابن جني: الفسر، ١/ ٢٨٩.

(2) المصدر نفسه، ١/ ٢٨٩.

(3) القـــزاز القيروانـــي، أبو عبدالله محمد بن جعفر: ما يجوز للشاعر عن الضرورة، تحقيق المنجي الكعبي، الـدار التونـــسية، ١٩٧١م ص٤٢. وانظـــر. الألوسي، محمود شكري: الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، شرحه محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١هـــ، ص٨٨.

(4) المصدر نفسه، ١/ ١٢٦. ابن منظور: لسان العرب، مادة (نقب) النقاب: موضع.

(5) ابن جني: الفسر، ١/ ١٢٧.

(6) المصدر نفسه، ١/ ٢٤٩.

(7) المصدر نفسه، ١/ ٢٤٩.

(8) القزاز القيرواني، ما يجوز للشاعر عند الضرورة، ص١٢٣.

(9) ابن جني: الفسر، ٢/ ١٨٠. انظر. ابن منظور، لسان العرب: مادة (نزع) نازعته: أي أخذته منه بقطعي إياه وأعطيته ما نال من الركاب. مادة (ركب) الركاب: الفتية من الإبل.

... :وقصر (الحُداء) وهو ممدود ضرورة(1).

ويعلــق الوحيد البغدادي بقوله: "قصر الممدود مما يجوز، ولكنه قد كان يمكنه أن يقول: "حُداؤهم تسبيحٌ" فيتخلص من الضرورة، إلا أنه تبع قوة الكلام، ولم يحفل بقصر الممدود(2).

وقوله:

فـــي رُتْـبَةٍ حَجَـبَ الـوَرَىَ عَنْ نَيْلِها   وَعَـــلا فَـــسَمَّوْهُ علِـــيَّ الحَاجِـــبَا(3)

...: "أراد (علـياً الحاجـب) فاضـطر إلـى حذف التنوين لسكونه، وسكون اللام من الحاجب"(4).

وقد استشهد ابن جني ببعض الأبيات الشعرية وردت عند غير شاعر حذف فيها التنوين لإلتقاء الساكنين، وضرورة الوزن، من مثل قول أبي الأسود الدؤلي:

فألفيـــــته غيـــــر مــــــستعتب   ولا ذاكــــــر الله إلا قلــــــيلا(5)

... :"أراد "ذاكراً الله"(6).

ويجوز حذف التنوين مما الوجه فيه إثباته(7).

وقوله:

فَـــيـــالَكَ لَـــيْـــلاً عَلـــى أعكُـــشٍ   أحـــمَّ الـــبِـــلادِ خَفِـــيَّ الـــصُّـــوَى(8)

---

(1) ابن جني: الفسر، 2/ 180.

(2) المصدر نفسه، 2/ 181.

(3) المصدر نفسه، 1/ 287.

(4) المصدر نفسه، 1/ 287.

(5) المصدر نفسه 1/ 287.

(6) المصدر نفسه، 1/ 287.

(7) القزاز، القيرواني: ما يجوز للشاعر عند الضرورة، ص127. وانظر. الألوسي: الضرائر، ص75- 76.

(8) ابـن جني: الفسر، 1/ 133. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (عكش) أعكش: موضع بعينه. مادة (حمّ) أحمُّ: أسود. مادة (صويَ) الصوى: أعلام من حجارة تنصب على الطريق يهتدى بها.

...: "أعكُش" موضع بعينه، وصرفه ضروراً" وهي لا تنصرف ولكنه صرفها لضرورة القافية[١].

وأجاز القزاز صرفها عند الضرورة[٢].

وقوله:

حَمَلْتُ إلَيْهُ مِنْ لِساني حَديقَةً سَقاها الحِجَى سَقْيَ الرّياضِ السَّحائبِ[٣]

فيفصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعول وذلك ضرورة[٤].

وكثيراً ما كان ابن جني يبرر لجوء أبي الطيب إلى ارتكاب الضرورات، حتى يأتي شعره منتظماً حسب الوزن والقافية. كما نرى في قول الشماخ.

لـه زَجَلٌ كأنه صوت حادٍ إذا طلب الوَسيقَةَ أو زَمِير[٥]

ويرى ابن جني اختلاس حركة الهاء في نحو (كأنه) ضرورة وصنعة، لا لغةً، لضعفه في القياس، ووجه ضعفه أنه ليس على مذهب الوصل، ولا على مذهب الوقف.. أما الوصل فيوجب إثبات واوه كلقيتموه أمس، وأمّا الوقف فيوجب الإسكان كلقيته وكلمته، فتجب أن يكون ذلك ضرورة للوزن.

ويستشهد على ذلك بقوله: "أنشدني الشجري لنفسه"[٦].

وإنا ليَرعى في المُخوِف سَوَامُنا كأنه لم يشعر بهِ مَن يحاربه[٧]

---

(١) ابن جني: الفسر، ١/ ١٣٣.

(٢) القزاز، القيرواني: ما يجوز للشاعر عند الضرورة، ص٦.

(٣) ابن جني: الفسر، ١/ ٣٥١. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (حجى) الحِجى: العقل.

(٤) المصدر نفسه، ١/ ٣٥١.

(٥) ابن جني: الخصائص، ١/ ٣٧١. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (وسق). الوسيقة: القطيع من الأتن.

(٦) المصدر نفسه، ١/ ٣٧١.

(٧) ابن جني: الخصائص، ١/ ٣٧١.

...: "فاخــتلس مــا بعــد هــاء "كأنه" ومَطّل ما بعد هاء "بهي" واختلاس ذلك ضرورة وصنعته، على ما تقدم"[1].

ويمكن القول أن المتنبي كان متأثراً بتراثه الشعري القديم بوجه خاص، وليست مخالفته للقــواعد المضطردة لحناً، وإنما يرى في ذلك رخصاً اهتدى بها إليها بفعل ثقافته الواسعة، ولم يأتِ بشيء عن جهل، أو ضعف في المقدرة الشعرية، وإنما الغالب أنه كان يتعمد ذلك تعمداً.

وهذا ما أكده السيد إبراهيم محمد الذي يقول عن الضرورة الشعرية بأنها "مظهر الإرادة الشعرية، ويتجلى فيه روح الأديب وفرديته، بل هي سبيل إلى فهم العمل الأدبي بأسره باعتباره كــلاً متكاملاً، والضرورة الشعرية -عنده- تظاهرة لغوية، تستوعب، وتستبطن الأسرار الكامنة في اللغة من خلال اتصالها في التراث"[2].

٤- الهجاء المبطن

يُعــد ابــن جني أول من وقف عند قضية "الهجاء المبطن" في شعر المتنبي، وكان على رأس الــنقاد الــذين فستحوا مجال القول في أن مدائح المتنبي في كافور[3] مبطنه بالهجاء وإن الازدواج فيها كان مقصوداً[4]. فقد أكد ابن جني على أنّ شعر المتنبي في كافور كان هجاءً في ثــوب المدح فكان أول من تنبه لهذه الظاهرة المهمة في شعره، فقد ورد في شرحه لديوانه: إن المتنبي قال له: لو شئت لقلبت الكافوريات كلها إلى الهجو.

وسأتناول بعض الأمثلة التي تؤيد ما ذهبت إليه:

(١) المصدر نفسه، ١/ ٣٧١، وانظر مثال آخر في : الخصائص، ١/ ٢٨١.

(٢) محمد، السيد إبراهيم: الضرورة الشعرية، دراسة أسلوبية، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص٩.

(٣) هو كافور الأخشيدي حاكم مصر في الربع الثاني من القرن الرابع الهجري.

(٤) انظر. عباس، إحسان: تاريخ النقد الأدبي، ص٢٧٣.

قال المتنبي من قصيدة يمدح بها كافوراً:

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً لَقَدْ كُنْتُ أرجُو أنْ أرَاكَ فأطْرَبُ(1)

قال ابن جني: "لمّا قرأت عليه هذا البيت قلتُ له: "أجعلت الرجلَ أبا زِنة فضحك لذلك، وهذا البيت وإن كان ظاهره مديحاً، فإنه إلى الهُزْءِ أقرب، ومما يشكل فيلتبس جني يشفعه ما يبينه..."(2).

وقوله فيه:

وأخْلاَقُ كَافُورٍ إذَا شِئْتُ مَدْحَهُ وَإنْ لَمْ أشأْ تُمْلِي عَلَيَّ وأكتُبُ(3)

قال ابن جني: "يقول شئتُ مدحَه أو لم أشأ فأخلاقهُ تُعرِبُ عن فضلِه وكرمه، وقولهُ: "وإن لم أشأ فيه ضربٌ من الهزو، وهكذا عامة شعره، وأكثرُ ما قاله في كافور وقد ذكرتُ كثيراً منه، ففطن له"(4).

وعلى الرغم من اعتراض الوحيد البغدادي بنفيه الهجاء المبطن شعر المتنبي، والذي قال في ذلك: "وليس بهزو، ولكنه ضربٌ من الجَفَاء في المدح، وقد ورد له من هذا كثيرٌ أوضحتُهُ"(5).

وكان ابن جني قد أشار في مقدمة كتابه الفسر إلى المدح الموجه، وقد أورد قول المتنبي:

وَمَا زَالَ أهلُ الأرض يَشْتَبِهُونَ لي إلَيْكَ فَلمَّا لُحْتَ لي لاحَ فَرْدُهُ(6)

---

(1) ابن جني: الفسر، ٢/ ٤١.

(2) المصدر نفسه، ٢/٤١.

(3) المصدر نفسه، ٢/ ٢٩. أبو زنة كنية القرد.

(4) المصدر نفسه، ٢/ ٢٩.

(5) المصدر نفسه، ٢/٢٩.

(6) المصدر نفسه، ١/ ٢٥.

قال ابن جني: "هذا بيت يحتمل معنيين مدحاً وهجاءً، فلو كان في هجاء لاحتمله، ولكنه في مدحٍ، وما كان من هذا النوع ليس بفاخر من الشعر، لفقْره إلى ما تقدمه"[١].

وألمح لابن جني كناقد أدبي أن له رأيٌ نقدي مهم، فهو لا يؤمن بجودة الشعر الذي يفتقر إلى ما تقدمه.

وقوله فيه

تَجــاوَزَ قَــدْرَ المَــدْحِ حتَّــى كأنَّــهُ   بِأحْــسَنِ مَــا يُثْنَــى عَلَــيهِ يُعــابُ[٢]

قال ابن جني: "هذا من المدح الذي يكاد يُقلب لإفراطه حتى يصيرَ هجاءً"[٣].

وقوله فيه:

وَأيُّ قَبِــــيْلٍ يَــــسْتَحِقُّكَ قَــــدْرُهُ   مَعَــدُّ بْــنُ عَــدْنَانٍ فِــدَاك ويَعــرُبُ[٤]

قال ابن جني: ".... وقد كان طوى شعرُه كثيراً من مديحه على الهجاء، وكان يقول لو شئت لقلبت جميع ما مدحته هجاء به فجعلته هجواً، وقد وافقته أنا على كثير من ذلك فاعترف به وتقبله"[٥].

وقوله فيه:

عَــــدُوُّكَ مَذْمُــــومٌ بِكُــــلِّ لِــــسانِ   وَلَــو كــانَ مــنْ أعــدائِكَ القَمَــرانِ
وَللهِ سِــــرٌّ فــــي عُــــلاكَ وإنَّمــــا   كَــلامُ العِــدَا ضَــرْبٌ مــن الهذَيَانِ[٦]

---

(١) ابن جني: الفسر، ١/ ٢٥.
(٢) المصدر نفسه، ٢/ ٦٢.
(٣) المصدر نفسه، ٢/ ٦٢.
(٤) المصدر نفسه، ٢/ ٤١.
(٥) ابن جني: الفسر، ١/ ١٣٨.
(٦) ابــن جني: الفتح الوهبي، ص١٧٧. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (هذيَ). الهذيان: فصيح كلام العرب.

قال ابن جني: "هذا مما ينقلب من مديحه إلى الهجاء، وهو مع التأمل له في أكثر شعره، والسر هنا في علاه: أن يغيط به الأحرار"[١].

وكذلك كان المتنبي قد نبه أيضاً إلى هذا الهجاء المبطن في أشعاره وفي أقواله:

وشــــعرٍ مَـــدحْتُ بـــهِ الكَـــركَدَنَّ   بـــينَ القَـــرِيضِ وبـــينَ الرُّقَـــى

فمـــا كـــانَ ذلـــكَ مـــدحاً لـــهُ   ولكـــنَّهُ كـــانَ هَجْـــوَ الـــوَرَى[٢]

فهــذا اعتــراف واضح وصريح بأنه لم ير في كافور من صفات تستوجب المدح لأنه يحمل من الصفات الجسدية وغيرها ما جعله غريباً عن العرب.

ذلك أن المتنبي رأى أن كافور لا يستحق المدح، لكنه اضطر إلى مدحه، طمعاً منه في تحقــيق مكاسب مادية، وطموحات في الولاية، ولكنه عندما وصل إلى مصر وكان قد خرج من عند سيف الدولة غاضباً ورأى مماطلة كافور له، وسوء معاملته إياه، حيث أنه لم يحقق له شيئاً مــن أهدافه، وفرض عليه إقامة جبرية، ومنعه من الرحيل خوفاً من هجائه له، الأمر الذي دعا المتنبي أن يهجوه هجاءً مبطناً، وأيضاً هجائه للورى لأنهم ارتضوا بكافور حاكماً وهو لا يملك أياً من صفات الحاكم المطاع.

وطمــع المتنبــي فــي أن ينال شيئاً من طموحاته، مما اضطره إلى تورية هذا الهجاء بالمدح، ولم يستطع أن يجهر بهجائه إلا في مرحلة تالية.

وســأتناول مــن الأمثلة، ما يفسر جانباً كبيراً من الهجاء المبطن والذي يحتمل معنيين، معنى ظاهري وهو المدح، ومعنى خفي وهو الهجاء.

---

(١) ابن جني: الفتح الوهبي، ص١٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ١/١٣٨.

ففي قول المتنبي يمدح كافور.

يَفضَحُ الشَّمسَ كُلَّما ذَرَّتِ الشَّمـ ـسُ بِشَمسٍ، مُنِيرةٍ سَوداءِ[1]

قال ابن جني: "يعني كافوراً، وكان يقول أنه هُزئ به في هذا البيت، وله نظائر في شعره"[2].

فرد الوحيد بقوله: "أما في الصناعة فما أتى بشيء بل أحال وأسقط، وقوله "منيرة سوداء" عجيب، فكان الأولى أن لا يذكر لونه، فإنه بالسبّ أشبه منه بالمدح"[3].

وأرى من خلال المثال السابق أن المتنبي أخرج مدحه لكافور إلى الذم لأنه جعله في إشراقه ونوره يفضح الشمس من شدة سواده.

وقوله فيه:

وأسْودُ مِشفَرُهُ نِصفُهُ يُقَالُ لَهُ أنتَ بَدرُ الدُّجَى[4]

وهذا البيت أيضاً شاهد على إنه يقصد الهزء من كافور، فهو يهجوه لسواده، منكراً عليه هذا اللون الغريب المستهجن.

وقوله فيه:

إنَّ فِي ثَوبِكَ الَّذي المَجدُ فِيهِ لَضِياءً يُزرِي بِكُلِّ ضِياءِ[5]

قال ابن جني: "هذا البيت تفسير لقوله: بشمسٍ ميزةٍ سوداءِ"[6].

---

(1) ابن جني: الفسر، ١/ ١١٥. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (ذرّ). ذرّت: أي بدت أول ما تطلع.
(2) المصدر نفسه، ١/ ١١٥.
(3) المصدر نفسه، ١/ ١١٥.
(4) المصدر نفسه، ١/ ١٣٨.
(5) المصدر نفسه، ١/ ١١٥.
(6) المصدر نفسه، ١/ ١١٥.

فالمتنبي يرى أن ضياءه يصل إلى ثيابه التي يستتر بها المجد "وصرَّح يكون المراد من الثوب جلده بقوله في البيت الذي بعده.

إنَّما الجِلْدُ مَلْبَسٌ وابْيِضَاضُ النَّفسِ خَيْرٌ مِن ابيِضَاضِ القَباءِ[1]

قال ابن جني: "يُسهل عليه أمر لونه ويحسنه له؛ وقال لي: كان موته أن يذكر له إنسان بالسواد"[2].

فكان رد الوحيد البغدادي قاسياً على المتنبي الذي وصفه بسوء الرأي، بيد أنني أرى أن الوحيد هو الذي كان سيء الرأي بالمتنبي، فقد قال متحدثاً عن خروج المتنبي من مصر: "ولمعرفتي كانت إساءة الصنعة بذكر لون كافور بسوءُ رأيه، لما يغلب في ظني أنه تعمده بذلك، فإن هذا أبعد من أن يخطئ به العاقل وفيه الهلاك، ولكن الرجل كان سيء الرأي متهوراً، وسوء رأيه أخرجه من حضرة سيف الدولة وشدة تعرضه لعداوة الناس"[3].

وقوله فيه:

مَنْ لبِيضِ المُلُوكِ أنْ تُبدِلَ اللَوْ نَ بلونِ الأستاذِ والسَّحناءِ

فَتَراها بَنُو الحُروبِ بأعيانٍ تَراهُ بها غَداةَ اللقاءِ[4]

ويمكن أن نفهم من خلال تفسير ابن جني لهذين البيتين، أنهما من الهجاء المبطن الذي قصد به أبا الطيب التهكم والسخرية اللاذعة لا المدح، فقد جعل المتنبي الملوك يتمنون أن يبدلوا

(1) ابن جني: الفسر، ١/١١٥.
(2) المصدر نفسه ، ١/١١٦.
(3) المصدر نفسه، ١/١١٦- ١١٧
(4) المصدر نفسه ١/١١٧.

ألـــوانهم باللون الأسود، وأن يصبحوا على هيئة مثل هيئته، وذلك حتى ترتاع الأعداء منهم إذا رأوهم على هذه الصورة.

وقوله فيه:

يَـــدِلُّ بِمَعنـــى واحِـــدٍ كُـــلُّ فاخِـــرٍ وَقَـــدْ جمَعَ الرَّحمنُ فيكَ المعـــانِيـــا[١]

قـــال ابـــن جني: "لما وصلت إلى هذا البيت ضحكت وضحك المتنبي وعرف عرضي، وهو انه قصد به الهجاء"[٢]

إن فـــي استخدام كلمة "المعاني" محلاة "بأل" الجنسية سعة كبيرة، وهي لذلك خادعة فقد تؤخذ ظاهرياً على المدح، لكنها تفسر باطنياً على العكس.

واكتفـــي بتلك النماذج من الأمثلة التي أبانت بصورة واضحة من ظاهرة الهجاء المبطن فـــي شعر المتنبي التي رأى فيها أسلوباً ناجحاً في التعبير عما في نفسه من تضجر إزاء كافور، ومـــا رآه من سوء معاملته ومن تسلطه وعدم كفاءته، ليكون حاكماً للعرب، فانصرف إلى مدحه الظاهري، وكان مضطراً إلى ذلك، حيث وصفه بكثير من الصفات الحميدة، لكن هذا المدح في الحقيقة يتضمن الكثير من السخرية والهجاء والتهكم من شخص كافور.

وأمـــا كافوريات المتنبي الهجائية، والتي هجا فيها المتنبي كافوراً هجاءً واضحاً لا لبس فيه، وكان بعضه هجاءً مرأً، وقد أشار ابن جني إلى هذا الهجاء الصريح، ففي قول المتنبي:

فَتَعذُلُنِـــي فِـــيكَ القَوافِـــي وهمَّـــتِـــي كَأَنِّـــي بِمَـــدحٍ قَـــبل مَـــدْحِكَ مُذْنِـــبُ[٣]

---

(١) العكبري، التبيان في شرح الديوان، ص٤/٢٩٥

(٢) المصدر نفسه، ص٤/٢٩٥

(٣) ابن جني: الفسر، ٢/٤٣.

قال ابن جني: "وتعذلني فيك القوافي وهمتّي" هجو صريح، لولا أنه يُستر منه بالمصراع الأخير"[1].

وفـــي الحقــيقة كان لابن جني الناقد لفتة رائعة، والذي استطاع بنظرته الثاقبة أن يلفت الانتباه إلى ما وراء ألفاظ المتنبي من مرام بعيدة وخفيفة تخالف ما يدل عليه ظاهر ألفاظه.

كمـــا اســـتطاع ابن جني من خلال تفسيره للأبيات التي قالها أبو الطيب في كافورياته الهجائية، أن يكشف لنا حقيقة شعور المتنبي ونفسيته اتجاه كافور.

فقد جعل المتنبي من صفات كافور المعنوية والجسدية مجالاً واسعاً وخصباً للتعبير عما في داخله من آراء عميقة في فكره وشعوره، ورؤيته للحياة، ونظام الحكم والأعراف الاجتماعية والتراثية.

فقــد وصف المتنبي كافور بالبخل والشح، فالبخل نقيضه الكرم، وهو من الأخلاق التي يعتد بها العربي، لكن المتنبي جرده من صفة الكرم، وأنكر عليه أن يكون كريماً، لأنه ليس من اصل عربي يؤهله للحكم، ذلك أنه كان عبداً مملوكاً.

قال أبو الطيب:

إذا طَلَـــبُوا جَـــدْوَاكَ أعطَـــوُا وحُكِّمُـــوا وإنْ يطلُـــبُوُا الفَضلَ الَّذِي فِيكَ خُيِّبُـــوا[2]

قـــال ابـــن جنـــي: "الجدوى" العطيَّة أي إذا طلبوا عطاءَك أعطيتهم، وإن رامُوا فضلكَ منعتَهُم منه"[3].

وفي البيت ما يؤكد نفي صفة الكرم عند كافور، وهجوه بالبخل.

---

(1) ابن جني: الفسر، ٢/٤٣.

(2) المصدر نفسه، ٢/ ٣٤.

(3) المصدر نفسه، ٢/ ٣٤.

وقوله فيه:

وَيُغنيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ   إِليكَ تَنَاهَى المَكْرُمَاتُ وتُنْسَبُ[1]

قال ابن جني: "يقول أنت وإن لم يكن لك نسب في العرب، فإنك أهل في المكارم وإليك تنسب، وأنت أكبر من أن تنسب إلى أحد"[2].

وفي ذلك تعريض بكافور بأنه لا أصل له يصلح أن يُنسب إليه

وقوله فيه:

وَلاَ مُلْكَ إلاّ أنْتَ، والمُلْكُ فَضْلَةٌ   كأنَّكَ سَيْفٌ فيه وهوَ قِرابُ[3]

وأرى أن في هذا البيت تعريضاً بأنه يرى في كافور عبداً مملوكاً، والملك لا صاحب له، لأن العبيد لا يملكون شيئاً

وفي هذا سخرية شديدة، لاذعة من أصل كافور ونسبه.

ولم يكتف المتنبي بنعته بالبخل والجبن واللؤم، وعدم صلاحية نسبه بل نعته بقول الزور والمواعيد الكاذبة.

أبَا المِسْكِ هَلْ في الكَأسِ فَضْلٌ أنَالُهُ   فإنّي أُغنّي مُنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ[4]

قال ابن جني: "ضرب هذا مثلاً، يقول مديحي يطربك، كما يطرب الغناء الشارب، ولقد طرب ما شاء"[5].

(1) ابن جني: الفسر، ٢/ ٤٠.
(2) المصدر نفسه، ٢/ ٤١.
(3) المصدر نفسه، ٢/ ٧١.
(4) المصدر نفسه، ٢/ ٣١.
(5) المصدر نفسه، ٣١/٢ وانظر مثال آخر ٣٠/٢.

وأرى أنه في هذا البيت يصرح المتنبي باضمحلال عطاياه تحت المواعيد الكاذبة، ينادي بأعلى صوته بتمادي مدة المواعيد، وأنه محروم من الوصول إلى عطاياه، هو لم يرَ من كافور سوى البخل والإساءة، فكرمه كاذب، فلا يطلق إلا المواعيد الكاذبة.

إن أخلاق كافور السيئة، وشعور المتنبي بفراغ الدنيا من الكرام،مع ما أصابه من إحباط وقهــر بــسبب إقامــته الجبرية،وعدم تحقيقه لبغيته من وراء زيارته لمصر، ومدحه لحاكمها، مــضطراً، كل هذا جعله يشعر باختلال الموازين في الحياة، وعند الناس الآخرين جميعاً، فهذا شديد التشاؤم، ويعبر عن عدم رضاه عن ذلك بقوله:

أرِيــكَ الرِّضــا لــو أخفتِ النفسُ خافيا وما أنا عن نفسِي ولا عنكَ راضيا[1]

ويلــوم المتنبي الناس في مصر لوقوفهم مكتوفي الأيدي، فقد كان يتوقع منهم أن يتوروا على هذا العبد الخائن، لكن الذي حدث منهم أن مهدوا أمره وأطاعوه، بل انقادوا له إنقياداً تاماً.

وقوله فيه:

وأنفَــذُ مــا تَلقــاهُ حُكمــاً إذا قَــضَى قَــضَاءً مُلوكُ الأرضِ منهُ غِضَــابُ[2]

قال ابن جني: "إذا أراد أمراً يُغضب جميع ملوكِ الأرض فحينئذٍ أنفذُ ما يكونُ أمرُه، فإن قــيل هــل يكــون أمرُه في وقتٍ أنفذَ منه في وقتٍ، قيل إنما يتبين نفاذ الأمر ومضاؤه في هذه المواطن العظيمة، فلذلك قال هذا، وهذا القول قيل قديماً"[3].

وأرى في هذا البيت تعريض إلى من جهل من أطاعه وقيل منه ذلك الحكم الذي يغضب منه عامّة ملوك الأرض.

---

(1) ابن جني: الفتح الوهبي، ص ١٩٤.

(2) ابن جني: الفسر، ٢/٦٦.

(3) المصدر نفسه، ٢/ ٦٦.

إن حقد المتنبي على ما آلت إليه الأوضاع في مصر، واستهجانه لذلك، إضافة إلى كرهه لكافور أدى به إلى الهجوم الشديد عليه وعلى العبيد جميعاً.

وقوله فيه

العبدُ ليسَ لحُرٍّ صالحٍ بأخٍ ... لَوْ أنّهُ في ثيابِ الحُرِّ مولودُ[1]

قال ابن جني: "أي لو ولد العبد في ثياب الحر لما كان للحر آخاً لأنه ينزع إلى لؤم أصله فلا ينتفع بأن يفدا به على أولاد الأحرار ولا أن يؤدب بأدابهم فذلك معنى ولادته في ثياب الحر"[2].

فالمتنبي ينفي أياً من منظومة الأخلاق عنْ العبيد، وبالتالي لا يجوز أن يُؤاخى بينهم وبين الأحرار بغض النظر عن أية حال وجدوا عليها أو تربوا فيها، لأن هؤلاء العبيد لا ينفع معهم إحسان، ولا يصلحون إلا بالضرب والإهانة لشراسة أخلاقهم وسوئها.

فالشاعر يرد أخلاق كافور السيئة وسوء طبعه إلى حياة العبودية التي عاشها، ورأى انه لا يستحق أن يكون حاكماً.

وقوله فيه:

يقودُ إلَيْهِ طاعَةَ النَّاسِ فضلُهُ ... ولَوْ لم يَقُدْها نائلٌ وعِقابُ[3]

قال ابن جني: "لو لم يطعه الناس رغبةً ورهبةً، لأطاعوه محبةً لما فيه من الفضل"[4].

---

(1) ابن جني: الفتح الوهبي، ص٦١.

(2) المصدر نفسه، ص٦١.

(3) ابن جني: الفسر، ٢/ ٦٧.

(4) المصدر نفسه، ٢/ ٦٧.

فمـا رآه المتنبي في مصر، وما آل إليه الوضع، من تغيير الأحوال، وانقلاب الموازين واعـتلال القـيم، جعله يشعر بالأسى والحزن، حتى أثرت على نفسيته، فقد صور زمنه بزمن المضحكات، لكنها ضحكات كالبكاء.

قال المتنبي:

وَمَـاذَا بِمِـصرَ مِـنَ المُـضْحِكَاتِ؟ وَلَكِـنَّهُ ضَحِـكٌ كالـبُكَا

بهـا نَبطِـيٌ مِـنْ أهْـلِ الـسَّوَادْ يُـدَرِّسُ أنْـسَابَ أهْـلِ العُـلا

وأسْـودُ مِـشْفَرُهُ نِـصفُهُ يُقَـالُ لَـهُ أنـتَ بَـدرُ الدُّجَـى[1]

فالأوضـاع تثيـر العجب والضحك عند المتنبي، وكذلك الحال مع كافور الذي يضطر الناس إلى تسميته ببدر الدُجى، رغم البون الواسع بينه وبين البدر في الجمال والبهاء.

ولـم يكـتفِ المتنبي بلوم الآخرين على رضاهم تحكيم كافور، بل يلوم نفسه ويوبخها لقبولها تحكيم العبد فيها، حينما وافق الرحيل إلى مصر وبدأ يمدح كافور.

وَمَـا العِـشْقُ إلاَّ غِـرَّةٌ وَطَمَاعَـةٌ يُعَـرِّضُ قَلْـبٌ نَفْـسَهُ فَيُـصَابُ[2]

وأرى فـي هذا البيت أن المتنبي يعاتب قلبه في حب كافور والذي وجده خلاف ما كان يتوقعه منه. وذلك كونه عذاراً فيأمل من قلبه الوفاء فيما عزم عليه.

أما المجال الآخر الذي وجد فيه المتنبي ميداناً واسعاً للتعبير عمّا في داخله، هو صفاته الجـسدية، فقد أكثر من السخرية من شكله وهيئته ولونه، فقد كان لونه أسود، بل شديد السواد، عظيم الحجم، ولون أسود هجين عن اللون العربي، قال يسخر منه سخرية لاذعة.

---

(1) ابن جني: الفسر، ١/ ١٣٧– ١٣٨.

(2) المصدر نفسه، ٥٦/٢. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (غرّ). الغِرُّ: الذي لم يجرب الأمور.

وتُعجِبُنــي رِجــلاك فــي الــنعل أنني رأيــتُكَ ذا نعــلٍ إذا كُــنتَ حافِــيا[1]

قال ابن جني: "يعجبني هنا: من التعجب لا من الإعجاب الذي هو الموافقة"[2].

"ويريد غلظ جلد رجله وجفافها لذلته ومهنته وقت كونه مملوكاً لبعض الزياتيين"[3].

وفي هذا البيت يفسر لنا ابن جني موقف المتنبي من صفات كافور الجسدية، فهو يتعجب من غلظ رجلي كافور، إذ يبدو كأنه منتعل لغلاظة جلده، فهذه صورة قبيحة رسمها له، تشير إلى قــبحه وهجنــته، وكذلك سوء سيرته من حياة الشقاء والعبودية، فكيف من هو على هذه الحال يكون ملكاً؟

وكذلك قوله فيه.

أمَيْــنا وَإخلافــاً وَغَــدْراً وخِــسَّةً وَجبْــنا؟ أشَخصاً لُحتَ لي أم مَخازِياً؟[4]

وفي هذا البيت إشارة إلى أن كافور لا يجوز له أن يكون حاكماً، لأنه لا يملك أي صفة تؤهله لذلك لا صفة خُلُقية، ولا خَلْقية.

وأكتفــي بهذا القدر من الأمثلة التي قدم لنا المتنبي خلالها صورة واضحة للعصر آنذاك فــي مجــال الحكــم، والحرية والعبودية والرفض للواقع والقبول به، وما ماشى الأعراف وما خالفها، وقد كان في ذلك كله يوضح لنا الأمور كما يراها هو، وكما يعتقدها هو من خلال نظرته لنظام الحكم، فهو يرى أن العبيد لا يصلحون للحكم، بل لا يصلحون لأمر سوى الخدمة، فهم من أصل بعيد عن الجنس العربي، فالعرب هم الآحق في الحكم وهم الأجدر بذلك.

---

(١) ابن جني: الفتح الوهبي، ص١٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩٥.

(٤) العكبري، التبيان في شرح الديوان، ٤/٣٠٠.

كمـــا يجب أن تتوافر في الحاكم صفات عرفتها العرب، وتمكنت من نفوسهم، كالسيادة والحلــم والكـــرم والـــوفاء والإباء، وعلى هذا فالعبيد لا يمكن لهم أن يكونوا حكاماً لانتفاء تلك الصفات عنهم أصلاً، وهو يريد أن يصل من هذا كله إلى عدم جواز اعتلاء كافور عرش الملك، بل هناك من هو أحق وأجدر منه، ولمّا لم يتحقق له الأمر الذي طمح به، صبّ جام غضبه على كافــور وبــدأ يهاجمـــه في أخلاقه، وسلوكه، وصفاته الجسدية، وقد بدا في ذلك منحازاً للجنس العربي، واللون العربي، والأخلاق العربية والأعراف العربية[١].

٥- <u>اهتداؤه إلى الجرأة النفسية لدى المتنبي</u>

استطاع ابن جني من كثرة ملازمته للمتنبي، ومعرفته لطبيعته أن يتنبه إلى ظاهرة نفسية هامـــة جداً، "تفسّر لنا شيئاً كثيراً مما أنكره خصوم المتنبي"[٢]، وهي جرأته النفسية وقوة طبعه وشخـــصيته التي لا تذللها هيبة سلطان ولا رهبة ملك أو حاكم، فقد وقف عند المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة:

يعلَمْــنَ حــينَ تُحَيَّــي حُــسْنَ مَبسمِها وَلَـــيْسَ يَعْلَـــمُ إلاَّ اللهُ بالـــشَّـــنَبِ[٣]

قـــال ابن جني: "يقول أترابها يعلمن حسن مبسمها لأنهن يرينه وليس يعلم شنبه إلا الله لأنـــه لـــم يذقه أحد" ثم قال ناقداً هذا المعنى: "وكان يتجاسر في ألفاظه جداً ألا تراه يقول لفاتك يمدحه:

وَقَـــدْ يُلَقِّـــبُهُ المجْـــنُونَ حاســـدُهُ إذا اخْـــتَلَطْنَ وبعــضُ العَقْــلِ عُقَّالُ[٤]

---

(١) نصير، أمل: <u>المفارقة في كافوريات المتنبي</u>، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، المجلد١٥، العدد٢، ١٩٩٧م، ص٣٥.

(٢) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي، ص٢٧٤.

(٣) ابـــن جني: الفسر، ١/٢١٤. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (شنب). حدّة في الأسنان، وقيل: بَرْد وعذوبة.

(٤) ابـــن جني: الفسر، ١/ ٢١٥. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (عقل). عقال: داء يأخذ الدواب في أرجلها، يمنعها من المشي.

أفــلا ترى كيف ذكر لقبه على قبحه، وتلقاه به وسلم مع ذلك أحسن سلامة، ولولا جودة طــبعه وصــحة صنعته ما تعرّض لمثل هذا، وكذلك ذكره مبسمها وحسنه وشنبه، ومفرقها في البيت الذي يتلوه، ومن ذا الذي كان يجسر على تلقي سيف الدولة يذكر مثل هذا من أُخته؛ وآل حمدان أهل الأنفة والإباء وذوو الحمية والامتعاض، وأكثر شعره يجري هذا المجرى من إقدامه وتعاطيه، فإذا تفطنت له وجدته على ما ذكرت لك"[١].

فيأتيه الرد العنيف من الشاعر الأزدي الملقب بالوحيد البغدادي "وأخلافاه! تعالوا اسمعوا العجب، بصفة بالخطأ والتخلف، فيقول: هو صحيح الصنعة، إن الصناعة -عافاك الله- لا توجب مثل هذا القول (والإشارة هنا إلى البيت السالف الذكر في رثاء المتنبي لأخت سيف الدولة) ولا هــو محتاج إلى ذكر هذا القول في امرأة ميتة، ولو كانت مَحرما له، فكيف وليست له بمحرم، ولهــا أخ ملك قاهر، فقد أخطأ في الصناعة إذ أورد ما لا يحتاج إليه الرأي في مرثتها، وأخطأ في الرأي لنفسه، وأما قول صاحب الكتاب (أي ابن جني): "وسلم أحسن سلامه"، يعني من فاتك، فلــيس ســلامته دلــيلاً على إصابته، قد يخطئ الإنسان ويسلم، ويصيب فيهلك، ذلك أمر غير صــناعة الشعر... وليس من أدخل في غرض من الأغراض ما لا يليق به منسوباً إلى الحذق، وكــذلك ذكره مبسمها وحسنه وشنبه ومفرقها في البيت الذي يتلوه، ومن الذي كان يجسر على سيف الدولة ويذكر هذا من أخته؟"[٢].

وأرى في حديث الوحيد كلام ليس له أي قيمة، لأن الذي أراد أن يثبته ابن جني في هذا المقام هو إدعاء المتنبي حين يقول:

---

(١) ابن جني: الفسر، ١/ ٢١٥.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٢١٥- ٢١٦.

لا تجْسرُ الفُصحاءُ تُنشِد هَا هنا بَيْتا ولكنِّي الهِزبرُ الباسِلُ[1]

أنه كان يستطيع أن يتفوه بأشياء لا تجرؤ الشعراء على ذكرها، ويتخلص من دون خدش لكرامة المخاطب ومشاعره، وهذا مزية امتاز بها المتنبي بين القلة الضئيلة من الشعراء.

فكان رد الشاعر الأزدي في اتجاهه النقدي عنيفاً متهوراً ومندفعاً على الاتجاه النقدي المعتدل الذي يمثله ابن جني.

وهذه تعد ملاحظة نقدية في غاية الأهمية من ابن جني الذي استطاع من خلال فهمه لشخصية الشاعر ونفسيته، مما مكنه من دراسته جميع جوانبه الأخرى الأدبية والفنية.

وقول المتنبي:

سَقاني اللهُ قَبْلَ المَوْتِ يَوْماً دَمَ الأعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الجُرُوحِ[2]

قال الوحيد معلقاً على هذا البيت: "لم تكن مجالسة الملوك، وخاصة في الأنس، نحتمل مثل هذا، ولكل مقام مقال؛ وذكره الدم من جوف الجروح شيء غير طريف، ولا يطيب به وقت نديم، والشعر ينبغي أن يعمل على حسب الأوقات، ويتقرب به من القلوب"[3].

نجد أن الوحيد يرفض أن يقول المتنبي مثل هذا القول في مجالس الأنس مع الملوك، لأنه لكل مقام مقال.

بيد أنني أجد أن رأي الوحيد غير صحيح ومقنع، لأنه غفل أن المتنبي قال هذا البيت في مجلس أبي "محمد الحسن بن عبدالله بن طغّج"[4]، وكان قد "ذكرت فيه وقعة عظيمة فاستهولها

---

(1) ابن جني: الفسر، ٢١٦.
(2) المصدر نفسه، ٢/ ١٩٥.
(3) المصدر نفسه، ٢/ ١٩٥.
(4) المصدر نفسه، ٢/ ١٩٣.

بعـــض الحاضـــرين"[١]. فأنشد المتنبي ثلاثة أبيات في الحماسة يخاطب بها الممدوح، ومنها هذا البـــيت، فكان الحوار الذي دار بينهم في مجلس الممدوح حول الحرب، ويتمنى المتنبي في هذا البيت "أن يمكنه الله من الأعداء حتى يريق دماءهم ويسيلها على الأرض كالماء وينكل بهم"[٢].

وقوله أيضاً:

أرَى العِـــراقَ طَـــوِيلَ اللَّـــيلِ مُذ نُعِيَتْ فكـــيف لَـــيْلُ فَتـــى الفِتْيانِ في حَلَبِ[٣]

قال ابن جني: "يعني سيف الدولة... هو من أعذب لفظ وأحسنه"[٤].

ويعترضـــه الوحيد ويرفض ما قاله ابن جني، بقوله: "هو من أعذب لفظ لمثل توبة بن الحميـــر، رجـــل سوقة بدوي، فأما ملك عظيم فهو تقصير في مدحه وأظلم له، وليس كل المدح يصلح للملوك".

بـــيد أنني أرى أن رأي الوحيد على خطأ، لأنه لم يفهم معنى البيت. فالمتنبي لا يمدح ســـيف الدولة، وإنما يعزيه بوفاة أخته، ويشاركه آلامه، ويتحدث عن عمق المأساة التي يعيشها الشاعر، ويعيشها سيف الدولة، فالشاعر متألم حزين، وهو بعيد يسكن العراق، ويعبر عن حالته النفـــسية متـــسائلاً، إذا كانت هذه حالي من الحزن واليأس فكيف بحال سيف الدولة القريب من مكـــان الحـــدث، وقوله "فتى الفتيان" دلالة على عمق الصلة النفسية والشعورية التي تربط بين المتنبي وسيف الدولة، وتدل على مدى إعجاب المتنبي بفتوته، وبقدرته على مواجهة الصعاب.

ويبين لنا ابن جني جسارة المتنبي وقوة طبعه وشخصيته في مقدمات القصائد التي قالها في مدح كافور كما نرى في مطلع القصيدة التالية:

---

(١) ابن جني: الفسر، ٢/ ١٩٣.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان، ١/ ٢٦٤.

(٣) ابن جني: الفسر، ١/ ٢١٢.

(٤) المصدر نفسه، ١/ ٢١٢.

كَفَـــى بِــكَ دَاءً أن تَرَى المَوتَ شافِيــاً   وحَـــسْبُ المَـــنايَا أن يَكُـــنَّ أمانِـــيا[1]

فالشاعر يخاطب نفسه ويعاتبها أشد العتاب ويعلن أسفه وندمه على قصده كافور والتوجه إلـــيه، ولكنه يضمّن ويخفي مقصود بأن رؤيته كرؤية الموت بعينه، فكانت هذه جرأة نفسية من المتنبي في التعريض بكافور في مطالع قصائده، وغفلة كافور عن ذلك.

وكذلك في قول المتنبي:

إنَّمــــــا التَّهنِـــــئاتُ لِلأكفـــــاءِ   ولِمَـــــنْ يَدَّنـــي مِـــنَ الـــبُعَدَاءِ[2]

وكـــان كافور قد بنى داراً بإزاء الجامع، فطالب أبا الطيب بذكرها، فقال في مطلعها بما يـــوهم عدم امتثاله لأمره. حيث صرف التهنئة إلى الأكفاء فقط، وادّعاء الاتحاد والمساهمة معه والكفاءة مع الممدوح.

وكان الواحدي يثيره العجب من موقف المتنبي في إشراك نفسه مع الممدوح ويقول في تعلـــيقه على هذا البيت: "وهذا طريق المتنبي يدعي لنفسه المساهمة والكفاءة مع الممدوحين في كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدري لم احتمل ذلك منه"[3].

وتظهر جرأة المتنبي النفسية في مواجهة كافور في قوله:

فَـــارْمِ بِـــي مـــا اردت مِنّـــي فإنّـــي   أسَـــدُ القَلْـــبِ آدمِـــيُّ الـــرُّواءِ[4]

قال ابن جني: "يقول: مُرني بما أحببتُ فإني وإن كنتُ في المنظر آدمياً فقلبي قلب أسد" كيف لا يطلب من الولاية وقد أراه وفاءه في أول لقائه بذكر سيف الدولة الذي أنعم عليه ورفعه

---

(1) ابن جني: الفتح الوهبي، ص١٩٣.

(2) ابن جني: الفسر، ١/١٠٩.

(3) الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ١/ ٤٠٢

(4) ابن جني: الفسر، ١/ ١١٨. انظر. ابن منظور: لسان العرب، مادة (رويَ). الرواء: المنظر والشارة.

بما ذكره به، ثم أراه عقله أو نصحه في مدحه إياه بالسواد وتكريره ذلك في قصائده إما حمقاً أو غشاً أو يرجع ذلك إلى الحمق أبداً"[1].

وفي هذا البيت يرى ابن جني جرأة المتنبي النفسية وقوة طبعه التي تجاسر فيه على المواجهة مع كافور، الذي أعلن نفاذ الصبر ولم يحتمل البقاء عنده، وتصريحه بأنه أيس من إحسانه، ويصف قلبه بقلب أسد بالقوة والشجاعة.

كما تنبه ابن جني إلى وجود ظاهرة في شعر المتنبي، وهي قدرته على استخدام ألفاظ الغزل في الحرب، وكان هو أول أشار إلى وجود هذه الخاصية في شعره، فقد وقف عند قول المتنبي:

الْمَوْتُ أَقربُ مِخْلَباً مِنْ بَيْنِكُمْ   والعَيْشُ أَبعَدُ مِنْكُمُ لاَ تَبْعُدُوا[2]

قال ابن جني في تفسيره: "إذا بعدتم كان العيش أبعد منكم، لأنه يعدم البتة وأنتم موجودون، وإن كنتم بعداء عني فالعيش إذاً أبعد منكم عني، لأن بكم الحياة، وقوله: "لا تبعدوا" دعاء ظريف لهم، وذكرهُ (المخلب) واستعارته إياه للموت في ألفاظ الغزل يدل على قوة طبعه"[3].

وعلى الرغم من رفض الوحيد ما قاله ابن جني الذي قال: "قوله تجاوز هذا الحد حتى صارت حسناه، فإن هذا يحسن في وصف الحماسة، فأما في الغزل فغير مطرب، ولا مبهج، وإنما يتغزل الناس بما يطرب لا بما يرهب"[4].

---

(1) ابن جني: الفسر، ١/١١٨.
(2) المصدر نفسه، ٢/ ٣٢٤.
(3) المصدر نفسه، ٢/٣٢٤.
(4) المصدر نفسه، ١/٣٢٤.

وأرى أن ابـــن جنـــي من خلال تفسيره لهذا البيت، استطاع أن يكشف لنا ما في نفسية الشاعر، فقد رأى أن الفراق صعب، وأن الحياة بعيداً عن الأحبة تعني الموت، لكن ذكره المخلب في ألفاظ الغزل تدل على عمق تجربته الشعرية، واستطاع بقوة طبعه أن يعبر عن عمق محبته الـــشديدة، ومدى تأثره عند الوداع حتى أحسّ بقرب منيته. فكان بذلك للمتنبي قدرة فائقة جداً في التلاعب بالألفاظ ونقلها من مجال لآخر، التي لا يقدر عليها إلا الشاعر الفذ.

وقول المتنبي:

ومَـــنْ خُلِقَـــتْ عَيـــناكَ بـــين جُفُـــونِهِ أصَابَ الحُدورَ السَّهلَ في المرتقى الصَّعْبِ[1]

قال ابن جني في تفسيره: "يملك قلوب الرجال حتى يقتلهم بأيسر سعي"[2] وعلق الوحيد بقـــوله: "لـــو كان المصراع الثاني من هذا البيت مدحاً لسيف الدولة كان أليق بذلك لأن للكلام مواضع، وألفاظ الغزل غير ألفاظ الجد، وليس يليق هذا المصراع بالغزل"[3].

وأرى أن الوحـــيد لم يفهم المعنى الذي قصده ابن جني، فلقد فصل الوحيد بين المصراع الأول والمـــصراع الثانـــي في فهم المعنى، ويرى أن ألفاظ الشطر الثاني هي ألفاظ غزلية ولا تـــتواءم ومـــدح الممدوح في الشطر الأول، إلا أن ابن جني كان دقيقاً في تفسير إذا استطاع أن يتبين لنا ظاهرة مهمة وهي نفسية الشاعر.

وكان ابن جني قد وقف عند هذه الظاهرة المهمة في شعره، وبين لنا قدرة المتنبي على التلاعب بالألفاظ، وخلعه عليها ألفاظ الغزل والحب والهيام.

"وكانـــت ظاهـــرة استخدام ألفاظ الغزل في الحرب عند المتنبي قد رافقته منذ طفولته، واشتدت مع مرور الأيام حتى بلغت عنفوانها عندما شارك سيف الدولة مواقعه مع الروم. فأخذ

---

(1) ابن جني: الفسر، ١/١٤٢.

(2) المصدر نفسه، ١/١٤٢.

(3) المصدر نفسه، ١/ ١٤٢.

يتغنـــى بالحرب والرماح. والسيوف، ويصور الدم والدمار والجثث والأشلاء تصويراً يدل على عـــشق هـــذا الـــشاعر لهذه المناظر وارتباطه بها، فإذا قرأنا له شيئاً من مواقفه الغرامية سمعنا صليل السيوف، وهز الرماح، وشاهدنا الدماء واندفاع الخيول"(١).

ويرى د. شعيب: إن استخدام المتنبي ألفاظ الغزل في مواقف الجد والحرب أمر طبيعي، فلقـــد شهد الحرب وعشقها، ووصفها كما رآها، فمزج الحب بالحماسة، وصور الحرب تصوير عاشـــق محب، لأنها رمز البطولة عنده، فقد كان "يستسهل خوض المعارك، كما كان يستطيبها ويلتذ بها، فتغنيّه بها وخلعه عليها ألفاظ الغزل والهيام بالنسبة لذلك أمر طبيعي إلى حد كبير"(٢).

واكتفي بهذه القدر من الأمثلة التي أبانت بصورة واضحة عن ظاهرة الجرأة النفسية عند المتنبـــي، ولكن ابن جني لم يعلل لنا هذه الظاهرة إلا في أبيات قليلة، ويكفيه أنه اهتدى إلى هذه الظاهرة المهمة في شعر المتنبي، والتي تعد ميزة من ميزات شعر المتنبي.

---

(١) نافع، عبدالفتاح: لغة الحب عند المتنبي ، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٨٣م، ص١١٤.

(٢) شعيب، محمد: المتنبي بين ناقديه، ص١٠١.

الخاتمة

درست في هذا البحث، علماً كبيراً من أعلام الدرس اللغوي في القرن الرابع الهجري، حـــيث كان لهذا اللغوي إسهام كبير في عالم النقد الأدبي، وآراء كثيرة في مسائل وموضوعات شتى.

وبعد أن انتهى بي المطاف إلى هذا الحد الذي اقتضته طبيعة دراستي، يجمل بي أن آلم بالمعالم الكبرى لهذا البحث المتواضع وما توصلت إليه من نتائج مهمة

فقد أوضح هذا البحث، في الفصل الأول، ثقافة ابن جني وشمولها علوماً متعددة، وتبين ثقافته في جميع الميادين، وخاصة في الأدب ونقد الشعر.

وكشف البحث في الفصل الثاني منهج ابن جنّي في تناول مباحثه البلاغية والنقدية، وبين إن شرح ابن جني لديوان المتنبي كان محوراً لكثير من البحوث والدراسات التي غذت تيار النقد الأدبي وأغنته، ومن خلال شرحه لديوان المتنبي فقط أعطى شرحه قيمة كبرى في فهم كثير من الظواهر اللغوية والنحوية والأدبية في شعره من جهة، وفي فهم التطور اللغوي للغة العربية في القـــرن الـــرابع الهجري من جهة أخرى، فقد أبدع ابن جنّي لهذ الديوان القراءة الأساس، والتي اعتمدت عليها كل قراءة لاحقة.

درس الـــبحث في الفصل الثالث مجموعة من القضايا البلاغية والنقدية، التي كان لابن جنـــي آراء قـــيمة ومتميزة في النقد الأدبي. حيث أوضحت الدراسة موقفه في مجال الخصومة حـــول المتنبي، دفاعه عنه وانتصاره له ضد تعنت اللغويين والنحويين فكانت الخصومة عاملاً مؤثراً في النقد اللغوي.

كمـــا تميـــز موقفه بالعدل والإنصاف في المناداة بالسماح للشاعر المحدث بما قبل من الشعراء الفحول عندما أجروا تراكيبهم على ما لا يتجانس مع قواعد اللغة، ورأينا كيف استشهد بالقـــرآن حتى يسوغ لأبي الطيب ركوب لك الصيغ التي ردّها عليه حساده وأعداؤه، كما عمل

إلـــى جانـــب الاستشهاد بالشعر القديم، وبالتعليل النحوي، واستفاد من اختلاف المدارس النحوية إفـــادة كبيـــرة، وكانت غايته من ذلك إبطال دعاوي الخصوم وأن يقيم البرهان على أن المتنبي شاعر عالم باللغة ملمّ بأسرار الشعر قادر على التصرف فيه، وأنه يستحق المنزلة التي يصفونه فيها عن جدارة واستحقاق. وأن "الحسد" هو الذي حمل خصومه على التهجم عليه.

كمـــا كـــشف البحث موقف ابن جني من الصنعة، فقد وجد في المتنبي شاعر لديه انتاج مهذب وكثيراً ما كان يراجع نفسه حتى تستوي لديه كل قيود الصناعة، ويرى أن هذا بفعل ثقافته واطلاعه الواسع.

ورأينا موقفه في الأبيات التي أقامها ابو الطيب على المبالغة والغلو، فقد رأى ابن جني أنهـــا ليـــست ممّا يحاكم بمفهوم الصدق والكذب، وعدّ المبالغة توسعاً في الكلام، ولوح بالشعار القائل إن الشعر لا يحاكم بالصدق والكذب وإنما بمفهوم الجودة والرداءة، وكان يلتمس لمبالغات المتنبي المحيلة وجهاً من وجوه التسويغ.

وكـــشف الـــبحث موقفه من قضية اللفظ والمعنى، فقد سار في طريق لم يسلكه أحد من السابقين في تفضيل اللفظ على المعنى أو المعنى على اللفظ وجعلهما بمنزلة موقف سواء، فكانت له نظرة نقدية هامة، هي الأساس الذي ألهم عبد القاهر الجرجاني نظريته في النظم.

ولحـــظ البحث أن ابن جني تصدى للذين اتهموا المتنبي بالسرقة، وعدها من باب ثقافة الشاعر، وأن هذه الثقافة استطاعت أن تؤثر في فنه، وتنوع صوره وتحدث طرافة في خواطره.

ونجـــد أنـــه كان منصفاً في الاحتكام إلى أسس السرقة، فأظهر تفوق المتنبي، فقد التزم جانب الموضوعية والتروي في إطلاق الحكم، فقد وازن بين شعره والشعراء الذين سبقوه، وبين الجديد لديه، فكان – برأيه- شاعراً مجيداً في اختراع المعاني.

كمـــا أظهـــر البحث تسامح ابن جني في رواية كلام العربي وإباحته للشعراء استعمال الضعيف أو القليل أو الشاذّ، وتسليمه بكل ما نطق به العرب.

كمـــا بين البحث أن اختلاف النسج، دليل على اقتدار الشاعر وإمارة حذق، وعد المتنبي شـــاعراً بارعـــاً، يأتـــي بالأسلوب الذي يجانسه ويوائمه، وعدّ الشاعر الذي ينوع نسجه بتنوع مشاعره وباختلاف الأفكار المسيطرة عليه هو شاعر بارع، فاختلاف النسج في القصيدة الواحدة لا يعد عيباً، إذا كان الداعي إليه تنوع المقاطع، وتعدد الأغراض داخل القصيدة.

وبين البحث موقف ابن جني من الغموض والتعقيد ونظر إليها من باب الاتساع في العلم باللغـــة وبدقائق المعاني والإقتدار عليها في الشعر، وأن هذه الأبيات مهما أمعنا فيها النظر فإنها تبعث على دلالات جديدة لا تقف عند حد.

كمـــا كـــشف الـــبحث عن الاتجاه الأدبي العلمي المعتدل الذي يمثله ابن جني في مقابل الاتجاه الأدبي العنيف المتهور الذي يمثله الشاعر سعد الأزدي الملقب بالوحيد البغدادي.

وأوضـــح الـــبحث دوره المميـــز في مجال المباحث البلاغية، فكانت له آراء وتعليلات بلاغـــية، فبين البحث أن التوسع عنده مرادفاً للمجاز، وعد أكثر اللغة توسعاً ومجازاً، كما تناول مـــسوغات التوسع والتي عدّها من خصائص العربية وشجاعتها، كما تحدث البحث عن مجالات التوســـع والتي تناولها ابن جني تحت تسميات متعددة مثل المجاز والاستعارة والتشبيه مما يعني أن دلالتها تساوت مع دلالة التوسع، وعد التوسع دلالة على قوة الشاعرية والأدبية.

وتعد هذه خطوة جديدة في تطور البحث البلاغي لم تعرف عند سابقيه.

وفـــي جانـــب نقده للألفاظ، أدرك ابن جني أن اللجوء إلى المعاجم، لا يمكنّ من إدراك الدلالـــة التـــي يتحملها اللفظ في الشعر، فلا بد من اللجوء إلى السياق في التعرف على دلالات الألفاظ التي أجراها أبو الطيب المجرى المخالف للمعتاد، منها في واقع اللغة، فقد توسع في كثير مـــن الألفـــاظ المفردة، ووقف على الألفاظ في دلالتها وأبنيتها وأصولها، وكان في عمله «الفسر» مبدعاً خلاّقاً.

وبـــين البحث دفاعه عن رواية الشعر القديم، فرأى أن الشاعر القديم غير معصوم من الخطـــأ اللغوي وكون ابن جني فيلسوف لغوي، يقتضي عمله بالاتصال بالقديم والعكوف عليه، لم يفــسد ذلـــك ذوقـــه في دفاعه عن الشعر المحدث، وقد اتخذ هذا الموقف بدافع إعجابه بشاعره المتنبي.

ورأيـــنا موقفه من الدفاع عن الشعراء الذين يرتكبون الأخطاء متجاوزين حد الضرورة الشعرية، مما يدل على موقفه العادل والمنصفً من قضية القدماء والمحدثين.

ووقف البحث عند قضيتين مهمتين كشف فيهما عن رأي ابن جني، وهي ظاهرة الجرأة النفـــسية لـــدى المتنبي، فكان أول ناقد قديم نبه للغة الحب في شعره، وقد فطن إلى ارتباط لغة الحـــب فـــي شـــعر المتنبي بنفسيته، وكشف عما في لغة المتنبي من مشاعر وأحاسيس صادقة واســـتطاع أن يعـــالج لغة المتنبي من نفسيته، كما رأى أن المتنبي يتفرد بمذهب خاص في هذا الـــضرب مـــن الشعر ، استمده من حياته القلقة المضطربة، فمزّج الشاعر بين الحب والحماسه وتسرب ألفاظ الغزل والنسيب إلى شعره الحربي ليعبر عن أحاسيسه ومشاعره وهيامه بها، كان هذا اتجاهاً جديداً له أثره في أن ينفرد المتنبي بخصائص ومميزات في شعره الحربي عن غيره من الشعراء، فقد عد ابن جني أن فن هذا الشاعر كان صورة صادقة لحياته ونفسيته.

كـــذلك أوضـــح الـــبحث موقفه من الهجاء المبطن، فكان ابن جني هو أول ناقد نبّه إلى ظاهرة مهمة في شعر المتنبي، فقد رأى أن الكافوريات توضح قدرة المتنبي في الهجاء، بظاهرة المـــدح، وحاول تخريج مدحه لكافور مخرج الهجاء، ويكفي أنه استطاع أن يخرّج أبيات المديح فـــي معانـــي الهجـــاء، دون تعسف، ولكنها سعة الاحتمال وكثرة التأويل، التي تمتاز بها عبارة المتنبي في الكافوريات.

المصادر والمراجع

المصادر

- **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبدالواحد الشيباني الجزري (ت٦٣١هـ)**

١- الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.

- **ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن عبدالمطلب الشيباني، (ت٦٣٧هـ).**

٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانه، ط٢، دار نهضة مصر، القاهرة، بلا.

- **الأصفهاني، أبو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن (ت٣٧٩هـ).**

٣- الواضح في مشكلات شعر المتنبي، تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٦٨م.

- **الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت٣٧٠هـ).**

٤- الموازنة بين الطائيين، تحقيق أحمد صقر، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م.

- **ابن الأنباري، أبو بركات كمال بن عبدالرحمن (ت٥٧٧هـ).**

٥- نزهة الألباء في طبقة الأدباء، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد ١٩٧٠م.

- **الباخرزي، علي بن الحسن بن علي أبي الطيب (ت٤٦٧هـ).**

٦- دمية القصر وعُصرة أهل القصر، تحقيق، محمد التونجي.

- **البديعي، يوسف (ت ١٠٧٣هـ).**

٧- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار المعارف، مصر ١٩٦٣م.

- **البغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ).**

٨- خـــزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩م.

- **أبو البقاء العكبري، عبدالله بن أبي عبدالله (ت٦١٦هـ).**

٩- التبـــيان في شرح ديوان المتنبي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الطبعة الأخيرة، مط بابي الحلبي، ١٩٧١م.

١٠- التبـــيان في شرح ديوان المتنبي، تحقيق كمال ديب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- **ابن تغري بردي، جلال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ).**

١١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن دار الكتب، وزارة الثقافة، مصر، بلا.

- **الثعالبي، أبو منصور عبدالملك (ت٤٢٩هـ).**

١٢- يتـــيمة الدهـــر فـــي محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد قمحية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩م.

- **الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ).**

١٣- البيان والتبيان، دار الفكر، بيروت ١٩٦٨م.

١٤- الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٤٥م.

- **الجرجاني، عبدالقاهر (ت٤٧١هـ).**

١٥- أسرار البلاغة، تحقيق محمد محمود شاكر، ط١، دار المدني، جده ١٩٩١م.

١٦- دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت ١٩٨١م.

- الجرجاني، علي بن محمد أبو الحسن الحسيني (ت ٨١٦ هـ).

١٧- التعريفات، تحقيق عبدالرحمن عميدة، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٧م.

- الجرجاني، علي بن عبدالعزيز (ت٣٩٢هـ).

١٨- الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجادي، مط عيسى بابي الحلبي، مصر، بلاد.

- ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ).

١٩- غاية النهاية في طبقات القُراء، تحقيق ونشر برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٣٢م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٨٢هـ).

٢٠- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٢م.

٢١- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (الفسر) تحقيق د. صفاء خلوصي، ط١، ج١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٧م.

٢٢- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (الفسر) تحقيق د. صفاء خلوصي، ط١، ج٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٧م.

٢٣- الفتح الوهبي على مشكلات شعر المتنبي، تحقيق د. محسن غياض، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد ١٩٩٠م.

٢٤- المحتسب في تبيان وجوه شواذ القراءات والإيضاح منها، تحقيق علي النجدي ناسف و د. عبدالحليم النجار و د. عبدالفتاح اسماعيل شلبي، وأشرف على إصدارها محمد توفيق عريضة، الكتاب التاسع، القاهرة، ١٩٦٦م.

- **ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن محمد بن علي (ت٥٩٧هـ).**

٢٥- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٨هـ.

- **الحافظ الذهبي، (ت٧٤٨هـ).**

٢٦- العبر في خبر من غبرّ، تحقيق فؤاد سيد، ط٢ مصورة، مط مكدمة الكويت ١٩٨٤م.

- **الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ).**

٢٧- جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٣م.

- **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)**

٢٨- وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.

- **الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ).**

٢٩- تاريخ بغداد، دار الفكر ١٩٨٠م.

- **الخوانساري، محمد باقر الموسوي (ت ١٣١٣هـ).**

٣٠- روضات الخبات في أحوال العلماء والسادات، نشرته مكتبة إسماعيليان، تهدان، ناصر خسرو، تحقيق- خيابان ارم، ١٣٩٠هـ.

- **ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن (ت ٤٥٦هـ).**

٣١- العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.

- **الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ).**

٣٢- أساس البلاغة معجم في اللغة والبلاغة، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.

- **ابن سلام، يحيى أبو عبدالله محمد (ت٢٣١هـ).**

٣٣- طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمد محد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، بلا.

- **السَّمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ).**

٣٤- الأنساب، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، نشره محمد أمين دمج، ط٣، بيروت، ١٩٨٠م.

- **سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ).**

٣٥- الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨م.

- **السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن (ت٩١١هـ)**

٣٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مط. عيسى بابي الحلبي، مصر ١٩٦٥م.

٣٧- المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مط. عيسى بأبي الحلبي، بلا.

- **الصاحب بن عباد، أبو القاسم اسماعيل (ت٣٨٥هـ).**

٣٨- الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٥م.

- **طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى (ت٩٦٨ هـ).**

٣٩- مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة في موضوعات العلوم، تحقيق كامل كامل بكري، وعبدالوهاب أبو النّور، ط١، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م.

- **ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي (ت٣٢٢هـ).**

٤٠- عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري، محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٥٦م.

- **ابن العماد الحنبلي، أبو الفَلاح عبدالحيّ (ت١٠٨٩هـ).**

٤١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة جديدة، دار إحياء التراث، بيروت.

- **العميدي، أبو سعد محمد بن أحمد (ت٤٣٣هـ).**

٤٢- الإبانة عن سرقات المتنبي، تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف، مصر ١٩٦١م.

- **ابن فارس، ابو الحسين أحمد (ت٣٩٥هـ) .**

٤٣- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، ط١، دار الجيل، ١٩٩١م.

- **ابن فورّجة، محمد بن أحمد بن محمد (حوالي ٤٠٠هـ).**

٤٤- الفتح على أبي الفتح، تحقيق عبدالكريم الرجيلي، منشورات وزارة الأعلام العراقية، بغداد ١٨٧٤م.

- **الفيروز أبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ).**

٤٥- البُلغة في تاريخ أئمة اللغة، تحقيق محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢م.

- **ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ).**

٤٦- الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمود شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.

- **قدامة بن جعفر (ت ٣٢٦هـ).**

٤٧- نقد الشعر، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٨م.

- **القزاز القيرواني، أبو عبدالله محمد بن جعفر (ت٤١٢هـ)**

٤٨- ما يجوز للشاعر عند الضرورة، تحقيق المنجي الكعبي، الدار التونسية، ١٩٧١م.

- **القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ).**

٤٩- أنباه الرواة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م.

- **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، اسماعيل (ت٧٧٤هـ).**

٥٠- البداية والنهاية في التاريخ، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٢م.

- **المرزباني، أبو عبدالله محمد بن عمران (٣٨٤هـ).**

٥١- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء؛ تحقيق علي محمد البجاوي، نهضة مصر، ١٩٩٠م.

- **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ).**

٥٢- لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

- **ابن النديم، محمد بن اسحق (ت٣٨٥ هـ).**

٥٣- الفهرست، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

- **الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت ٤٦٨هـ).**

٥٤- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق، عمر فاروق.

- **ابن وكيع، أبو محمد الحسن بن علي التنيسي (ت٣٩٣هـ).**

٥٥- المنصف في نقد الشعر، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٢م.

- **ابو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل (ت ٣٩٥هـ).**

٥٦- الصناعتين في الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى بابي الحلبي، ١٩٧١م.

- **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (ت٦٢٦هـ).**

٥٧- معجم الأدباء، الطبعة الأخيرة، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٠م.

المراجع.

٥٨- أحمد محمود، سنيه: النقد عند اللغويين في القرن الثاني الهجري، نشر الجامعة المستنصرية، دار الرسالة، بغداد ١٩٧٧م.

٥٩- إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، دار العوده، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م.

٦٠- الألوسي، محمود شكري: الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، شرح محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١هـ.

٦١- امبسون، وليام: سبعة أنماط من الغموض، ترجمة صبري محمد حسن عبدالنبي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.

٦٢- بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة محمود فتحي حجازي، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٣م.

٦٣- البستاني، بطرس: دائرة المعارف، مجلد أول، دار المعرفة، بيروت.

٦٤- البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين، دار الفكر، ١٩٨٢م.

٦٥- الجبوري، عبدالله: أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين، وزارة الثقافة- بغداد ١٩٧٧م.

٦٦- حاجي، خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتبي والفنون، دار الفكر- ١٩٨٢م.

٦٧- حسين، عبدالقادر: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة: الموازنة بين الشعر، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م

٦٨- حمّود، حمادي: التفكير البلاغي عند العرب إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية ١٩٨١م.

٦٩- خليل، حلمي: العربية والغموض، دار المعرفة الجامعية، ط١، الاسكندرية، ١٩٨٨م.

٧٠- الدّاية، فايز، الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، دار الملاح للطباعة، ط١، ١٩٧٨م.

٧١- درابسة، محمود: الاستشراق الألماني المعاصر والنقد العربي القديم، مؤسسة حمادة، الأردن، ومكتبة المتنبي، السعودية، ط١، ٢٠٠٣م.

٧٢- الربداوي، محمود: الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام تاريخها وتطورها وأثرها في النقد العربي، دارالفكر ١٩٦٧م.

٧٣- السامرائي، فاضل صالح: ابن جني النحوي، دار النذير، بغداد، ١٩٦٩م.

٧٤- السامرائي، مهدي صالح: المجاز في البلاغة العربية، دار الدعوة، ط٢، سورية، ١٩٧٤م.

٧٥- السمرة، محمود: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.

٧٦- سنجلاوي، إبراهيم: موقف النقاد العرب والقدماء من الغموض، مؤتمر النقد الأدبي، ٢٠ -٢٣ تموز، ١٩٨٧م، جامعة اليرموك.

٧٧- السيد، شفيع: التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٢م.

٧٨- الشايب، أحمد: أصول النقد الأدبي، ط١٠، ٢٠٠١م.

٧٩- شعيب، محمد عبدالرحمن: المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر ١٩٦٤م.

٨٠- الصاوي، أحمد عبدالسيد: مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٨م.

٨١- صليبا، جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، لبنان ١٩٨٢م.

٨٢- ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط١٠، دار المعارف، مصر، بلا.

٨٣- عباس، إحسان: تاريخ النقد الأدبي من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق، رام الله، ٢٠٠١م.

٨٤- العشماوي، محمد زكي: قضايا النقد الأدبي المعاصر، الهيئة المصرية العام، الإسكندرية، ١٩٧٥م.

٨٥- عبداللطيف، محمد حماسة، لغة الشعر، دراسة في الضرورة الشعرية، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م.

٨٦- عبيدات، عدنان: الاتجاهات النقدية عند شراح ديوان المتنبي القدماء، عمان، وزارة الثقافة، ٢٠٠٢م.

٨٧- أبو العدوس، يوسف: المجاز المرسل والكناية الأبعاد المعرفية والجمالية، الأهلية للنشر، عمان، ط١، ١٩٩٨م.

٨٨- العزاوي، نعمة رحيم: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية السابع الهجري، وزارة الثقافة والفنون، العراق ١٩٧٨م.

٨٩- عـواد، كوركـيس وميخائــيل: رائد الدراسة عن المتنبي، وزارة الثقافة العراقية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩م.

٩٠- الفــندي، محمــد ثابت: دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية، محمد ثابت الفندي وآخرين، المجلد الأول- اكتوبر ١٩٢٣م.

٩١- مبارك، زكي: الموازنة بين الشعراء، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣.

٩٢- محمــد، السيد إبراهيم: الضرورة الشعرية دراسة إسلوبية، ط١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٩م.

٩٣- المــسدي، عبدالسلام: الأسلوبية والأسلوب، ط٤، دار سعاد الصباح، الكويت، القاهرة، ١٩٩٣م.

٩٤- مطلــوب، أحمــد: اتجاهــات الــنقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، الكويت، وكالة المطبوعات ١٩٧٣م.

٩٥- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م.

٩٦- مندور، محمد: النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة، بلا.

٩٧- نافع، عبدالفتاح: لغة الحب عند المتنبي، ط١، دار الفكر، عمان- الأردن ١٩٨٣م.

٩٨- هــدارة، محمــد مصطفى: مشكلة السرقات في النقد العربي، المكتب الإسلامي، ط٣، بيروت، ١٩٨١م.

٩٩- هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، بلا.

١٠٠- الســواد، حــسين: المتنبــي والتجــربة الجمالية عند العرب، ط١، دار سحنون، تونس، المؤسسة العربية للنشر، بيروت ١٩٩١م.

١٠١- ياقــوت، أحمد سليمان: الدرس الدلالي في خصائص ابن جني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

الدوريات:

١٠٢- طلــس، أســعد محمد. أبو الفتح بن جني وأثره في اللغة العربية، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد الثاني والثلاثون، العدد الرابع.

١٠٣- عــبدالله، أمــين: ابن جني أبو الفتح عثمان، مجلة المقتطف، الجزء الثالث، مجلد١١١، ١٩٤٧م.

١٠٤- نــصير، أمل: المفارقة في كافوريات المتنبئ، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، المجلد١٥، العدد٢، ١٩٩٧م.

الدواوين:

١٠٥- ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت، بلا.

الرسائل:

١٠٦- الجداونة، حسن عقلة فارس:

التوســع في الموروث البلاغي والنقدي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠٣م.

IBN JINI AS A CRITIC

By

Kawther Mohammad Ali Obaid

Supervisor

Prof. Dr. Mahmoud Darabseh

Abstract

The current study sought to explore a major feature of Ibn Jini's character, i.e. literary criticism, his relevant contributions, and to identify most significant questions and topics, and argumentations addressed.

The research revealed that Ibn Jini as a critic investigated variety subjects of criticism and rhetoric preoccupied long the Arabic criticism. Seemingly, in his criticism studies, Ibn Jini had showed a mature distinctive character.

The research was organized in four chapters; the first described life, socialization, academic status, and education of Bin Jenni, with a result that has a multidisciplinary education, particularly in literature and poetical criticism domains. Additionally, relationship with his educator Abi Ali Al Faresi, and companionship with Abi Al Tayyeb Al Mutanabi were both established. The consequence of such attendance was a two valuable works where Abu Al Fateh provided commentary on poetical verse of Al Mutanabi and explained its unusual terms, the first great work which explained Al Mutanabi's work entitled (*Al Fesar*), and the other his little work of the same book entitled "Gifted Insights on Al Mutanabi's Problems" (*Al Fathe Al Wahabi Li Mushkilat Al Mutanabi*), in which only problematic verses were addressed.

Chapter two, however, discussed his criticism works which spanned his three books: (Characteristics) "Al Khasais", exegesis of Al Mutanabi's

poetical work (*Al Fesar*), and "Gifted Insights on Al Mutanabi's Problems" (*Al Fathe Al Wahabi*). The study showed that, in those commentary works, Ibn Jini had an intention of giving an explanation of Al Mutanabi's poetical verses, to unveil mysteries, and identify inclination possibilities, whereas the other goal was to defend for Al Mutanabi's poetry, in which effort Ibn Jini was very effective.

The study demonstrated the approach adopted by Bin Jini, and outlined the importance of his commentary work, as it was a seminal linguistic work conducted for Bin Jini's poetry, in addition to the fact that he was Al Mutanabi's disciple.

Also addressed in this chapter Bin Jini's method in treating criticism and rhetoric questions as demonstrated in his work (Characteristics) "Al Khasais", which characterized by inquiry, inclusive, elaboration as his way to span almost every argument of scholars, linguists, and grammarians, discuss their arguments, and gives counter-arguments. Not only had he dwells on review of such arguments, but in many cases gives rationale for his affirmative or denying comments aiming at the scientific truth.

The research also demonstrated how important is his work (Characteristics) "Al Khasais", which is considered as a seminal work in its field, and a principal resource for later critics and rhetoricians. So, his arguments served as the basis on which later rhetoricians and critics built their own works.

Chapter three, on the other hand, studied most salient rhetorical criticisms subjects, which consisted of two parts. In part one, Ibn Jini addressed most controversial subjects of criticism that most concerned scholars of the time, and provided his pioneering contributions.

Part two, however, addressed such rhetorical subjects as allergy, metaphor, and metonymy. The study showed that a metaphor is a synonymous to extension, and further investigated the extension and its values including:

affirmativeness, allegory and exaggeration, and built allegory and metonym on extension, which viewed as a poetry-power predictor.

Last chapter on applied criticism studied vocabulary criticism, in which Ibn Jini addressed singular vocabularies in terms of connotations, structure, and roots and demonstrated Bin Jini's pioneering contribution in this field.

Also addressed his defensive attitude in favor of the poet and viewed a classic poet as linguistically infallible even if differed with normal analogy. Similarly the chapter dealt his attitude from the poetical exigency, which viewed as an elaboration, and demonstrated that he had a balanced argument concerning old and modern scholars.

Additionally, the research demonstrated the attitude taken by Ibn Jini having to do with psychological dare by Al Mutanabi, and disguised satirical as showed by Al Mutanabi's "*Kaforyat*". In fact, he was the first who addressed such both phenomena, a critical task, which was dealt with skillfully, and professional by showing an insightful understanding of the poet's psych, and revealed variety artistic and literary phenomena that could be the basis on which to build a reasonable criticism of a poet's works.